حوار مع سماحة المرجع الديني الشيخ محمد السند

سلسلة الحوارات الفكرية ٢

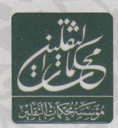
منهج التكامل الروحي

- الرياضات الروحية والطاقة

- معرفة النفس والروحانيات
- الطريق إلى التكامل الروحي
- توجيهات أخلاقية وروحية

جمع وترتيب

السيد حسين نجيب محمد



٢

سماحة المرجع الديني

الشيخ محمد السند

منهج التكامل الروحي

جمع وترتيب

السيد حسين نجيب محمد



منهج التكامل الروحي

المرجع الديني

سماحة الشيخ محمد السند دام ظله

منهج التكامل الروحي

- الرياضات الروحية والطاقة
- معرفة النفس والروحانيات
- الطريق إلى التكامل الروحي
- توجيهات أخلاقية وروحية

جمع وترتيب

السيد حسين نجيب محمد

سرشناسه	: سند، محمد، ۱۹۶۲- م.
عنوان و نام پدیدآور	: منهج‌التکامل‌الروحی: الریاضات‌الروحیه والطاقه ...// محمد السند؛ جمع و ترتیب السیدحسین نجیب‌محمد.
مشخصات نشر	: تهران : موسسةالصادق ﷺ للطباعة والنشر، ۱٤٤٤ ق.= ۲۰۲۲ م.= ۱٤۰۱.
مشخصات ظاهری	: ۳٤٤ ص.
شابک	: ۸-۸٤-۷٦٦۹-٦۲۲-۹۷۸
وضعیت فهرست نویسی	: فیپا
یادداشت	: زبان: عربی.
یادداشت	: کتابنامه به صورت زیرنویس.
موضوع	: خودسازی -- جنبه‌های مذهبی -- اسلام Self-actualization (Psychology) -- Religious aspects -- Islam
شناسه افزوده	: محمد، حسین نجیب، گردآورنده
رده بندی کنگره	: BP۲۵۰
رده بندی دیویی	: ۲۹۷/٦۳
شماره کتابشناسی ملی	: ۸۹۳۵۰۲۵

این کتاب با کاغذ حمایتی منتشر شده است

منهج التكامل الروحي

تقرير أبحاث: سماحة المرجع الديني الشيخ محمد السند

الطبعة: الاولى، ١٤٤٤ هـ - ٢٠٢٢م - ١٤٠١ش

القطع: وزيري

المطبعة: الصادق عليه السلام

عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة

عدد الصفحات: ٣٤٤ صفحة

ردمك: ٨-٨٤-٧٦٦٩-٦٢٢-٩٧٨

الناشر: موسسة الصادق للطباعة و النشر





مراكز التوزيع: ايران- قم- شارع معلم- مجمع ناشران - طابق الأسفل - رقم B٤٠
موسسة الصادق ٩١٢٤١٠٢٠٩٦ (٠٠٩٨)

ايران- تهران- شارع ناصرخسرو- زقاق حاج نايب - سوق المجيدى
موسسة الصادق ٣٣٩٣٤٦٤٤ (٠٠٩٨٢١)

تصدير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين وصلواته على أشرف رسله وخاتم أنبيائه وعلى آله الأطهار الأوصياء الخلفاء .

وبعد ، فإن جناب الفاضل الألمعي السيد حسين نجيب محمد العاملي وفّقه الله للمزيد من نشر المفاهيم الدينية - قد قام بإعداد وجمع البحوث والأجوبة لسماحة الشيخ محمد السند دام ظلّه، فيما يتعلق بمباحث الروح والنفس ورياضتها، عسى أن ينفع الله تعالى بها .

مكتب سماحة المرجع الديني
الشيخ محمد السند
٢٠ ذي القعدة

المقدمة



الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على سيِّدنا محمَّد وعترته الميامين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدِّين.

الرُّوحانيَّات من أكثر الأمور التي تشدُّ الإنسان وتُؤثّر في حياته، فهو ما زال منذ أن وجد على الأرض يبحث عن الرُّوح وغوامضها وأسرارها، والماورائيات وما فيها من الصحيح والسقيم.

وأمام هذا الواقع فقد تعدَّدت الاتجاهات، فبين من اعتمد على الوحي المتمثّل بالأنبياء والمرسلين.. وبين من اعتمد على الفلاسفة وأهل التصوف فكثرت المدارس الرُّوحيَّة، حتى أدَّى بالبعض إلى الضياع والتشتُّت، فتراهم يتبعون أشخاصاً ومدارس إلى فترة محدودة ثم يتركونها ليلجأوا إلى أخرى، وهكذا دواليك...

وقد أنعم الله تعالى علينا بنعمة الإيمان والاتباع للنبي وآله عليهم السلام الذين هم «الأدلّاء على الله وبابه وصراطه ونوره وبرهانه».

ومن بعدهم الفقهاء الذين حملوا علومهم واستخرجوا ما فيها من كنوز ومعارف ولطائف وحقائق، فمنهم نستقي العلم، ونستضيء به لنواصل سيرنا إلى الله تعالى.

ومن هؤلاء العلماء آية الله الشيخ «محمَّد السند حفظه الله» الذي ما زال يرفد العالم الإسلامي بأبحاثه الفكرية والمعرفية التي تقود الأُمَّة إلى الهدى والصلاح.

وهو الذي تميَّز في طروحاته بـ:

ـ ربط الأمور المعنوية والرُّوحيَّة بالعقائد الدِّينيَّة المتمثّلة بالقرآن الكريم والنبي محمَّد وعترته المعصومين عليهم السلام.

ـ توسيع الوعي الرُّوحي المعتمد على النصوص الشريفة.

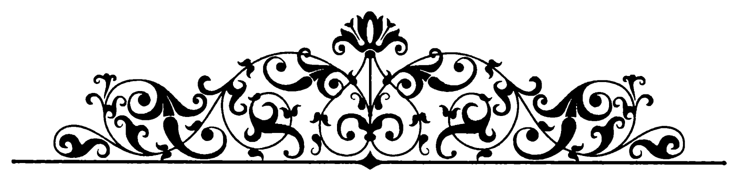
ـ تصحيح المفاهيم الرُّوحيَّة التي تساهم في إصلاح الإنسان في مسيرته التكاملية.

ـ الدخول إلى أعماق النفس والوقوف على مواطن الضعف وتحليل تصرفاتها وأفكارها ونواياها.

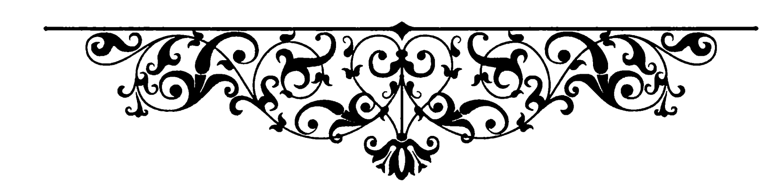
ـ التأكيد على التكامل الرُّوحي بالطرق الشرعية الصحيحة، والتنبيه من عدم الانزلاق وراء الأفكار البعيدة عن مصدر الوحي والعصمة.

وقد قمنا بإعداد هذا الكتاب الذي هو مجموعة محاضرات واستفتاءات من فيض علمه.

نسأل الله تعالى أن يتقبَّل منَّا بحقِّ محمَّد وآل محمَّد عليهم السلام.



الفصل الأول
الرياضات الرُّوحيَّة والطاقة



الرياضات الروحية

سؤال: ما معنى الرياضة الشرعية عند المرتاضين وكيف أستطيع ممارستها الرجاء توضيح بعض الرياضات الشرعية؟

جواب الشيخ السند حفظه الله تعالى: «الرياضة الشرعية عُرّفت في لسان الكتاب والسُّنَّة بالتقوى والتزكية والورع، وهو إتيان الواجبات وترك المحرمات، وهناك درجة أخرى وهي الالتزام بالمندوبات وترك المكروهات الشرعية، وهناك درجة ثالثة وهي التحلّي بالصفات الفاضلة وقلع صفات الرذيلة، وتولي اولياء الله تعالى وحججه والتبري من أعدائهم، وعلى كل تقدير فإنَّ الالتزام بالنوافل لا سيَّما صلاة اللَّيل والتهجُّد في السحر والاستغفار والتعقيبات بعد الفرائض وكذلك نوافل الظهرين التي أُطلق عليها صلاة الأوّابين، ودوام التوجُّه بالقلب في الصلاة فإنَّ للمصلي من صلاته ما أقبل قلبه كما في الروايات عن أهل البيت عليهم السلام، ودوام مراقبة النفس، والالتفات إلى كيفية صدور الإرادة من النفس، فإنَّ دوام الالتفات إلى النفس باب عظيم يولّد ملكة الهيمنة والقدرة على ترويض قوى النفس الحيوانية، كما أنَّ دوام قراءة الكتب الأخلاقية وبالأخص الروايات الأخلاقية يورث البصيرة النافذة لتشخيص أمراض النفس ودوائها، كما أنَّ الإحاطة الشاملة بالأحكام الشرعية

ضرورية وبالغة الأهمية، إذ بمعرفة الأحكام يتعرَّف الإنسان على مواطن رضا الله تعالى عن مواطن غضبه فلا يتخبط عشوائياً تابعاً هوى النفس وتسويلات الشيطان باسم الرياضة والتهذيب، فلا يقع في فخ وحبائل الانحراف، كما أنَّ حسن من يعاشره ويصادقه المرء له بالغ التأثير في أخلاقه.

وبالجملة إنَّ جملة العبادات المندوبة أبواب لترويض النفس، وكذلك الآداب الدِّينيَّة، ولكُلِّ عبادة وأدب نكهة خاصة تؤثّر في تزكية النفس.

ولا يخفى تأثير المعرفة بالله تعالى وبأُصول الدِّين المعرفة الواسعة المبسّطة تأثيرها في توليد الصفات الحسنة الجميلة في النفس الإنسانية[1].

تحمّل الرياضات الشاقة:

نلاحظ في القيام ببعض الأعمال والرياضات الرُّوحيَّة أنَّها إذا كانت أثقل مِنْ قابليات النفس والبدن، فإنَّها قَدْ تسبّب إعاقة أو شللاً أو لا أقل مِنْ خلل جزئي في البدن أو النفس أو آلام وأوجاع في الرأس أو سائر أعضاء البدن، أو تحدث لَهُ حالة مِنْ الاختلال في الأعصاب أو الغرائز أو القوى النازلة، أو أنْ يصاب بصدمة فيُبتلى بمرض السكري كما في الأخبار المفاجئة بالمصيبة، أو قَدْ يصل الخلل إلى ما فوق البدن فيحصل خلط في عقله بأن يهذي ونحوه.

وعموماً إنَّ الأعمال والرياضات الرُّوحيَّة إذا كانت أثقل مِنْ قابليات البدن والنفس فإنَّها قَدْ توجب صدمة وخللاً في البدن وقواه والنفس وقواها. وسبب ذلك أنَّهُ ليست كُلّ روح وبدن لها قابلية تحمّل كُلّ شيء، فإذا حمَّلتها فوق طاقتها فإنَّها ستصاب ببعض الخلل والإعاقات. فإنَّ الأبدان والغرائز والنُّفوس تختلف في قابلياتها.

---

(١) خلاصة معرفية، ص٢٢١ ـ ٢٢٢.

ورد في وصف صلاة اللَّيل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ * قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا * نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا * أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا * إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا * إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا﴾ [المزمل: ١ ـ ٦]، وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩].

فقيام اللَّيل والتهجُّد فيه عبادة توسّع قابلية الرُّوح للاسترفاد مِنْ فيوضات المراتب العالية؛ ولذا فسيِّد الأنبياء ﷺ بما لَهُ مِنْ عظمة إذا أراد تلقِّي القرآن الكريم الذي وصف بأنَّه «قول ثقيل» فلا بُدَّ أنْ يروِّض نفسه ويعدّها.

ولذا فإنَّ بعض المراتب لا يُوصل إليها إلَّا برياضات صعبة وشاقَّة، حتى أنَّ تصوُّر تلك الرياضات والعبادات يوجب استثقالاً في النفس، فضلاً عَنْ القيام بها كبعض أعمال ليلة القدر، ويوم عرفة وليلة عيد الأضحى مِنْ أذكار وختومات وصلوات ونحوها لا يستطيع الكل أنْ يأتي بها بَلْ يثقل على البعض تصوُّرها.

إنَّ القابليات في الأبدان والغرائز والنُّفوس مختلفة، وعليه فتحمّلها لما يأتيها ويرفدها مِنَ المراتب العالية سيختلف، والأمثلة على ذلك عديدة.

منها: ما روي أنَّ شخصاً جاء لسيِّد الشُّهداء فسأله عن بعض فضائلهم، فقال له: «لا تقدر على تحمُّل ذلك» فألحَّ عليه ولو بكلمة، فهمس الإمام عليه السلام في أذنه فابيضَّ رأس الرجل ولحيته، فبدنه لم يتحمَّل كلمة واحدة من فضائلهم حتى ابيضَّ شعر رأسه ولحيته.

ومنها: ما روي في مرور الإمام الصَّادق عليه السلام بجبل الكمد مع أحد أصحابه، يقول عبد الله بن بكير الأرجاني: صحبت أبا عبد الله عليه السلام في طريق مكَّة مِنَ المدينة، فنزلنا منزلاً يُقال له: عسفان، ثم مررنا بجبل أسود عن يسار الطريق موحش، فقلت له: يا ابن رسول الله ما أوحش هذا الجبل ما رأيت في الطريق مثل هذا، فقال لي: «يا ابن بكير أتدري أيُّ جبل هذا؟ قلت: لا، قال:

هذا جبل يُقال لَـهُ الكمد، وهو على وادٍ من أودية جهنم وفيه قتلة أبي الحسين عليه السلام استودعهم فيه، تجري مِنْ تحتهم مياه جهنم مِن الغسلين والصديد والحميم» والرواية طويلة يصف فيها الإمام أنواع العذاب ومن يعذّب في هذا الجبل من فلان وفلان وأنَّهما يستغيثان به، فسأله الراوي: جُعلت فداك. فأنت تسمع ذاك له ولا تفزع، قال: «يا ابن بكير، أنَّ قلوبنا غير قلوب الناس، إنَّا مطيعون مصفّون مصطفون، نرى ما لا يرى الناس ونسمع ما لا يسمعون»[1] الحديث.

فالأوعية مختلفة والقلوب والنُّفوس مختلفة في القابلية سعة وضيقاً، وهذا هو الذي يُسبّب التحمُّل أو عدمه.

ومنها: ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام في سبب بطنته عليه السلام: «وأمَّا كبر بطني فإنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله علّمني باباً مِنَ العلم ففتح لي ذلك الباب ألف باب فازدحم العلم في بطني فنفجت عنه عضوي»[2] والحديث وإن لَمْ يقبله البعض ولكن ليس فيه أمر غير معقول، فتأثير الجوانب الرُّوحيَّة على البدن ليس ممتنعاً ولا غريباً.

بل إنَّ العديد من أهل المعنى لم يصلوا إلى بعض المراتب إلَّا واصابتهم رعشة في اليد أو في البدن، أو سماجة وغلظة وحدَّة في الخُلق، نعم التأثُّر إلى هذا الحدّ إنَّما هو في غير المعصومين عليهم السلام ولكن فيهم فالأمر يختلف.

الرفق في الرياضات الرُّوحيَّة:

ومن الوصايا النبوية المهمَّة المرتبطة بهذا الباب هو ضرورة التدرُّج

---

(١) كامل الزيارات، ب٨، نوادر الزيارات، ح٢، ص٥٣٩.

(٢) الخصال للصدوق، ح٢٦١، ص١٨٩.

والرفق في الرياضات الشرعية، روى الكليني بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا علي إنَّ هذا الدِّين متين، فأوغل فيه برفق ولا تبغّض إلى نفسك عبادة ربّك، فإنَّ المنبَّت ـ يعني المفرط ـ لا ظهراً أبقى ولا أرضاً قطع»[١]. فالمسرع بالدابة، سيتلف الدابة ولا يقطع شيءً مِنَ الطريق، ولا يصل إلى مقصده وغايته.

وهذا البدن، وما فوقه من الأبدان الأثيرية وغيرها وحتى النفس إنَّما هي دواب يركبها الإنسان، فالنفس أيضاً ليست هي حقيقة الإنسان، وإنَّما هي دابة للإنسان، كما في التعبير النبوي: «والنفس مثل أخبث الدواب، فإن لم تعقل حارت»[٢] أو كما في التعبير العلوي: «إنَّما هي نفسي أُروِّضها بالتقوى لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر»[٣].

ففي كل عالم الحيوان لا تجد في الخبث مثل نفس الإنسان (لا عقله وقلبه وروحه) وليس المراد أنَّ النفس لا تكون طاهرة أو خيِّرة أو مطمئنة، وإنَّما خبثها من عدَّة جهات:

منها: أنَّ النفس بطبعها ذات غرائز، ولو لم تُهذّب وتعقل بعقال العقل ولم تروّض ستكون أخبث الدواب.

ومن جهة أخرى فإنَّ فيها بهيمية وغلظة وشدَّة وشره ونهم؛ ولذا وُصفت في النبوي «أعدى عدوّك نفسك التي بين جنبيك»[٤]. فأعدى الأعداء ليست الزوجة ولا الصديق ولا العدوّ المتربِّص بل

(١) الكافي، ج٢، باب الاقتصاد في العبادة، ج٦، ص٨٧.

(٢) تحف العقول، ص١٥؛ وعنه بحار الأنوار، ج١، ص١١٧.

(٣) نهج البلاغة، الكتاب رقم ٤٥.

(٤) البحار، ج٦٧، ص٦٤ عن عدَّة الداعي.

هي نفسه التي بين جنبيه، فإنَّها لو تُركت وغرائزها لألقت الإنسان في المهالك والمهاوي.

ولكن مع ذلك فإنَّ النفس دابة لا بُدَّ للإنسان أن يستثمرها ولا يفرّط فيها ولا لها، وهذه من الموازنات الصعبة؛ لأنَّه إذا زاد العْبء عليها أو أثقل عليها فإنَّها ستنفر وتستعصي وتتحطم وتهلك، وسيفقد الإنسان فرصة السير في التكامل فلا يستطيع أن يأتي بعبادة ولا أن يتلقَّى المعارف والعقائد أبداً، ومن جهة أخرى يجب أن لا يترك حبل النفس على غاربها مع ما فيها من الغرائز، بل الواجب هو التوازن والاعتدال في التصرُّف مع النفس، وهذا هو ما تعبّر عنه الوصية النبوية: «فأوغل فيه برفق».

فللنفس إقبال وإدبار، تقبل في بعض الحالات على العبادة والاجتهاد ،وتدبر في بعض الحالات عنها، والمهم هو السير معها بميزان من الحكمة والسياسة حتى لا يفرّط في طاقتها، ولا يشدّد عليها فيوجب نفرتها؛ ولذا ورد في الوصية النبوية: «إنَّ للقلوب إقبالاً وإدباراً، فإذا أقبلت فتنفّلوا وإذا أدبرت فعليكم بالفريضة»[1]. فالنفس تحتاج إلى وقت استراحة، ومن الخطأ أن تحمل في وقت راحتها على العمل والجهد وإلَّا فستنفر؛ ولذا في حين التوصيات الأكيدة القرآنية والروائية بعدم الاستجابة لرغبات النفس وعدم الانقياد لها، وردت توصيات أخرى في عِدَّة موارد بالاستجابة للنفس وإعطائها رغبتها[2]، حتى لا تتحكم وتهلك.

---

(١) الوسائل، ج١٦، ص٦٩، ب١٦ أبواب إعداد الفراض ونوافلها، ح٨.

(٢) ومن طريف ما ينقل أنَّهم وجدوا أحد كبار المجتهدين من أهل المعنى في كربلاء، يشرب الشاي في مقهى، فقالوا له: سيِّدنا كيف تفعلون ذلك وأنَّ هذا لا يليق بكم، فأجابهم: إنَّ عندي أوراداً وأذكاراً والآن استعصت نفسي، وألحَّت على شرب الشاي فقلت أشربها الشاي حتى أريحها ثم أحملها على الورد والذِّكر، وهذه هي طبيعة النفس بين أخذ وإعطاء.

فللرُّوح لياقات وقابليات، وهذه اللياقة والقابلية لم تتحصَّل دفعة وإنَّما حصلت بالتدريج، كاللياقة البدنية في جسم الرياضي، فإنَّها تحتاج لفترة حتى تحصل؛ وقد يترك التمرين الذي يحافظ على تلك اللياقة فيحصل تقهر فيها، فإرجاع تلك اللياقة للأبدان يكون أيضاً بتدرُّج وتكامل تدريجي، وقد ورد: «وتخيَّر لها من كُلِّ خلق أحسنه، فإنَّ الخير عادة»[(١)] و«إنَّ الخير عادة والشَّر لجاجة»[(٢)]. «عوِّدوا أنفسكم الخير»[(٣)].

تلخيص ونتيجة:

ويتلخَّص ممَّا تقدَّمَ أنَّ البدن والنفس وقواها لها قابلية وسعة معيَّنة ومحدودة، ولا يمكن أن يحاسب تكامل النفس والبدن بحساب قدرة وقابلية المراتب العليا، فنوع التكامل يختلف بحسب اختلاف المراتب.

بل قد نجد أنَّ البعض قد يكون فاقداً لأيِّ مهارة في المراتب الدُّنيا، ففي المهارات البدنية مترجّل جداً، ولكنَّه من جهة القدرات العلمية ومهاراتها متبحر وضليع ومتمرِّس، فالمراتب في الذات متعدّدة والكمالات متفاوتة.

وممَّا تقدَّمَ من الآيات في بلوغ الأنبياء أشدّهم ثم إعطاؤهم الحكمة والعلم، يُستفاد رابطة قوية بين العلم والحكمة وبين اشتداد البدن وقواها وغرائزها النازلة، وعلى تعبير بعض المحققين: «إنَّ الرُّوح العظيمة لا يمكن أن تنفخ في بدن ضعيف هزيل» والفارس القوي يحتاج إلى فرس قوية، ولا

(١) تحف العقول، ص٨٦.

(٢) ميزان الحكمة، ج٣، ص٢١٩١ عن كنز العمَّال.

(٣) الخرائج والجرائح، ج٢، ص٥٩٦.

يمكن أن تحمله فرس هزيلة، فلا بُدَّ من ترابط وتناسب بين نوع الدابة وقابليتها وبين سعة الرُّوح وقوَّتها.

فالحكمة والعلم اللدنيَّان يحتاجان إلى قابلية وأرضية مناسبة، وبعبارة أخرى (مهبط) وليست كُلّ الأبدان والأنفس مهبطاً للمَلائكة، وهذا هو معنى: ﴿بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [فصلت: ٦] فمقتضى البشرية الموجودة في المعصومين هو التكامل والرقي في الجنبة البشرية، ففيهم إعداداً واستعداداً لهبوط الوحي وفيوضات العالم العِلوي عليهم ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا * إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ [المزمل: ٥ ـ ٦](١).

الرياضات والطاقة الروحية

إلى مكتب المرجع الديني سماحة الشيخ محمدالسند حفظه الله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

سؤال: انتشرت في الآونة الأخيرة علم الطاقة وتُسمّى أيضاً بـ(الريكي والأوشو)، ويدعون أنَّ هناك طاقات غير مرئية للإنسان والكون، وأنَّ لكل شيء طاقة سلبية وإيجابية، وأنَّ هناك أوقات للطاقة، وأشخاص لديهم القدرة على منح هذه الطاقة، البعض يتعالج يدّعي أنه علاج وهناك من يدّعي أنه طريق من طُرق العبادة فما هو موقف الدين منهم؟ وهناك منهم من يدعي اتصاله بالملائكة فهل هذا ممكن؟

وهل يفرق الحال إن كان للعلاج أو العبادة؟

الجواب: [١] غالب الرياضات الروحيّة لتلك الديانات التي تتخذ من

(١) قواعد في العصمة، ص٩٧ ـ ١٠٥.

غير الشرع هي أنماط رياضات روحيّة لا تشملها عمومات العبادات ولا عمومات آداب الترويض الروحي الوارد في الشريعة، بل بعض تلك الرياضات الروحيّة التي تشملها العمومات هي مشمولة لعمومات ناهية أخرى.

[٢] الرياضات الروحيّة الهندوسية أو البوذية أو الكنفشيوسية أو المشتقة منها كالسيخية والطاوية والشنتوية وغيرها هي طقوس ومراسم مؤدية للارتباط الروحي مع أرواح الشياطين وأرواح الجن، وهي متنوعة ومتعددة الأسماء، وكثير منها والأكثر يظن أنها تنمية لقوى النفس الإنسانية وطاقاتها نظير التنويم المغناطيسي، بينما هي في الحقيقة تقوية للارتباط بالجن والشياطين، ومن خلال قوى وطاقات الجن والشياطين يتم كشف بعض المغيبات الأرضية ونحوها، ويخيّل للمرتاض بالرياضات الشيطانية أنه يتواصل مع الملائكة قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ۞ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤٠ ـ ٤١].

وهذا بخلاف الرياضات الشرعية فإنَّ نتيجتها كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠]، وروى القمي في ذيل الآية عنه عليه السلام: «ثم ذكر المؤمنين من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ قال على ولاية أمير المؤمنين عليه السلام قوله: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ قال: عند الموت ﴿أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ نحن أولياؤكم في الحياة الدّنيا ـ قال: كنّا نحرسكم من الشياطين ـ وفي الآخرة أي عند الموت».

[٣] قد أثبت القرآن جملة من القدرات للجن والشياطين الخارقة للعادة،

ولكنها لا تصل إلى الإعجاز الإلهي، وإن تخيل ذلك العقلية المتوسطة لعموم الناس:

١. الاقتدار على طي الأرض وعلى نقل الحمل الثقيل بالطي والقيام بأمور هندسية بديعة وزخارف في منتهى الجمالية كقوله تعالى: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ﴾ [النمل: ٣٩] أنه يقتدر على نقل وزن ثقيل من اليمن إلى فلسطين في عرض دقائق، وقال تعالى في أفعالهم لسليمان النبي: ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ﴾ [ص: ٣٧] وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٢] و ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾ [سبأ: ١٣].

٢. تمكنهم من مراقبة بني آدم منذ الصغر حتى الممات ولا يمكن التخفي منهم، قال تعالى عن إبليس والشياطين: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٧].

٣. استراق السمع في السماء لمعرفة وقائع وأنباء المستقبل، قال تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا * وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن: ٨ ـ ٩]، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ * وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ * إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾ [الحجر: ١٦ ـ ١٨]، وقال تعالى: ﴿يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٣]، وقال تعالى على لسان الجن: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا * وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الجن: ٤ ـ ٥].

[٤] كما أثبت القرآن أن التواصل الروحي مع الشياطين إما عبر المعاصي أو عبر الطقوس اللواذ بهم وهو التوجّه الروحي لهم عبر المراسم الشيطانية، هذا التواصل معهم يسبب تصرفات شرّ وسوء في بني آدم إن لم يحترزوا بطاعات الله تعالى:

١. سلطانهم على الموالين لهم والطائعين لهم، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ * إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴾ [النحل: ٩٨ ـ ١٠٠].

٢. الارتباط والتواصل والتخاطر غير المحسوس بين الشياطين وبين أوليائهم من الإنس، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢١].

٣. التنزل، وهو نمط ونحو من الارتباط الرُّوحي، قال تعالى: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢١ ـ ٢٢٣].

٤. تعليم السحر لبني آدم قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾ [البقرة: ١٠٢].

٥. استهوائهم لبني آدم أي تأثيرهم في هواهم، قال تعالى: ﴿ قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ ﴾ [الأنعام: ٧١].

٦. دفع بني آدم للمعاصي بخفاء واحتيال، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ [مريم: ٨٣].

٧. إرهاق بني آدم وإضعاف توازنهم الرُّوحي العصبي بلجوء بني آدم للارتباط الرُّوحي بهم، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦] و﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٠].

٨. الصدّ عن الطاعات لله تعالى والإضلال عن الهداية، قال تعالى: ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا﴾ [النساء: ٣٨] وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ * وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ * حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ * وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ [الزخرف: ٣٦ ـ ٣٩].

[٥] أن الرياضات الرُّوحيَّة على ثلاثة أقسام:

الأولى: الشرعية المؤدّية للقرب الإلهي.

الثانية: الطقوس الشيطانية المؤدّية للارتباط بهم، كالذي يفعله السحرة والكهنة.

الثالثة: الممكن توظيفها لكلا الجانبين، كالزهد في الدُّنيا ورياضة قطع التعلُّقات النفسانية عن ميول الهوى وعن الأمور المادية.

وأيٌّ كان نوعها ونمطها فإنَّها موجبة للولوج في الملكوت غاية الأمر أنَّ ملكوت الطاعات والعبادات لله تعالى هو ملكوت نوراني عالي، بينما ملكوت الطقوس الشيطانية.

[٦] والخطير اللازم الالتفات إليه أنَّ الرياضة الرُّوحية أياً ما كانت هي

استعداد الرُّوح لولوج الملكوت، فإن لم يكن بدلالة شرعية من الدِّين فلا محالة سوف يكون المرتاض والرائض الرُّوحي في معرض سيطرة قدرات الأبالسة وجنودهم من الشياطين.

وقد دلَّت روايات المعراج المستفيضة على ذلك وأنَّ بداية التوجُّه إلى الملكوت الأدنى بدءاً كانطلاق إلى الأعلى تواجه الإنسان افتتان شديد موجبة للغواية أو الضلال أو الإخلاد إلى أرض حضيض النفس والهوى، بل هذه الفتنة تظلّ قائمة حتى بعد الولوج إلى الملكوت الأعلى كما قال تعالى عن بلعم باعورا: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ * وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [الأعراف: ١٧٥ ـ ١٧٦].

وممَّا تقدَّم يتبيَّن أنَّ اتخاذ هيئات وآليات من الرياضات الرُّوحية من غير الشريعة الغرَّاء قد يوقع في الطقوس الشيطانية من حيث لا يشعر الذي يقوم بتلك الرياضة، نعم مجاهدة النفس بمقاومة الهوى وأنواع الشهوات والعصبيات وقوَّة الغضب وبقية النزوات النفسانية، وعدم الاستجابة لصفات الرذيلة، والسعي الحثيث لإنشاء وبناء وزرع صفات الفضائل.

[٧] الرياضات الرُّوحية سواء الشرعية أو الشيطانية كما تقدّم ذات آثار روحية ملكوتية مع الفوارق المتقدمة، وقد يُعبّر عنها بالطاقات الرُّوحية، فلنذكر بعض أبعاد الرياضات الرُّوحية الشرعية المُسمَّاة بالعبادات: وهو ما قد يُسمَّى بتجسُّم الأعمال أي أنَّ الأعمال سواء كانت صالحة أو طالحة تتجوهر بجسم ذي روح تؤثّر على روح ونفس الإنسان وتتبعها، وتتعايش معه روحياً وتتحدّث معه في عقله الباطن وأعماق روحه، وإن لم يرها بحسِّه الظاهر لكنَّه

يتحسَّسها بقواها الباطنة ويستشعرها بسريرته المطوية، ومن ثم تراه تارة ذا نفس مطمئنة وأخرى مضطربة أو في ضنك وضيق يكاد يصعد، فالإنسان بأعماله الجارحية والجوانحية والقلبية مصنع لخلق جواهر روحانية بأجسام غير مرئية.

ففي رواية سعد الخفاف عن الإمام الباقر عليه السلام: «... قال: قلت: جعلت فداك يا أبا جعفرٍ وهل يتكلّم القرآن؟ فتبسَّم ثم قال: رحم الله الضعفاء من شيعتنا إنهم أهل تسليمٍ ،ثم قال: نعم يا سعد والصلاة تتكلّم ولها صورةٌ وخلقٌ تأمر وتنهى قال سعدٌ: فتغيّر لذلك لوني، وقلت: هذا شيءٌ لا أستطيع أنا أتكلّم به في الناس، فقال أبو جعفر عليه السلام: وهل الناس إلّا شيعتنا فمن لم يعرف الصلاة فقد أنكر حقّنا، ثم قال: يا سعد أُسمعك كلام القرآن قال سعدٌ: فقلت: بلى صلّى الله عليك فقال: إنَّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكرُ الله أكبرُ فالنهي كلامٌ، والفحشاءُ والمنكرُ رجالٌ، ونحن ذكرُ الله، ونحن أكبر».

وفي موثق عمار عن أبي عبد الله عليه السلام: «ومن صلّى الصلوات المفروضات في أول وقتها وأقام حدودها رفعها الملكُ إلى السماء بيضاء نقيّةً وهي تهتفُ به تقول: حفظك الله كما حفظتني وأستودعك كما استودعتني ملكاً كريماً، ومن صلّاها بعد وقتها من غير علّةٍ فلم يُقم حدودها رفعها الملك سوداءَ مظلمةً وهي تهتفُ به ضيَّعتني ضيَّعك الله كما ضيّعتني ولا رعاك الله كما لم ترعني..».

وموثق أبي بصيرٍ قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «.. إنَّ الصلاة إذا ارتفعت في أول وقتها رجعت إلى صاحبها وهي بيضاءُ مشرقةٌ تقول: حفظتني حفظك الله وإذا ارتفعت في غير وقتها بغير حدودها رجعت إلى صاحبها وهي سوداءُ مظلمةٌ تقول: ضيَّعتني ضيَّعك الله..».

ورواية هشامٍ الجواليقي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من صلّى الفريضةَ لغير وقتها رُفعت له سوداء مظلمةً تقول له: ضيّعك الله كما ضيَّعتني..».

وروى: «الرّحمُ تتكلّمُ بلسانٍ طلقٍ ذلقٍ؛ تقول: صِلْ من وصلني».

وفي صحيح أبي بصيرٍ عن أحدهما عليهما السلام قال: «إذا مات العبد المؤمنُ دخل معه في قبره ستّة صورٍ فيهنَّ صورةٌ هي أحسنُهُنّ وجهاً وأبهاهُنَّ هيئةً وأطيبهُنَّ ريحاً وأنظفهُنَّ صورةً قال: فتقف صورةٌ عن يمينه وأخرى عن يساره وأخرى بين يديه وأخرى خلفه وأخرى عند رجليه وتقفُ التي هي أحسنهُنَّ فوق رأسه، فإن أُتيَ عن يمينه منعتهُ التي عن يمينه ثم كذلك إلى أن يُؤتى من الجهات السِّتّ قال: فتقول أحسنهُنَّ صورةً: من أنتم جزاكم الله عنِّي خيراً؟ فتقول التي عن يمين العبد: أنا الصلاةُ، وتقول التي عن يساره: أنا الزكاة ،وتقول التي بين يديه: أنا الصيام، وتقول التي خلفه: أنا الحجّ والعمرة، وتقول التي عند رجليه: أنا برّ من وصلت من إخوانك، ثم يقلن: من أنت؟ فأنت أحسنُنا وجهاً وأطيبنا ريحاً وأبهانا هيئةً فنقول: أنا الولاية لآلِ محمَّدٍ صلى الله عليه وآله.

٨. يتوفر الكثير من الآيات القرآنية والأبواب الروائية على منظومة من الرياضات الرُّوحية وتنمية قدرات الكمال في النفس، ولنذكر جملة مختصرة من النقاط في ذلك:

الأولى: الإلمام بالثقافة والمعرفة العقائدية، فإنَّ العقائد أكبر قلعة حصن وأعظم غرفة تحكّم لشؤون الرُّوح ومساراتها وأحوالها، ولثباتها أمام الزلازل والهزَّات التي تعرض لها.

الثانية: القراءة والتدبُّر أو الدراسة لجملة من المنابع من الآيات والروايات في هذا المجال:

١. كالحِكَم المذكورة في كتاب نهج البلاغة.

٢. الصحيفة السجادية.

٣. كتاب عيون الحكم والمواعظ لليثي.

٤. كتاب غرر الحكم ودرر الكلم للآمدي.

٥. كتاب تحف العقول.

٦. الجزء الثاني من كتاب الكافي.

٧. أبواب جهاد النفس.

٨. أبواب العشرة في كتاب الوسائل.

الثالثة: القراءة والتدبُّر أو الدراسة لجملة من الكتب في هذا المضمار:

١. كشروح الحكم القصار في نهج البلاغة كشرح ابن ميثم.

٢. شروح الصحيفة السجادية كرياض السالكين للسيد علي خان المدني.

٣. شروح كتب الروايات المتقدمة المتضمنة للحِكَم الأخلاقية، وكذلك الكتب الأخلاقية للأعلام مثل:

- محاسبة النفس: وهو عنوان لعدّة تآليف للأعلام كالسيِّد رضي الدِّين علي بن طاووس والشيخ إبراهيم الكفعمي.
- أسرار الصلاة: وهو عنوان قد أُلّف فيه العديد من الأعلام كالشهيد الثاني العاملي والميرزا جواد الملكي التبريزي وغيرهما.

الرابعة: ذكر كثر من الأعلام أنماط كثيرة من الرياضات الرُّوحية تؤدِّي ممارستها وإدمانها للوصول إلى مراتب كمال النفس نذكر نبذة منها:

١. الأذكار الدِّينيَّة يتوسّط الأسماء والصفات الإلهية سواء اللفظية أو الفكرية أو القلبية.

٢. محاسبة النفس اليومية، بل في كُلِّ الأنات.

٣. تغيير الصفات الرذيلة وتبديلها بصفات فضيلية بنحو التدريج.

٤. إثارة الشوق والتوقان والمحبة القلبية لله تعالى وللنبي صلى الله عليه وآله ولأهل بيته عليهم السلام وللإثارة آليات عديدة.

٥. الدُّعاء والنجوى بأبوابه المختلفة المتنوعة وإدمانها.

٦. إدمان التوجُّه القلبي في الصلاة والدؤب والاستمرار في التركيز الفكري والقلبي للتوقي عن غفلة وسهو القلب.

٧. الزيارات للنبي صلى الله عليه وآله ولأهل البيت عليهم السلام والنجوى الفكرية والقلبية بكلمات الزيارة.

٨. الانقطاع لله تعالى وإدمان التوسُّل بالنبي صلى الله عليه وآله وبأهل البيت عليهم السلام.

٩. التفكُّر، ولهذه الرياضة آليات منها زيادة الاطلاع والمعرفة العلمية بالعقائد، ومنها الاعتبار أي التدبُّر في مظاهر الخلقة في الآفاق والمقادير.

١٠. زيادة الاطلاع والمعرفة النظرية بمفاهيم الفضائل والرذائل والتدبُّر في معانيها والتذوق لحالاتها التي تمرُّ بالرُّوح والنفس سواء في بعد معناها اللغوي أو التخصُّصي من علم الأخلاق أو البيانات الرُّوحية في الآيات والروايات، فإنَّه له بالغ النفع في معايشة حقائق الأخلاق والالتفات إلى حالات الرُّوح وشؤون النفس.

مكتب المرجع الدِّيني سماحة الشيخ محمد السند

٢٥/جمادى الثاني/١٤٣٩هـ

سؤال: اطّلعت على جواب مفصّل سابق لجنابكم حول ما يُسمَّى بـ(علم الطاقة) و(الرياضة الرُّوحيَّة)، والذي فهمته أَنَّكم ربطتم هذا العلم بالشياطين

والجنّ فقلتم: (هي طقوس ومراسم مؤدِّية للارتباط الرُّوحي مع أرواح الشياطين وأرواح الجنّ).

والحال أنَّ بعض المتخصصين في مجال علم الطاقة ـ من أهل التديُّن ـ لما استعرضوا جوابكم المطوّل استغربوا كثيراً، حيث أنَّهم نفوا أن تكون مبادئ هذا العمل معتمدة بشكل أو بآخر بالجنّ وغيره، فإنَّ قانون الجذب عندهم أو التخاطر أو تأثير المشاعر السلبية والإيجابية على واقع الحياة أمر علمي وله تفسيراته العلمية.

كما أنَّ جلسات التأمُّل واليوغا هي حالة من طلب الصفاء الرُّوحي، وأثبتت الدراسات العلمية أنَّ ذلك له تأثير كثير في كون الإنسان إيجابياً وبالتالي سيؤثّر بإيجابيته على الآخرين، فما ربط الجن والشياطين بذلك؟

وإذا كان بعض المشعوذين يستغلّ مبادئ هذا العلم لأغراض شريرة، فإنَّ في كل علم هناك من الأشرار من يستغلها استغلالاً سيئاً، فلا يكون ذلك مدعاة لذمّ نفس العلم.

نعم، هناك مشكلة واحدة ـ كما ذكر المتخصصون ـ تحتاج إلى حلّ وهي أنَّ الملحدين يحتجون على الموحدين: بأنَّه لا حاجة إلى عبادة الله والانقطاع إليه، فإنَّ الإنسان إذا وجَّه طاقته نحو الخير سيحصل الخير والعكس بالعكس، فهم يترجمون (تفاءلوا بالخير تجدوه) و(كما تدين تُدان) و(شبيه الشيء منجذب إليه) على أنَّها سُنن كونية وقوانين طبيعية، فمن هذه الناحية ـ أعني ادّعائهم الاستغناء عن الله ـ نحتاج إلى جواب معتمد على قواعد عقلية لردّهم، ولا ربط للجنّ أصلاً ـ لا من قريب ولا من بعيد.

مولانا الأجل، هذه خلاصة أشكال بعض المتخصصين في مجال علم

الطاقة من أهل التديُّن على جوابكم السابق حول علم الطاقة والرياضة الرُّوحيَّة، أحببت نقله لكم بانتظار ردّكم الكريم.

الجواب: لو يُدقّق في المقال الذي نُشر، حيث قد بيَّنا المُراد من تهيأ من يزاول الرياضات عموماً للارتباط بالشياطين ما لم يكن هناك عاصم من الطقوس الدِّينيَّة، وقد أشارت إلى ذلك جملة مستفيضة من طوائف الآيات والروايات كروايات المعراج وغيرها وأحاديث قدسية نظير ما مضمونه «أنَّ من زهد في الدُّنيا يؤتيه الله الحكمة مؤمناً كان أم كافراً»، والمُراد بالحكمة القدرة في الملكوت النازل، ولا يخفى أنَّ الكافر يوظّف ذلك في الشيطنة والشياطين كما هو الحال في إبليس اللَّعين، وذلك لعدم سلوكه العبادة موجهاً وجهه لله تعالى.

قد تحقَّق من ارتباط الكثير ممَّن يزاول الرياضات الرُّوحيَّة ـ كالتنويم المغناطيسي والخلع الرُّوحي وأي رياضة تسلك الغوص الرُّوحي ـ من دون توظيفها في العبادات الشرعية ـ ارتباطهم بالشياطين.

نعم، هذا الارتباط لا يشعر به المرتاضين بنحو مركز ولا بالتفات مركَّب وإن تحسّسوه ارتكازاً بسيطاً روحياً، كما أنَّ الحال كذلك في جانب الرياضات الشرعية كالزيارة والصلاة والوضوء وغيرها لا يشعر الآتي بها بما يتفاعل به روحياً من ارتباطات مع الأنوار الإلهية بنحو مركز وبالتفات مركَّب، بل يشعر ويتحسَّس ببعض الآثار من الراحة والسكينة الرُّوحيَّة.

نعم، هذه الرياضات الرُّوحيَّة غير الشرعية كرياضة تركيز الخاطر والخواطر وغيرها يحسن ممارستها وتوظيفها داخل الرياضات الشرعية، حيث قد أُمر بها كالأمر بإقبال القلب في الزيارة والصلاة، وكالأمر بمصارعة

النفس ومواجهتها، والأمر بالتجرع الرُّوحي للغصص والغضب ونحوهما جرعات روحية.

وأمَّا استعمالها منعزلة عن الطقوس الدِّينيَّة فسبيلها الارتباط بالشياطين لا محالة.

حوارات في السير والسلوك[1]

المحاور: ما نظركم حول السير والسلوك؟ وهل يميّز فيه الصالح من الرديء؟

الشيخ السند: السير والسلوك الفقهي والمعرفي ونظم صفات الرُّوح وفقاً لتوصيات الوحي المُبيّنة في لسانه هي أهدى سبيلاً.

عبادة الأحرار:

المحاور: لقد ورد في الروايات الشريفة بيان ثواب الأعمال المندوبة بأجر عظيم وتفصيل كثير، كالذي ورد في أعمال الأشهر الثلاثة، فكيف يناسب ذلك السياسة التربوية لدى الأئمَّة عليهم السلام مع ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام: إنَّ عبادة التجار طمعاً في الثواب، وعبادة العبيد خوفاً من العقاب. دون عبادة الأحرار (إنَّ قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار، وإنَّ قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد، وإنَّ قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار)؟

الشيخ السند: إنَّ هناك معنى مغلوطاً مشهوراً حول تفسير كلام أمير المؤمنين عليه السلام في عبادة التجَّار والعبيد مقابل عبادة الأحرار،

---

(١) حوارات مع سماحة المرجع الشيخ محمَّد السند من كتاب «التشريع والتكليف».

وسرى هذا التوهم في فهم كلامه عليه السلام حتى لدى فلاسفة الشيعة ومتكلميهم فضلاً عن علماء الجمهور، وهو أنَّ من يعمل بداعي الثواب فهي عبادة التجار، ومن يعمل وقاية من العقاب فهي عبادة العبيد، بخلاف من يعبده تعالى حباً فيه واستحقاقاً للشكر فهي عبادة الأحرار، وقرّر ذلك حتى ابن سينا في الإشارات والغزالي وغيرهما شرحاً لكلام أمير المؤمنين عليه السلام.

إلَّا أنَّ الصحيح بشواهد عديدة ـ ليس في المقام مجال لذكرها ـ أنَّ عبادة التجَّار ليست تدور مدار أصل داعوية الثواب، ولا عبادة العبيد تدور مدار أصل خوف العقاب، ولا عبادة الأحرار تدور مدار تمحّض انفراد داعي العبادة في الحب والشكر. بل المُراد من عبادة التجَّار تمحّض وانفراد الداعي في الثواب، ومن عبادة العبيد تمحّض الزاجر في الخوف من العقاب، وأمَّا لو اجتمعت محركية الدواعي الثلاثة بنحو طولي موزّع بحسب مناسبات قوى الإنسان فذلك أكمل الكمال.

بيان ذلك:

إنَّ القوى البهيمية والغرائزية الحيوانية النازلة لا بُدَّ فيها من قوى رادعة، وأمَّا القوى الغريزية الحيوانية والإنسانية المشتركة فلا بُدَّ فيها من الترغيب والتطميع بما يناسبها ويجانسها، وأمَّا القوى العالية في الإنسان كالعقل والقلب والرُّوح فلا بُدَّ فيها من تجليات الجمال الإلهي ورهبة الجلال الربوبي، فإذا رُوِّضت القوى النازلة بالخوف، وهُذِّبت القوى المتوسطة بالطمع، شايعت حينئذٍ القوى العالية في عروجها لغاياتها الشريفة. وهذا سِّر تربية القرآن الكريم للبشر على الدواعي الثلاثة، وسِّر وجود تلك الدواعي الثلاثة في أدعية وكلمات المعصومين عليهم السلام.

الرياضات الشرعية:

المحاور: ما معنى الرياضة الشرعية عند المرتاضين، وكيف أستطيع ممارساتها، الرجاء توضيح بعض الرياضات الشرعية؟

الشيخ السند: الرياضة الشرعية عُرِّفت في لسان الكُتَّاب والسُّنَّة بالتقوى والتَّزكيَّة والورع، وهي: إتيان الواجبات وترك المحرَّمات، وهناك درجة أخرى وهي: الالتزام بالمندوبات وترك المكروهات الشرعية، وهناك درجة ثالثة وهي: التحلِّي بالصفات الفاضلة وقلع الصفات الرذيلة، وتولِّي أولياء الله تعالى وحججه والتبرّي من أعدائهم.

وعلى كُلِّ تقدير، فإنَّ الالتزام بالنوافل ـ لا سيَّما صلاة اللَّيل والتهجُّد في السحر والاستغفار والتعقيبات بعد الفرائض، وكذلك نوافل الظهرين التي أُطلق عليها صلاة الأوَّابين، ودوام التوجُّه بالقلب في الصلاة فإنَّ للمصلِّي من صلاته ما أقبل قلبه كما في الروايات عن أهل البيت عليهم السلام، ودوام مراقبة النفس والالتفات إلى كيفية صدور الإرادة من النفس، فإنَّ دوام الالتفات إلى النفس باب عظيم يولِّد ملكة الهيمنة والقدرة على ترويض قوى النفس الحيوانية، كما أنَّ دوام قراءة الكتب الأخلاقية وبالأخَصّ الروايات الأخلاقية يُورث البصيرة النافذة لتشخيص أمراض النفس ودوائها، كما أنَّ الإحاطة الشاملة بالأحكام الشرعية ضرورة بالغة الأهمية، إذ بمعرفة الأحكام يتعرَّف الإنسان على مواطن رضا الله تعالى عن مواطن غضبه، فلا يتخبَّط عشوائياً تابعاً لهوى النفس وتسويلات الشيطان باسم الرياضة والتهذيب، فلا يقع في فخ وحبائل الانحراف، كما أنَّ حسن من يعاشره ويصادقه المرء له بالغ التأثير في أخلاقه. وبالجملة: إنَّ جملة العبادات المندوبة ـ أبواب لترويض النفس، وكذلك الآداب الدِّينيَّة.

ولكُلِّ عبادة نكهة خاصة تُؤثِّر في تزكية النفس، ولا يخفى تأثير المعرفة الواسعة بالله تعالى وبأُصول الدِّين في توليد الصفات الحسنة الجميلة في النفس الإنسانية.

التفقه في الدِّين اعتصام من الضلال:

المحاور: ما هي أفضل وسيلة للاعتصام من الضلال؟

الشيخ السند: قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

وقال الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام: «تفقَّهوا في دين الله، فإنَّ الفقه مفتاح البصيرة، وتمام العبادة، والسبب إلى المنازل الرفيعة والرُتب الجليلة في الدِّين والدُّنيا، وفضل الفقيه على العابد كفضل الشمس على الكواكب، ومن لم يتفقَّه في دينه لم يرضَ الله له عملاً»(١).

وقال عليه السلام: «اعرفوا منازل شيعتنا بقدر ما يحسنون من رواياتهم عنَّا»(٢).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «تفقَّهوا في الدِّين، فإنَّه مَن لم يتفقَّه في الدِّين فهو أعرابي»(٣).

وفي حديث آخر: «لم ينظر الله إليه يوم القيامة، ولم يزكِّ له عملاً»(٤).

---

(١) تحف العقول، ص٤١٠؛ عنه بحار الأنوار، ج١٠، ص٢٤٧.

(٢) رجال الكشّي، ج١، ص٦، طبع مؤسسة آل البيت عليهم السلام.

(٣) أُصول الكافي، ج١، ص٣١، باب فرض العلم ووجوبه، ح٦.

(٤) أُصول الكافي، ج١، ص٣١، باب فرض العلم ووجوبه، ح٧.

وفي صحيح أبان بن تغلب، عن أبي عبد الله عليه السلام: «لوددت لو أنَّ أصحابي ضُرِبت رؤوسهم بالسياط حتى يتفقَّهوا»[(١)].

وروى بشير الدهَّان عنه عليه السلام: «لا خير فيمن لا يتفقَّه من أصحابنا. يا بشير، إنَّ الرجل منهم إذا لم يستغن بفقهه احتاج إليهم، فإذا احتاج إليهم أدخلوه في باب ضلالتهم وهو لا يعلم»[(٢)].

وقال عليه السلام: «الرواية لحديثنا يشدُّ به قلوب شيعتنا أفضل من ألف عابد»[(٣)].

وقال عليه السلام: «إذا أراد الله بعبد خيراً فقَّهه في الدِّين»[(٤)].

وفي حديث آخر: «الكمال كل الكمال التفقُّه في الدِّين، والصبر على النائبة، وتقدير المعيشة»[(٥)].

وفي آخر أيضاً: «كمال الدِّين طلب العلم والعمل به»[(٦)].

وفي حديث قال عليه السلام: «ألا، لا خير في عبادة لا فقه فيها»[(٧)].

وقال عليه السلام: «ما من أحد يموت أحبُّ إلى إبليس من موت فقيه»[(٨)].

فمفاد هذه الأحاديث الشريفة أنَّ الذي يدّعي الوصول إلى المقامات

---

(١) أُصول الكافي، ج١، ص٣١، باب فرض العلم ووجوبه، ح٨.
(٢) أُصول الكافي، ج١، ص٣٣، باب صفة العلم والعلماء، ح٦.
(٣) أُصول الكافي، ج١، ص٣٢، باب صفة العلم والعلماء، ح٨.
(٤) أُصول الكافي، ج١، ص٣٠، باب صفة العلم والعلماء، ح٣.
(٥) أُصول الكافي، ج١، ص٣٢، باب صفة العلم والعلماء، ح٤.
(٦) أُصول الكافي، ج١، ص٣٠، باب فرض العلم ووجوب طلبه والحثّ عليه، ح٤.
(٧) أُصول الكافي، ج١، ص٣٦، باب صفة العلماء، ح٣.
(٨) أُصول الكافي، ج١، ص٣٨، باب فقد العلماء، ح١.

الرُّوحيَّة عبر الرياضات النفسيَّة والاستعداد النفسي أو نحو ذلك، مهما كان متنسّكاً وطوى من الأوراد والأذكار والرياضات والختوم في دورات عديدة وأربعينيَّات كثيرة، إذا لم يتفقَّه في الدِّين والشريعة فهو أعرابي لا يزكِّي الله تعالى له عملاً، كيف وهو لم يتعرَّف على حدود الله، ومواطن رضاه، وموارد سخطه؟ إذ أنَّه ليس بنبيّ ولا رسول، فمن لا يتقيَّد بحدود الشريعة كيف يتصوَّر أنَّه على قرب منه تعالى، ومن ثَمَّ كان الفقيه ـ وهو المبيِّن والموضح لحدود الشريعة من الكتاب والسُّنَّة ـ أبغض شيء لإبليس؛ لأنَّه ببيان حدود الشريعة تفشل خطط وحيل إبليس وشبكات تسويلاته الرُّوحيَّة؛ ولأنَّ التقيُّد بالشريعة هو ميزان الاستقامة، وأنَّ مرمى ومطمع إبليس في غوايته لكثير من الفِرَق والجماعات ـ التي تتقمَّص السلك الرُّوحي وتدّعي الارتباط بمنابع الغيب ـ هو دفع تلك الجماعات إلى فسخ الالتزام بحدود الشريعة بارتكاب المحرَّمات والتنصُّل عن أداء الواجبات شيئاً فشيئاً، وبالتالي إغراؤها في الانسلاخ عن دين خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله.

ومن هنا كان الفقه والتفقُّه يوضِّح معالم الدِّين وحدود الشريعة وحدود الطريق إلى الله تعالى وتمايزه عن حدود الطريق إلى الغواية والضلال، كما أنَّ الفقه يقف سدّاً منيعاً أمام التأويلات الباطلة الضالَّة لنصوص القرآن والحديث، فإنَّ تلك الجماعات تعتمد ضمن وسائلها الإقناعيَّة لجذب الناس إلى مسيرها على تأويلات لنصوص دينية لا تستند إلى ميزان وضوابط سوى الدعاوى وميول الاهواء وادّعاء المقامات الغيبيَّة والارتباط، وأنَّ كل ما يقولونه هو إلهام غيبي وإيحاء لدنيّ لا يقبل النقاش والمسألة، وهو فوق الاستدلال والبحث والنقد..

على سبيل النبذة لا الاستقصاء:

منها: إبليس اللعين، فإنَّه كما يصفه القرآن الكريم بالتمكين الذي أعطاه الله له: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٧].

وقال تعالى: ﴿ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [الإسراء: ٦٤].

وقال تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمۡ أَزّٗا ﴾ [مريم: ٨٣]، ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡ ﴾[الأنعام: ١٢١].

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ﴾ [الزخرف: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النمل: ٢٤]، وغيرها من الآيات التي تتحدَّث عن المكانة والقدرة التي أعطاها الباري تعالى لإبليس من التأثير على نفوس بني آدم إلَّا المخلَصين، وهي درجة من الملكوت لم ترقَ إليها القوى العظمى للدول البشرية عبر التاريخ إلى يومنا الحاضر، هذا مضافاً إلى تسخيره لمردة الشياطين والعفاريت جنوداً له ليسترقوا السمع ويراقبوا جميع البشرية من لدن آدم عليه السلام إلى يوم الوعد المعلوم.

وبيَّن أمير المؤمنين عليه السلام أنَّ هذه المكانة والقدرة لم تُعطَ لإبليس اللَّعين جزافاً واعتباطاً، قال عليه السلام: «فاعتبروا بما كان من فعل الله بإبليس إذ أحبط عمله الطويل، وجهده الجهيد، وكان قد عبد الله ستة آلاف سنة، لا يدري أمن

سِني الدُّنيا أم من سِني الآخرة، عن كبر ساعة واحدة، فمن ذا بعد إبليس يسلم على الله بمثل معصيته؟ كلَّا»[1].

فهذه الستة آلاف سنة التي لا يُدرى أنَّها من سِني الأرض أو من سِني السَّماء التي عبد الله تعالى فيها، هي التي أوجبت الجزاء له بهذا التمكين، فهو قد ارتضى هذه المدَّة ومضى حقباً في الرياضة الرُّوحيَّة لكن ابتغى بها نتيجة بخسة، وهي التمكين في دار الدُّنيا من سلطان الملكوت النازل، وهو في الآخرة من الأخسرين.

ومنها: العفريت من الشياطين، قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ * قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ * قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى﴾ [النمل: ٣٨ ـ ٤٠]، فبيَّن تعالى أنَّ القدرة التي تمكّن منها العفريت نظير المكانة المنزلة التي كانت لدى «آصف بن برخيا» وصيّ النبي سليمان عليه السلام صاحب علم من الكتاب في بعض جهاتها، وإن كانت دونها، مع أنَّ العفريت هو من الشياطين المسخّرين للنبي سليمان عليه السلام، وهذه القدرة لم تكن سحراً وتخيلاً، بل قدرة حقيقية تتجلَّى بأن يأتي في بضع دقائق بعرش ملكة سبأ من اليمن إلى فلسطين.

ومنها: بلعم بن باعورا، قال تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٥ ـ ١٧٦].

---

(١) نهج البلاغة، ج٢، ص١٣٧، الخطبة القاصعة، الرقم ١٩٢.

والآية التي أوتيها «بلعم بن باعورا» هي حرف من الاسم الأعظم، كما وردت بذلك الروايات، والاسم الأعظم ليس قولاً باللِّسان يصوّت، بل هو الرُّوح الأعظم، وإعطاء حرف منه يعني الارتباط الرُّوحي بدرجة من التأييد منه، ومع كُلّ ذلك لم تكن نفس بلعم بن باعورا وشهوتها قد خمدت، بل تغلَّبت في النهاية عليه، وأرادت تسخير هذا الارتباط الرُّوحي بالاسم الأعظم تحت إمرتها، فكانت العاقبة أن انسلخت نفس بلعم عن هذا الارتباط والتأييد، فرغم القدرة التكوينيَّة والمقام الذي وصل إليه، إلَّا أنَّ ذلك لم يضمن عدم وقوعه في الخطأ والمعصية، ولم يمنعه من الشطط والخطل.

ومن ثَمَّ قال جملة من المحققين من أهل المعرفة من الإمامية: إنَّ الشطط والشطحات التي تصيب وتعتور وتعرض على أهل الرياضات الرُّوحيَّة دالَّة وكاشفة عن عدم سيطرتهم على جبلّ النفس وأنانية الذات، ففرعونيته بدل أن تموت، تزداد قوَّة بقوَّة الرياضات الخاطئة أو غير المتقيّدة بالشريعة، فالطريقة تكون بدون الشريعة طريقة شيطانية بدل أن تكون رحمانية، ومن ثَمَّ كان الفقه أماناً من الزيغ والضلال لأصحاب الرياضات الرُّوحيَّة، كما هو أمان لبقيَّة شرائح الأُمَّة عن الانحراف، وهو من معاني التمسُّك بالثقلين أنَّه أمان عن ضلال الأُمَّة.

وفي الحقيقة أنَّ دفائن طبقات النفس على تركيب غامض، فتجتمع ظواهر من الصفات الفضيلية العالية مع هذه الرذائل ذات السوء الشديد، وإلى ذلك يشير ما رواه في الاحتجاج عن الإمام الرِّضا عليه السلام، قال: قال علي بن الحسين عليهما السلام: «إذا رأيتم الرجل قد حسن سمته وهديه، وتماوت في منطقه، وتخاضع في حركاته، فرويداً لا يغرنَّكم، فما أكثر من يعجزه تناول الدُّنيا وركوب المحارم منها لضعف نيته ومهانته وجبن قلبه، فنصب الدِّين فخّاً لها،

فهو لا يزال يختل الناس بظاهره، فإن تمكَّن من حرام اقتحمه، وإذا وجدتموه يعفّ عن المال الحرام فرويداً لا يغرنَّكم، فإنَّ شهوات الخلق مختلفة، فما أكثر من ينبو عن المال الحرام وإن كثر، ويحمل نفسه على شوهاء قبيحة فيأتي منها محرَّماً، فإذا وجدتموه يعفّ عن ذلك فرويداً لا يغرنَّكم حتى تنظروا ما عقدة عقله، فما أكثر من ترك ذلك أجمع، ثم لا يرجع إلى عقل متين، فيكون ما يفسده بجهله أكثر ممَّا يصلحه بعقله، وإذا وجدتم عقله متيناً فرويداً لا يغرنَّكم حتى تنظروا أمع هواه يكون على عقله، أو يكون مع عقله على هواه، وكيف محبتَّه للرئاسات الباطلة وزهده فيها، فإنَّ في الناس من خسر الدُّنيا والآخرة بترك الدُّنيا للدُّنيا، ويرى أنَّ لذَّة الرئاسة الباطلة أفضل من لذَّة الأموال والنعم المباحة المحلّلة، فيترك ذلك أجمع طلباً للرئاسة حتى إذا قيل له: اتق الله، أخذته العزَّة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد، فهو يخبط خبطاً عشوائياً ويقوده أوَّل باطل إلى أبعد غايات الخسارة، ويمدّه ربّه بعد طلبه لما لا يقدر عليه في طغيانه، فهو يحلُّ ما حرَّم الله، ويحرّم ما أحلَّ الله، لا يبالي بما فات من دينه إذا سلمت له رئاسته التي قد يتّقي من أجلها، فأولئك الذي غضب الله عليهم وأعدَّ لهم عذاباً مهيناً» إلى أن قال: «ولكن الرجل كل الرجل، نِعْم الرجل، هو الذي جعل هواه تبعاً لأمر الله، قواه مبذولة في رضا الله، يرى الذلّ مع الحق أقرب إلى عزّ الأبد من العزّ في الباطل، ويعلم أنَّ قليل ما يحتمله من ضرَّائها يؤدِّيه إلى دوام النعيم في دار لا تبيد ولا تنفد، وإنَّ كثير ما يلحقه من سرَّائها إن اتّبع هواه يؤدِّيه إلى عذاب لا انقطاع له ولا يزول، فذلكم الرجل نِعْم الرجل، فتمسكوا به، وبسُنَّته فاقتدوا، وإلى ربّكم به فتوسلوا، فإنَّه لا تُردّ له دعوة، ولا تخيب له طلبة»[1].

---

(١) الاحتجاج، ج٢، ص٥٣.

فمن ذلك ينبغي الالتفات إلى أنَّ الرياضات الرُّوحيَّة تكسب النفس قدرات خارقة، كطيِّ الأرض، وقراءة الضمير، والترائي في منام الآخرين، والتصرُّف في تلك الرؤى، وقراءة الأعمال الماضية أو المستقبلية، وغيرها من قدرات النفس التي قد يطلق عليها علماء الرُّوح والنفس في العلوم الحديثة: قوَّة التخاطر، والجلاء البصري والسمعي، والتنويم المغناطيسي، وغيرها من قدرات وحركات الرُّوح والاتصال مع أرواح الموتى، وأنَّه حكى أفعال خارقة عن مرتاضي الهند أو فِرَق الصوفية المختلفة في الصين وشرق آسيا وغيرها من المناطق، إلَّا أنَّ كل ذلك ليس علامة النجاة ورضا الرَّبّ تعالى، فإنَّ موطن ذلك التقوى والطاعة له تعالى.

ومن الأغاليط التي يُردِّدها مدّعو المقامات والمنازل الرُّوحيَّة، هو تفسير العدالة التي هي ملكة الاجتناب عن المعاصي في السلوك العملي، بأنَّ هذه الماهيَّة هي عصمة مكتسبة، فيقلب عنوان العدالة إلى العصمة، وحيث لا يمكنهم دعوى أنَّها لدنّية بنصب من الشريعة، يختلقون لها مخرجاً كونها مكتسبة وأنَّ العصمة قابلة للاكتساب، وليس بالضرورة أن تكون وهبية لدنية منه تعالى، وأنَّ العصمة وإن كانت شرطاً في المعصومين الأربعة عشر (النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام)، إلَّا أنَّ ذلك لا يعني حصرها فيهم، بل هي عامة قابلة للتحقق في نوع البشر بالاكتساب، وأنَّ العصمة الاكتسابية يكفي فيها العصمة في العمل وإن لم تكن عصمة في العلم، أي يكفي فيها العصمة العملية دون أن تكون عصمة علمية، إلى غير ذلك من الإطارات التي يصيغونها في قوالب لا تنطلي إلَّا على السذّج وقليلي البضاعة العلمية.

مع أنَّه لو فُرض اجتناب شخص عن المعاصي من لدن بلوغه إلى مماته فليس ذلك يخرجه عن حدَّ العدالة، ويتجاوز به إلى حدَّ العصمة، وأيّ فرق

بين الماهيَّتين والمعنيين حينئذٍ، ثمّ أنَّه كيف يعقل انفكاك العصمة العملية عن العلمية، وهل يُعقل لمن يضلُّ الطريق أن تكون له عصمة يمتنع عليه الخطأ في العمل، مع أنَّ علماء الإمامية في «علم الكلام» قد أشبعوا البحث في انَّ العصمة العملية وليدة العصمة العلمية، والعصمة تعني امتناع صدور المعصية من المعصوم وقوعاً، وإن لم تكن ممتنعة منه إمكاناً، وهذا بخلاف العدالة، فإنَّه وإن اجتنب المعاصي طيلة حياته إلَّا أنَّه لا يمتنع منه وقوع وصدور المعصية.

هذا مع أنَّ العصمة تلازم الحجّية الرسمية على الآخرين، فكيف يكون الشخص معصوماً ولا يكون حُجَّة بذاته على الآخرين وينصُّ الشرع الحنيف على لزوم اتّباعه.

ومن هذه الدعوى يتطوَّر الحال عند مدّعي المنازل الرُّوحيَّة إلى دعاوى أكثر فأكثر، ويتطوَّر بهم الحال إلى مزالق يخالفون بها الضرورات الشرعيَّة تحت ذريعة التأويل الذي يفتحون بابه تغطية لتلك المخالفات، كما حصل ذلك لكُلِّ الفِرَق التي انحرفت عن أئمَّة أهل البيت عليهم السلام.

روى الكشّي بسنده عن الصادق قوله عليه السلام: «قوم يزعمون أنِّي لهم إمام، ما أنا لهم بإمام، ما لهم لعنهم الله، كُلَّما سترت ستراً هتكوه، هتك الله ستورهم، أقول كذا، يقولون: إنَّما يعني كذا، إنَّما أنا إمام من أطاعني»[١].

وروي عنه عليه السلام أنَّه قال عن أبي الخطَّاب ـ الذي انحرف بعد أن كان من أصحاب السِّر كبلعم بن باعورا، حين دخل ومعه سبعون رجلاً ـ: «ألا أخبركم بفضائل المسلم؟»، فلا أحسب أصغرهم إلَّا قال: بلى جُعلت فداك، فقلت:

(١) رجال الكشي، ج٢، ص٥٧٦ ـ ٥٩٥، طبع مؤسسة آل البيت عليهم السلام.

«من فضائل المسلم أن يُقال: فلان قارئ لكتاب الله عزَّ وجلَّ، وفلان ذو حظّ من ورع، وفلان يجتهد في عبادته لربّه، فهذه من فضائل المسلم، ما لكم وللرياسات، إنَّما المسلمون رأس واحد، إيَّاكم والرجال، فإنَّ للرجال مهلكة، فإنَّ أبي يقول: إنَّ شيطاناً يُقال له المذهب يأتي في كل صورة، إلَّا أنَّه لا يأتي في صورة نبي ولا وصي نبي، ولا أحسب إلَّا وقد تراءى لصاحبكم، فاحذروه، فبلغني أنَّهم قتلوا معه فأبعدهم الله وأسحقهم، إنَّه لا يهلك على الله إلَّا هالك»[1].

---

(١) المصدر السابق.

الكمال الإنساني[1]

المحاور: ما هو الحدّ الأدنى للكمال الإنساني؟

الشيخ السند: الحدّ الأدنى للكمال الإنساني أن يعرف أُصول دينه بنحو الإجمال، ويلتزم في عمله بالأحكام الشرعية في الفروع، وينتهج في صفاته الآداب الشرعية.

المحاور: ما هي العلامات التي يتعرف من خلالها الإنسان أنَّه خطا خطوة نحو الحق (جلَّ وعلا)؟

الشيخ السند: من أهم علامات الخطى نحوه تعالى هو أن يعرف الحق والحقائق في مسائل العقيدة أكثر فأكثر، وفي جانب العمل يقلع عن السوء ويتلبس بالتقوى أكثر فأكثر.

المحاور: إذا علمنا أنَّ الله تبارك اسمه لا ينتفع بعبادة العباد، فما هي الغاية الحقيقية من خلق الإنسان غير قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]؟

الشيخ السند: إنَّ الباري لا يفعل لغاية يطلبها ويستكمل وينتفع بها، إذ

(١) خلاصة معرفية، ص٢١٢.

هو غني عن أن يفتقر إلى نفسه، فكيف يفتقر إلى مخلوقه؟ لكن أفعال الباري تعالى حيث إنَّها حكيمة على وفق الحكمة فلها غايات تعود إلى نفع المخلوق نفسه، فغاية كمال الجن والإنس هو عبادة الباري تعالى والوصول إلى الخضوع التام والانقياد والتسليم الموجب للقرب الإلهي.

نعم، حيث إنَّ من صفات كمال الباري وأسمائه الحسنى «الأول والآخر» فهو المبدأ، وهو المعاد، وهو غاية كل شيء، فبخلقه تعالى للمخلوقات تظهر وتتجلَّى أسماؤه وآيات عظمته وصفاته ويتبيَّن أنَّه الحق سبحانه وهو محقق الحقائق مبدأها ومعادها.

المحاور: هل تختلف غاية خلق الله للإنسان لبشر وآخر ولجماعة وأخرى، والغاية هنا هي: لماذا خلقنا المطلوب منَّا والذي لأجله وجدنا في هذا العالم إن كانت الغاية واحدة وهي لعبادة الله (وما تحمله من عمق وكمال) فعند ذلك يُقال مثلاً: إنَّ الله خلق جماعة يعبدونه فتنطبق عليهم أنَّ غاية خلقهم عبادته، لكنَّ الله خلق أيضاً في المقابل جماعة أخرى، وهو يعلم قبل خلقهم أنَّهم لم ولن يعبدوه، هنا لا يمكن القول: بأنَّ غاية خلقهم هي عبادة الله لأنَّ الله يعلم أنَّهم لم ولن يعبدوه (مع أنَّ علمه ليس إجباراً لهم)، فالله خلق جماعة كافرة وهو يعلم قبل خلقها أنَّها كافرة، فكيف نقول: بأنَّه جلَّ جلاله خلقهم لغاية واحدة وهي عبادته، وأنَّها لا تختلف عن غاية خلقه للمؤمنين ولعباده؟ فغاية خلقهم لا يمكن أن تكون مماثلة لغاية خلق الجماعة الأولى.

فهل هذا الأمر صحيح؟ وهل فعلاً غاية الخلق تختلف؟ وما هي هذه الغايات؟ وكيف نعرفها بأنواعها؟ وإن كان خطأ، فكيف يردّ على هذه الشُّبهة؟

وما غاية خلقنا وما مدى ارتباطها بحديث الكساء وأحاديث متعددة تفيد بأنَّ الكون كله خُلق لمحمَّد وآل محمَّد، وأنَّه لولا محمَّد وآل محمَّد عليهم السلام لما

خُلقت الأكوان؟ ولما خُلقنا؟ وهل يمكن القول: إنَّ غاية خلق الأئمَّة عليهم السلام والذين خلقوا قبل كل خلق هي نفسها غاية خلق جميع البشر!؟ وهل العباد أيضاً بأنواع ودرجات إيمانهم غاية خلقهم تختلف؟

الشيخ السند: الغاية من خلق المؤمنين والكافرين واحدة، وهي العبادة له تعالى التي فُسّرت بالمعرفة به تعالى، وهي أعلى درجات العبادة، لأنَّ المعرفة تعني التسليم والانقياد، وهو جوهرة وروح العبادة والطاعة، غاية الأمر انَّ الحكمة والغاية في خلق الكافرين كإبليس ويزيد وفرعون ونمرود هو ابتلاء وامتحان المؤمنين، وهذه الغاية متوسطة أي تمهد وتتوسط لتحقيق الغاية النهائية وهي العبادة لكن التي يتوفق إليها المؤمنون، فخلق الكافرين يصبّ في تحقيق عبادة المؤمنين التي لا تتم إلَّا بالامتحان والافتتان.

وكذلك الحال في خلق محمَّد وآل محمَّد (صلوات الله عليهم) فإنَّ الغاية هي عبادة محمَّد وآل محمَّد عليهم السلام، أي معرفتهم بالرَّب تعالى، لكن عبادة النبي وأهل بيته حيث إنَّها قمة وأعلى درجات العبادة، والعبادة الكاملة إنَّما تتحقَّق منهم كان خلق الكون كله بما فيه من أرض وسماوات وبشر مؤمنين وكافرين يصب ويسير في ذلك الهدف النهائي، وهو العبادة الكاملة الكبرى[1].

درجات الناس[2]:

وعموماً، فإنَّ أفراد الإنسان تختلف في الفصل الأخير، وليس الكل على درجة واحدة من طور الذات، فمنهم إنسان ملكي، ومنهم إنسان شيطاني، ومنهم إنسان بهيمي.

---

(١) خلاصة معرفية، ص٢١٤ ـ ٢١٦.

(٢) قواعد في العصمة، ص٦٩.

وكما أنَّ الإنسان ذو درجات كذلك الملائكة على طبقات، فطبقات الكمال تختلف، وإذا كان فضل طينة أبدانهم كـأرواح المؤمنين وأرواح المؤمنين بمنزلة فضل طينة بدن المعصومين، فكيف بالدرجة القاصية العالية من أرواحهم؟ وهل يمكن أن تكون تلك المرتبة العالية مُتّحدة الحكم مع الدرجة الدانية؟ وهي ما عليه أرواح المؤمنين، فضلاً عن أرواح الكفَّار وأعدائهم التي لا تُقاس بأبدان المؤمنين، فأبدان المؤمنين لا تنزل منزلة أرواح الكافرين فضلاً عن أبدانهم، وأرواح الكفَّار خُلقت من سجِّين وأبدانهم أنزل من ذلك، وهذا مفاده اختلاف الأبدان مع أنَّ الكل بشر.

وقد أفادت بعض الأبحاث العلمية[١] أنَّ العصاة تشعُّ منهم طاقة نتنة خبيثة، وإلى ما يمكن أن يطابق ذلك أشارت الروايات، فقد ورد عن عبد الله بن موسى بن جعفر عن أبيه عليهم السلام قال: سألته عن الملكين هل يعلمان بالذنب إذا أراد العبد ان يفعله أو الحسنة؟ قال: «ريح الكنيف والطيب سواء؟ قلت: لا، قال: إنَّ العبد إذا همَّ بالحسنة خرج نَفَسُه طيِّبَ الريح، فقال: صاحب اليمين لصاحب الشمال: قم فإنَّهُ قد همَّ بالحسنة، فإذا فعلها كان لسانه قلمه وريقه مداده فأثبتها لَهُ، وإذا همَّ بالسيِّئة خرج نفسه منتن الريح، فيقول صاحب الشمال لصاحب اليمين: قف، فإنَّهُ قد همَّ بالسيِّئة، فإذا هو فعلها كان لسانه قلمه وريقه مداده فأثبته عليه»[٢].

ولا نقول أنَّ مفاد تلك الأبحاث هي مفاد الرواية، بل ما تتحدَّث عنه تلك الأبحاث هي إحدى الأشعة في قبال ما يجحده كثير من المتأثرين بالبحوث التجريبية واستنكارهم لكثير من المعارف الدِّينيَّة التي لم يكتشفها

---

(١) كما في العلوم الرُّوحيَّة المعاصرة والاكتشافات الفيزيائية.

(٢) الوسائل، ج١، ب٧، مقدمة العبادات، ج٣، ص٥٨.

العلم الحديث؛ ولذا يكثرون من الطعن على تلك المعارف بالخرافات، وكيف يمكن أن يكون بدن الكفَّار مِنْ طينة غَير طينة المؤمن. وانَّ هذا يتنافى مع العلوم الطبيعية الحديثة.

ومِنْ تلك الأُمور التي تثير استغرابهم هي نجاسة الكفَّار، ولابن سينا رسالة يثبت فيها فلسفياً أنَّ الرُّوح كيف تؤثر في نجاسة البدن، وقد بحثها بحثاً تجريدياً عقلياً، وفي العلم الحديث اكتشف أحد العلماء اليابانيين انَّ أفعال المعاصي لا تؤثّر على البدن وحسب بل تلوّث البيئة، فتلوُّث الماء الذي يشربه العاصي والأكل الذي يأكله، والمكان الذي تتواجد فيه المعصية، والبيئة ستتلوث والتسمية العلمية التجريبية هي تلوُّث وتكدُّر، والتسمية الشرعية ـ على فرض التطابق ـ هو تنجيس البيئة.

فالأفعال السيِّئة تنافي الأفعال الفطرية، والمعاصي والرذائل والكلام السيئ تلوّث الطعام والماء، كما اكتشفته الأبحاث العلمية التجريبية في الأعوام القليلة السابقة، ممَّا يعدّ انفجاراً علمياً كبيراً، وإذا كانت الأفعال تؤثر بهذه الدرجة، فما بالك بالعقائد والذي لم يكتشفه البشر إلى الآن، وقد ورد أنَّ المعصية قد تمنع قطر السماء أربعين يوماً[١].

التكامل في عالم البرزخ

المحاور: كيف يهيأ الإنسان نفسه قبل الموت لمرحلة التكامل في البرزخ، بحيث يكون ممَّن يستمر تكامله وقربه من الله تبارك وتعالى وهو عالم البرزخ؟

الشيخ السند: في طليعة ذلك المعرفة الحقة والتوسع في المعرفة

(١) قواعد العصمة، ص٦٨ ـ ٧٠.

الحقة والإيمان، وثم من بعد ذلك تأتي النِّيَّة الصالحة، نيَّة الخير وهي: «إنَّما الأعمال بالنيّات»، فقمة الأعمال بالواقع هي في النية، فإذا كانت النية موجودة وإن كانت لم تتوفر لدى الإنسان إمكانية إنجاز تلك الأعمال، إلَّا أنَّ هذه النِّيَّة بما لها من السعة وأنَّها تسع السموات والأرض هي تتكفَّل لأن يعد الإنسان نفسه أن يجود الله عليه بتلك الكمالات المنوية له وإن لم يستطع أن ينجزها.

المحاور: يعني نيَّة الخير تكون مستمرة في قلبه ويتنقل بها إلى عالم البرزخ؟

الشيخ السند: نعم الأمر حسَّاس، والخطب كبير بالنسبة إلى النِّيَّة، صفات الإنسان الرديئة ـ لا سامح الله ـ تحول دون أن ينوي الإنسان نيَّة الخير، مدى خطورة وعظمة وقيمة النِّيَّة، في الواقع إنَّما يكترث بالعمل في واقع النيَّة، صفاء النيَّة ونفاذ النِّيَّة واستقامة النيّة، أمر عظيم يأتي من ناحية النية، بل بالنية يستطيع الإنسان أن ينوي كل الخير، وحينئذٍ يتساءل ويأمل أن يرفد ويجاد عليه بكُلِّ الكمالات في البرزخ بسبب ما نواه من سعة تلك الخيرات، ولكن من يوفَّق أن ينوي نية جادة تتعلَّق بكُلِّ خير؟!. هذا يحتاج إلى صفاء الرُّوح والقلب السليم، فضائل الصفات في النفس كي تتمكَّن النفس من النِّيَّة الجادة المتعلقة بكُلِّ الخير وكُلّ الخيرات.

المحاور: وحسن النية بالله تبارك وتعالى، يعني أن يحسن الإنسان ظنّه بالله تبارك وتعالى، ويسأله أن يرزقه القرب وما يقربه إليه في الدُّنيا وفي البرزخ؟

الشيخ السند: نعم هذه من فضائل صفاته التي تفتح الباب أمام تلك النِّيَّة الدافعة للخير.

تكامل المرأة:

المحاور: إذا كان من جزاء المؤمن في الجنَّة الحور العين، فما هو حال المؤمنة؟ هل لها جزاء مماثل أم توجد فروقات في أنواع المتع في الجنَّة بسبب نوع الجنس؟

الشيخ السند: الوارد لدينا في روايات أهل البيت عليهم السلام هو أنَّ المؤمن يُعطي هناك أربع نسوة من المؤمنات، ويكون من نصيب المؤمنة المؤمن، فلكُلِّ مؤمن أربع نسوة حتى أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله زوجاته الأربع في الجنَّة كما ورد في روايات أهل البيت خديجة بنت خويلد ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم وكلثم أخت النبي موسى. إلَّا علي بن أبي طالب باعتبار أنَّه يُكفى بفاطمة الزهراء سلام الله عليها. وقد روي عنهم أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «إنَّ الله زوَّجني في الجنَّة مريم بنت عمران وامرأة فرعون وأخت موسى»[1].

المحاور: ولكن الاعتراض أيضاً يرد باعتبار أنَّ التعدُّد هو من خصوصيات عالم الدُّنيا لضرورات اقتضتها نشأة الدُّنيا، هذا التعدُّد ما هو حكمته في الآخرة؟

الشيخ السند: هناك نوع من التوازن لأنَّ هذا البُعد هو بُعد جسماني وليس بُعد روحي معرفي، وإلَّا في البُعد الرُّوحي والمعرفي هناك استواء بين الرجل والمرأة.

المحاور: هذه نقطة مهمة لو تزيدوها توضيحاً؟

الشيخ السند: يعني في الجانب الرُّوحي والمعنوي هناك موازاة، يعني

(١) الفيض القدير في شرح الجامع الصغير، ج٢، ص٣٠.

حسب رقي الرُّوح ومرتبتها الكمالية تكون لها متع متناسبة معها، سواء كانت الرُّوح ذكر أم أُنثى، لكن هذا الأمر يرتبط بالجانب البدني وبُعد جسماني محض ليس يكترث به كثيراً، كثير خطب ممَّا يثير صخبه. الفكر الغربي بسبب رسوخه في الجانب المادي الشهوي البدني والذي يجعل من ذلك أكبر دعامة يُقاس بها الشرف ويُقاس بها مقام الإنسان، والحال أنَّ مقام الإنسان في علمه وعقله وشرفه وشخصية الإنسان في الدرجات العليا من الرُّوح لا بالدرجات النازلة في ذات الإنسان، الدرجات النازلة في الإنسان لا يفترض بها أن تكون ميزاناً أساسياً في قيمته وتقويمه، كأن نقول: إنَّ الإنسان كم مرَّة يقضي وطره في جانب البطن، هذه ليست قيمة الإنسان بأعالي درجاته لا بأسافله، كما ورد في الحديث النبوي عند الفريقين: «إنَّما قيمة المرء بعقله ومنطقه وقلبه لا بكبكبه وذبذبه» يعني الفرج والبطن.

المحاور: المقصود التكامل الرُّوحي؟

الشيخ السند: ومن ثم لا ينظر للمرأة في دين الإسلام ولا سيَّما في مدرسة أهل البيت عليهم السلام وشخصيتها من جانب بدنها أو البيئة التي تفسح لجسد المرأة أن تخوضه أولاً، إن كانت تخوض هذا المجال أو ذاك المجال، إنَّما المجال هو في جانب الشخصية والعلم والعقل والمعنوية، وهذه الأبواب على السواء مفتوحة لكُلٍّ من الصنفين[1].

(١) عوالم الإنسان ومنازله، ص١١٢ ـ ١١٣.

علم الأخلاق

المحاور: لقد دار حديث بيني وبين أحد الإخوان بأنَّه لا يوجد أيٍّ كتاب في (الأخلاق) حيث إنَّ الأخلاق هي وليدة الأفكار الراقية، وادّعى صديقي بأنَّه لا يوجد كتب في (الفقه) الإسلامي تتحدَّث عن الأخلاق، فهل هذا صحيح؟ ليس لدينا في الفقه الجعفري ما يدّعي؟ علماً بأنِّي أقول: إنَّ الأفكار الراقية هي وليدة الأفكار الراقية وليس العكس، وما هو رأي الفقه الجعفري في هذا الموضوع؟

الشيخ السند: علم الأخلاق قد كُتب فيه كتباً كثيرة جداً مثل كتاب (الأخلاق) للسيِّد عبد الله شبر، وكتاب (جامع السعادات) للمولى النراقي، وكتاب (تنبيه الأشراف) للخواجه نصير الدِّين الطوسي، و(معراج السعادة) للمولى مهدي النراقي، وغيرها.

وعلم الأخلاق يتميَّز عن علم الفقه من حيث الموضوع ومن حيث الحكم، ومن جهة حيثية البحث، فإنَّه في علم الأخلاق من جهة حسن وقبح الأفعال والصفات وكيفية حصولها وزوالها، وفي الفقه من جهة الإلزام الشرعي وعدمه والتنجيز والتعذير[1].

---

(١) خلاصة معرفية، ص٢٥٧.

أشرف العلوم:

قال النَّبيُّ ﷺ: «إنَّما العلمُ ثلاثةٌ، آيةٌ محكمةٌ أو فريضةٌ عادلةٌ أو سُنَّةٌ قائمةٌ وما خلاهنَّ فهو فضلٌ»(١).

وقد رواه الفريقان بألفاظ متقاربة وشرحه العلماء المحققون، وملخَّصه أنَّ أركان العلم ثلاثة: العقائد (وهي أُصول أركان التوحيد)، والأخلاق (وهي المبادئ الرُّوحيَّة والنفسانيَّة)، وفقه الفروع (في المسائل العمليَّة).

وسِّر تركيز النبي ﷺ على معيَّة هذه الثلاثة، أنَّ التركيز على العقائد دون الفقه يُسبِّب شذوذاً بل شططاً عن معارف الدِّين، وهو يحصل كثيراً؛ لأنَّ للعقائد انعكاساً على ظواهر الشريعة، والتفريط فيها يُسبِّب الانحراف والضلال، وهذا هو أحد أسباب انحراف الصوفية وجملة من العرفاء!!

وكذلك التركيز على الفقه مع متاركة العقائد أيضاً يُسبِّب الشذوذ والشطط عن الصواب، كما لوحظ ذلك أيضاً كما في المقصّرة عن معارف أهل البيت عليهم السلام والمنكرين لمقاماتهم وفضائلهم.

وكذلك الحال في التركيز على العقائد والفقه من دون الإلمام بالأخلاق تنظيراً وارتياضاً، فإنَّه يشطّ بالباحث عن الجادة وتستغفله النفس الأمَّارة، وتأخذ به إلى الهاوية، كما حصل ذلك «للعبرتائي»، فإنَّه كان عالماً مليئاً وحجَّ أربعاً وخمسين مرَّة، عشرون منها على قدميه، وقد خرج من الناحية المقدَّسة إلى «القاسم بن العلا» أحد الوكلاء للنوَّاب الأربعة في شأنه: «قد كان أمرُنا نفذ إليك في المتصنِّع ابن هلالٍ، لا رحمهُ اللهُ بما قد علمت، لم يزل لا غفرَ اللهُ لهُ ذنبهُ ولا أقالَهُ عثرتَهُ، دخل في أمرِنا بلا إذنٍ منَّا ولا رضىً، يستبدُّ برأيه

---

(١) أُصول الكافي، ج١، باب صفة العلم وفضله.

فيتحامى من دُيوننا، لا يمضي من أمرِنَا إيَّاهُ إلَّا بما يهواهُ ويريدُ، أردَاهُ اللهُ في نار جهنَّمَ، فصبرنَا عليه حتى بترَ اللهُ عمرَهُ بدعوتِنَا، وكنَّا قد عرَّفنا خبرَهُ قوماً من موالينا في أيَّامه لا رحمهُ اللهُ، وأمرناهُمْ بإلقاء ذلك إلى الخُلَّصِ من موالينا، ونحنُ نبرأُ إلى اللهِ من ابن هلالٍ، لا رحمهُ اللهُ وممَّنْ لا يبرأُ مِنه»[1].

وقد يُمثّل لضرورة معيَّة هذه الثلاثة من العلوم بأجنحة الطائرة، فإنَّه كما لديها جناحان من الأمام فلها جناح ذنبي من الخلف، ولو فقدت أحد هذه الثلاثة لما استقام طيرانها ولسقطت هالكة.

وقد قال صادق آل محمَّد عليه السلام: «إنَّ قوماً آمنوا بالظاهر وكفروا بالباطن فلم ينفعهم شيءٌ، وجاء قومٌ من بعدهم فآمنوا بالباطن وكفروا بالظاهر فلم ينفعهم ذلك شيئاً، ولا إيمان بظاهرٍ [إلَّا بباطنٍ] ولا بباطنٍ إلَّا بظاهرٍ»[2].

ويشير عليه السلام في هذا الحديث إلى ضرورة معيَّة العقائد مع الفقه، فإنَّ العقائد باطن في القلب، والفقه ظاهر في العمل، ولا بُدَّ من الجمع بينهما، كما أنَّ الأخلاق جهة منها باطنة في النفس وجهة منها في الظاهر، وهي الآداب.

وهو عليه السلام يشير إلى الانحراف الذي أصاب الفرق الباطنية والتي تولّد منها التصوف والعرفان، إنَّها تشبَّثت بالباطن من المعارف وتركت الفقه من الشريعة الظاهرة، ومن ثم أكَّد العلماء الأعلام على ضرورة الموازنة بين العلوم الباحثة في المجالات الثلاثة وعدم الإفراط والتفريط فيها.

لم يكن تحسُّس الحوزات العلمية الشيعية من دراسة الفلسفة والعرفان لأجل كونهما لغة عقلية ولغة ذوقية، كيف؟ وأهل البيت عليهم السلام هم أئمَّة لغة

---

(١) رجال الكشّي، ج٢، ص٨١٦.

(٢) بصائر الدرجات في فضائل آل محمَّد صلَّى الله عليهم، ج١، ص٥٣٧.

العقل والقلب والمؤسّسون لهما في تاريخ العلوم الإسلامية الفائقة على سطح المستوى البشري آنذاك وإلى العصر الحالي، فإنَّ «نهج البلاغة» وهو من تراث نصف القرن الأوَّل الهجري مشتمل على أدقّ وأبهر وأعظم البحوث العقلية في التوحيد والمعارف التي يعجز عن تفسيرها البشر، كما أشار إلى ذلك الحكيم الشيعي «الملّا صدرا» وغيره.

وكذا الحال في خطب الصدِّيقة سلام الله عليها، وخطب المعصومين عليهم السلام في شتى المعارف والعلوم.

أمَّا «الصحيفة السجَّاديَّة» فقد قال عنها أحد باباوات الفاتيكان: «بأنَّها دالة على أنَّ النصرانية وإن زعمت أنَّ رئيس العرفان هو عيسى عليه السلام إلَّا أنَّ الإمام زين العابدين عليه السلام يفوقه بأضعاف مضاعفة»، وكذلك أدعية بقية الأئمَّة عليهم السلام.

وقد نشأت الفرق الباطنية ومنها فِرق التصوف ومنها مدارس العرفان من تلاميذهم الذين انحرفوا عن التوازن المتعادل، وإلَّا فهم عليهم السلام روَّاد لغة العقل والذوق الوجداني والقلبي.

كما لم يكن تحسّس الحوزات العلمية وخاصة حوزة «النجف الأشرف» المقدَّسة من هذين العلمين ذاتاً، كيف؟ وكانت الدراسة العلمية لصاحب تفسير الميزان في علمي الفلسفة والعرفان في حوزة النجف الأشرف.

وإنَّما كان تحسّس المراجع العظام حينذاك (أمثال فقيه أهل البيت السيِّد أبو الحسن الأصفهاني وكذلك السيِّد البروجردي قُدِّس سرُّهما وغيرهم من أكابر فقهاء النجف الأشرف) من جعل كلام البشر العاديين من الفلاسفة والعرفاء والصوفية في مستوى الوحي الإلهي، وجعل هالة قدسية لكلامهم

فوق النقد والنقاش، ومن ثم التعصُّب لكلماتهم من دون محاكمة نقدية علمية مقارنة، وكذا لأجل الصدّ عن الغوص في بطون معاني الوحي والعكوف والاعتكاف والتقوقع على نتاج البشر ومتاركة أبواب معارف الوحي القرآني والروائي، فكم من باب من أبواب المعارف لا زال متروكاً مهجوراً مع أنَّه متضمن لعوالم معرفية عظيمة و... و... و...

نعم من الجدير كون لغة العقل والذوق آليتين لقراءة الثقلين وتلميذين مؤهلين لتعلُّم علوم وحي السَّماء، لا لأنَّهما معلّمان، والوحي متلقِّي، كيف والعقل والقلب البشري محدود المدى وقاصر عن الإحاطة بما يحيط به الوحي، وهذا ليس شعاراً بقدر ما هو برمجة ومنهاج يكون فيه الوحي مُعلِّماً والفلسفة والعرفان تلميذين.

إنَّ كثيراً من الباحثين حيث لم ينفتحوا على مشارب متعدِّدة، بل عكفوا على مشرب واحد شطّ بهم البناء العلمي إلى إعوجاج لا يبصر الآفاق الأخرى، ولم يشمّ رائحة تعدُّد المدارس العقلية والذوقية الأخرى الكثيرة المغايرة للفلسفة والعرفان في المعارف، فلم يتأهل للقدرة على المقارنة بينها، هذا فضلاً عن آفة التفريط والتقصير في علم الفقه.

ومن ذلك يتبيَّن لنا من هذا البيان النبوي الشريف ضرورة معيَّة الثقلين[1].

الاختلاف في حالات الآداب:

في أفعال المعصوم وأحواله صبغة نورية كما بيَّنه الإمام الصادق عليه السلام فيما ورد عنه: «وإنَّ أولي الألباب الذين عملوا بالفكرة حتى ورثوا منه حبّ الله، فإنَّ حب الله إذا ورثه القلب استضاء به وأسرع إليه اللطف، فإذا نزل

(١) إسلام معيَّة الثقلين، ص٧١ ـ ٧٥.

منزلاً صار من أهل الفوائد، فإذا صار من أهل الفوائد تكلَّم بالحكمة، فإذا تكلَّم بالحكمة، صار صاحب فطنة، فإذا نزل منزلة الفطنة عمل في القدرة، فإذا عمل به ما في القدرة عرف الأطباق السبعة، فإذا بلغ هذه المنزلة جعل شهوته ومحبته في خالقه»[١]، فإنَّ الأولياء الذين هم دون المعصوم حين يمارسون الأكل والشرب والنكاح يمارسونه في النُّور، بخلاف من يمارس تلك الأُمور كالحيوانات بما فيها من عنجهية وعنف ووحشية كالجمل والبقر والفرس.

فالحيوانات حينما تأكل أو تشرب أو تنكح تفعل ذلك بآلية بهيمية حيوانية غليظة ممَّا يوجب نفرة وتقزُّزاً لدى الإنسان، بينما يمارسها الإنسان بشفافية، فكيف إذا صار الإنسان نورانياً الذي حينما يفعل هذه الأُمور يفعلها بصفاء أكثر بحيث لا تتكدَّر فيه الرُّوح.

فبعض أفراد الإنسان عندما يأكل أو يشرب يفعل ذلك بشراهة وبهيمية بدرجة قد يستحي من نفسه وينفر عندما يلتفت، بينما يمارسها الآخرون بشكل لطيف وشفيف ليس فيه غلظة ولا حدّة، فالإنسان لا يمارس أفعاله بعنف حيواني بل بشفافية إنسانية، فالفعل عادي ولكن الصبغة والآلية إنسانية، وهذا هو لباس الآداب.

نظير ما جاء عن النَّبيّ ﷺ أنَّه لم يكن يأكل عدَّة ألوان من الطعام، ففي الخبر: «أنَّه أتى قباء في يوم خميس وهو صائم، فلما أمسى قال: هل من شراب؟ فقام رجل من الأنصار فأتاه بقدح لبنٍ مضروب بعسل، فلما طعمه رسول الله ﷺ نزعه من فيه فقال: إدامان يُجتزأ بأحدهما دون صاحبه، لا أشربه ولا أحرمه، ولكنِّي أتواضع لربِّي، فإنَّه من تواضع لله

(١) كفاية الأثر، ص٢٥٨؛ ومختصر البصائر، ص١٢٢ قريباً منه.

رفعه، ومـن تكبَّر خفضه، ومن اقتصد في معيشته رزقه الله، ومن بذّر حرمه الله، ومـن أكثر ذكر الله رزقه الله»[١].

فالإنسان إذا أعطى نفسه فسحة من التلذُّذ، فإنَّ ذلك يؤدِّي إلى قوَّة الأنانية والذاتية في نفسه أكثر وأكثر، فتنتج عنها نخوةٌ فرعونية مستكبرة، ويقل حينئذٍ التواضع والخضوع لله، ويشير إلى التلازم بين الرفاه والبطر وبين الطغيان، قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ * أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق: ٦ ـ ٧] وقوله تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ * فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ * وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ * لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ * إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ﴾ [الواقعة: ٤١ ـ ٤٥].

فالترف يولِّد أنانية في النفس، وتتقوَّى حينئذٍ فرعونيتها ظنّاً منه أنَّ القدرة والغنى ذاتيان له، جاهلاً أنَّه عين الفقر، فلو أصابته شدَّة لاعتراض على الله تعالى لاعتباره أنَّ الرفاه ملكه ومن ذاتياته، وأنَّ السعادة النسبية الظاهرية الآنية التي تُسلب عنه في آن من الآنـات هـلاك لـه، بخلاف تحمّل الخشونة والإخشوشان فإنَّ فيه تخنيعاً للنفس وضعضعة لها، فالبلاء يضعضع النفس وينبهها إلى العجز والفقر الذاتي، وبالتالي افتقارها إلى باريها.

والمحصّل: إنَّ الأفعال الغريزية وإنْ صدرت من الجميع ولكنَّها على درجات، فممارسة الشخص النُّوراني لها بنمط، وممارسة الشخص المتسوّط لها بنمط آخر، وممارسة أهل اليقين وممارسة أهل التقوى من أنماط مختلفة، وهذا ما ينعكس على اختلاف الآداب في الحركات والكلام وبقيَّة الأفعال.

فالشخص البدوي تراه ذا غلظة وجفاء، يتصرَّف بحدَّة من غير التفات ويعتبر ذلك أمراً عادياً بالنسبة إليه، بخلاف ذوي النُّفوس الشفَّافة تراهم

---

(١) مستدرك الوسائل، ب٧٢ أبواب آداب المائدة، ح٨، ج١٦، ص٢٩٨.

مرتدين في أفعالهم زينة الآداب، وما يُعبّر عنه بالتمدُّن مقابل البداوة والتشفُّف على درجات قابلة للاشتداد؛ ولذا فإنَّ النَّبيّ والوصيّ والمعصوم لهم نكاح، ولكن نكاح بطريقة روحانية مهذبة نورانية شفيفة ولو كانت الزوجة غير معصومة[١].

أدب النيَّة والكلمات:

الآداب ليست مجرَّد مجاملات وسلوكيات لا تعكس عن شيء خلفها، وإنَّما هي سلوكيات تحكي عن خلفيات وعن أُمور واقعية، ومن باب المثال روى الصدوق في الأمالي بسند صحيح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنَّ داوود عليه السلام خرج ذات يوم يقرأ الزبور وكان إذا قرأ الزبور لا يبقى جبل ولا حجر ولا طائر ولا سبع إلَّا جاوبه، فما زال يمرُّ حتى انتهى إلى جبل، فإذا على ذلك الجبل نبي عابد، يُقال له: حزقيل: فلما سمع دوي الجبال وأصوات السباع والطير علم أنَّه داوود عليه السلام فقال داوود: يا حزقيل، أتأذن لي فأصعد إليك، قال: لا فبكى داوود عليه السلام، فأوحى الله جلَّ جلاله إليه، يا حزقيل لا تعيِّر داوود وسلني العافية، فقام حزقيل فأخذ بيد داوود فرفعه إليه، فقال داوود: يا حزقيل، هل هممت بخطيئة قطُّ؟ قال: لا، قال: فهل دخلك العُجب ممَّا أنت فيه من عبادة الله عزَّ وجلَّ؟ قال:، لا،... الحديث»[٢]. فهذا الفعل من حزقيل وجوابه بـ(لا) لداوود ينطوي على معانٍ ودواعٍ في نفسه وإن لم يتلفظ بها حزقيل، لكنَّ الله تعالى أبداها، فكأنَّما تنزَّه حزقيل عن داوود ورغب عن الاجتماع معه لما حدث لداوود في قضية ﴿إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ﴾ [ص:٢١] فعاتب الله تعالى حزقيل ونهاه عن عتاب داوود.

---

(١) قواعد العصمة، ص٥٩ ـ ٦٢.

(٢) أمالي الصدوق، ص١٥٩، المجلس ٢١، ح٨.

فالآداب والسلوكيات نطق وكلام عن خلفيات ودواعي نفسية ونحوها.

وفي أدب آخر بين الأنبياء نجد قول موسى للخضر عليهما السلام: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦] فهذا أدب من النبيّ موسى للخضر وليس مجرَّد مجاملة، إذ ينطوي هذا الأدب على مقام الحجية للخضر وأنَّ الخضر من بعض الجهات والحيثيات، لا كلها، يفضل على موسى، وإلَّا لما صحَّت تبعية موسى له، فالصورة في هذا التصرُّف آداب، ولكن الواقع يحكي عن معانٍ وحقائق واقعية، ومقامات اصطفائية.

وفي رواية أُخرى عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٩] «والله ما قالوا هذا لهم، ولكنَّهم أضمروه في أنفسهم فأخبر الله بإضمارهم، يقولون: لا نريد منكم جزاءً تكافئوننا به ولا شكوراً تثنون علينا به، ولكن إنَّما أطعمناكم لوجه الله وطلب ثوابه»[1]. فصفات الإنسان فيها نطق، وعمل الإنسان يتكلَّم وينطق وإنْ لَمْ يحرِّك شفتيه ولسانه.

ففعل الإنسان وكذا سائر المخلوقات ينطوي على معانٍ يعلمها الباري أو يعلمها من يعلّمُه الباري تعالى.

فالتكلُّم ليس صرف الأصوات والألفاظ، بل يمكن أن يحصل الكلام بلا صوت ولا تلفُّظ، بل من خلال ما يعكسه الفعل من المعاني[2].

---

(١) الأمالي للشيخ الصدوق، المجلس ٤٤، ح١٣، ص٣٣٣.

(٢) قواعد في العصمة، ص٢٠١ ـ ٢٠٣.

التشدُّد والترهُّب والرياضات غير المأثورة(١)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ * وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ * لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [المائدة: ٨٧ ـ ٨٩].

قيل: إنَّ الآية الأُولى ـ ٨٧ ـ نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام وبلال وعثمان بن مظعون، فأمَّا أمير المؤمنين عليه السلام كما روت العامَّة.

وروى القمِّي في تفسيره: عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن بعض رجاله، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٧]، قال: «نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام وبلال وعثمان بن مظعون، فأمَّا أمير المؤمنين عليه السلام فحلف أن لا ينام باللَّيل أبداً، وأمَّا بلال فإنَّه لا يفطر بالنهار أبداً، وأمَّا عثمان بن مظعون فحلف أن لا ينكح أبداً، فدخلت امرأة عثمان على عائشة، وكانت امرأة جميلة، فقالت عائشة: ما لي أراك متعطِّلة؟ فقالت: ولمَن

(١) من كتاب تفسير ملاحم المحكمات من ص ٢٠٥ إلى ص ٢٣٠.

أتزيَّن؟ فوالله ما قاربني زوجي منذ كذا وكذا، فإنَّه قد ترهَّب ولبس المسوح وزهد في الدُّنيا، فلمَّا دخل رسول الله ﷺ أخبرته عائشة بذلك، فخرج فنادى: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «ما بال أقوام يحرِّمون على أنفسهم الطيِّبات؟ ألا إنِّي أنام باللَّيل، وأنكح، وأفطر بالنهار، فمن رغب عن سُنَّتي فليس منِّي»، فقام هؤلاء فقالوا: يا رسول الله، فقد حلفنا على ذلك، فأنزل الله تعالى عليه: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩] إلى آخر الآية»[1].

وأوردها ابن شهر آشوب في «المناقب» عن ابن عبَّاس ومجاهد وقتادة في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ﴾ [المائدة: ٨٧] الآية، نزلت في عليّ بن أبي طالب وأبي ذرّ وسلمان والمقداد وعثمان بن مظعون وسالم، أنَّهم اتّفقوا على أن يصوموا النهار ويقوموا باللَّيل، ولا يناموا على الفراش، ولا يأكلوا اللحم، ولا يقربوا النِّساء والطيب، ويلبسوا المسوح، ويرفضوا الدُّنيا، ويسيحوا في الأرض، ويرفضوا الدُّنيا، وهمَّ بعضهم أن يُجِبَّ مذاكيره، فخطب النبيّ ﷺ، وقال: «ما بال أقوام حرَّموا النِّساء والطيب والنوم وشهوات الدُّنيا، أما إنِّي لست آمركم أن تكونوا قسيسين ورهباناً، فإنَّه ليس في ديني ترك النِّساء واللحم واتّخاذ الصوامع، وأنَّ سياحة أُمَّتي ورهبانيَّتهم الجهاد»[2].

وروى الطبرسي عن الشعبي وأبي مخنف ويزيد بن أبي حبيب المصري: أنَّه حيث رووا محاججة معاوية وحزبه من بني أُميَّة وبني العاص والمغيرة، محاججتهم مع الإمام الحسن بن عليّ عليهما السلام، وتواطأهم عليه، فأدلوا بطعونهم على الإمام الحسن عليه السلام، فأجابهم، ثم أخذ يذكر مقامات عليّ عليه السلام وأهل

---

(١) تفسير القمِّي، ج١، ص١٧٩.

(٢) مناقب آل أبي طالب، ج٢، ص١٠٠.

البيت عليهم السلام، ثم قال: «أنشدكمُ بالله! أتعلمون أنَّ علياً أوّلُ من حرَّم الشهوات كلها على نفسه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة: ٨٧ ـ ٨٨]»(١).

وروى «تفسير فرات الكوفي» ذلك أيضاً أنَّها نزلت في عليّ وأصحابه، منهم عثمان بن مظعون وعمَّار بن ياسر وسلمان، حرَّموا على أنفسهم الشهوات(٢).

وقد أشكل بعض المخالفين المعنى، وأنَّه منقصة وذمّ، بل ادّعى بعضهم أنَّ هذا من التطرُّف والإفراط، وأنَّ هذه الظاهرة حدثت قبل ظاهرة الخوارج.

الجواب: أوَّلاً: في رواية تفسير النعماني ظاهرها أنَّ الذين قاموا بذلك هم عثمان بن مظعون وجمع من الصحابة هم غير عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقد روى عليّ بن الحسين الشريف المرتضى في «رسالة المحكم والمتشابه» نقلاً عن تفسير النعماني: بإسناده عن عليّ عليه السلام، قال: «إنَّ جماعة من الصحابة كانوا حرّموا على أنفسهم النِّساء والإفطار بالنهار والنوم باللَّيل، فأخبرت أُمّ سلمة رسول الله صلى الله عليه وآله، فخرج إلى أصحابه فقال: أترغبون عن النِّساء؟ إنِّي آتي النِّساء، وآكل بالنهار، وأنام باللَّيل، فمن رغب عن سُنَّتي فليس منِّي، وأنزل الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة: ٨٧ ـ ٨٨].

فقالوا: يا رسول الله، إنَّا قد حلفنا على ذلك؟

فأنزل الله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ

(١) الاحتجاج، ج١، ص٤٠٧.

(٢) تفسير فرات، ص١٣٣.

ٱلْأَيْمَٰنَ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ ﴾ [المائدة: ٨٩].

ولا يخفى دلالة مواضع منها على المغايرة بين من قاموا بذلك وأمير المؤمنين، مع أنَّ أكثر الروايات الواردة في سبب النزول عامّيّة، ومع أنَّ أكثر رواياتهم لم تشتمل على ذكر اسم أمير المؤمنين.

نعم، قد مرَّ في «تفسير القمِّي» روايته ذلك عن الصادق عليه السلام، وتحتمل الرواية للتقيَّة كما هو معهود في جملة من الموارد من اتّقاء الصادق عليه السلام في نسبة فعل أو سيرة لأمير المؤمنين حسب زعم العامَّة، مع أنَّ في روايات أخرى عنه عليه السلام نفى ذلك، وأمَّا رواية الطبرسي في «الاحتجاج» فهي عامّيّة أيضاً، نعم وبقيَّة الروايات من طرقنا مرسلة.

وممَّا يعضد ذلك ما روي من أنَّ عثمان بن مظعون، قال: «أتيت النبيّ صلى الله عليه وآله فقلت: يا رسول الله، ائذن لي في الترهُّب، فقال: لا، إنَّما رهبانيَّة أُمَّتي في الجلوس في المسجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فقلت: يا رسول الله، أتأذن لي في السياحة؟ قال: سياحة أُمَّتي الجهاد في سبيل الله، فقلت: يا رسول الله، أتأذن لي في الاختصاء؟ فقال: ليس منَّا من خصى واختصى، إنَّما اختصاء أُمَّتي الصوم»[١].

فيظهر منها أنَّ ابن مظعون هو المتصدّر لهذا الأمر وجماعة آخرون من أصحابه، ومن ثم في رواية أخرى أنَّه صلى الله عليه وآله قال لامرأة عثمان بن مظعون: «أحقّ ما بلغني عن زوجك وأصحابه؟»

والتعبير بأصحاب عثمان بن مظعون لا يشمل عليّاً عليه السلام بعد كونه غير تابع لابن مظعون.

---

(١) التبيان، ج١، ص٨.

ثانياً: في «الاحتجاج» روى عن الشعبي وأبي مخنف ويزيد بن أبي حبيب المصري، أنَّهم قالوا: ... وذكروا احتجاج الحسن بن علي عليهما السلام على جماعة من بني أُميَّة وفيهم المغيرة بن شعبة وعمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان، وفي الرواية المزبورة احتجاجه عليه السلام على أولئك بقوله عليه السلام: «وأنشدكمُ اللهَ، أتعلمون أنَّ عليّاً أوَّلُ من حرّم الشهوات كُلّها على نفسه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، فأنزل اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة: ٨٧ ـ ٨٨]، وكان عندهم علم المنايا، وعلم القضايا، وفصل الكتاب، ورسوخ العلم، ومنزل القرآن، وكان رهط لا نعلمهم يتمّمون عشرة، نبّأهم الله أنَّهم مؤمنون، وأنتم في رهط قريب من عدَّة أولئك لعنوا على لسان رسول الله، صلى الله عليه وآله فاشهد لكم واشهد عليكم أنَّكم لعناء الله على لسان نبيّه كلّكم»(١).

واستشهد الفيض في تفسيره «الصافي» بهذه الرواية قائلاً: «ليس في مثل هذا الخطاب والعتاب منقصة على المُخاطب والمُعاتب، إن لم يكن محمدة، نظيره قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [التحريم: ١ ـ ٢]، وقد ورد القرآن كلّه تقريع وظاهره تقريب»(٢).

أي أنَّ لحن الخطاب وإن كان فيه العقاب، لكنَّه بداعي الحنان والعطف والرأفة، نظير قوله تعالى: ﴿طه * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ [طه: ١ ـ ٢]، ونظير ما استشهد به الفيض آية سورة التحريم من أنَّ ظاهرها عتاب، ولكنَّ

---

(١) الاحتجاج، ج١، ص٤٠٧.

(٢) تفسير الصافي، ج٢، ص٨٠.

الغاية المرادة جدّاً هو الدفاع من الله عزَّ وجلَّ عن نبيّه في قبال أزواجه، ويدعهم هذا الاستظهار أيضاً ما أشارت إليه رواية «الاحتجاج»من نعت الله لهم بالإيمان.

وبعبارة أخرى: أنَّ النهي عن هذا النمط من الترهُّب والانقطاع عن الشهوات، إنَّما صدر تشريعه بنزول هذه الآية، وصدور النهي النبويّ في هذه الواقعة، وأمَّا قبل هذه الواقعة فكان ذلك مندرجاً في عمومات التشريع غير المنهيّ عنه، وأمَّا قوله تعالى في الآية: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓا۟﴾[البقرة: ١٩٠] فقد يفسّر ـ كما ذكر القطب الراوندي[1] ـ، أي لا تعتدوا إلى ما حرّم عليكم ونهى عنه الحكيم، وزجر عنه، واعتداء الحدّ مجاوزة لحكمه، وعلى هذا التفسير فلا يكون المخاطب بـ(لا تعتدوا) من نزلت الآية فيهم في صدر الآية، بل يكون هذا الذيل توصية عامَّة لبيان النهي عن الطرفين: طرف تحريم الطيِّبات والطرف المقابل، وهو الوقوع في المحرّمات، أي لا تنقطعوا عن الشهوات بالمرّة، كما لا توغلوا، وتوصي بالتوسُّط، وهذه قاعدة مهمَّة في أسباب النزول، أُشير إليها في روايات أهل البيت عليهم السلام أنَّ الآية صدرها قد يكون في شخص ومورد معيَّن، ووسطها في آخر، وذيلها في ثالث.

وفي الرواية النبويَّة الواردة في شأن عثمان بن مظعون: «من رغب عن سُنَّتي فليس منِّي، واستقيموا يستقم لكم، فإنَّما هلك من كان قبلكم بالتشديد... شدّدوا على أنفسهم فشدَّد الله عليهم، فأولئك بقاياهم في الديارات والصوامع، فأنزل الله الآية»[2].

وذيل قوله صلى الله عليه وآله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا

---

(١) فقه القرآن، ج٢، ص٦٣٦.

(٢) مجمع البيان، ج٣، ص٤٠٤.

عَلَيۡهِمۡ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوۡهَا حَقَّ رِعَايَتِهَاۖ فَـَٔاتَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۡهُمۡ أَجۡرَهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴾ [الحديد: ٢٧].

وفي جملة من الروايات الواردة عنهم عليهم السلام تفسير الرهبانيَّة ﴿إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: ٢٧] بصلاة اللَّيل[1] كما احتمله المجلسي[2]، وهذه الآية في سورة «الحديد» هي الأخرى من ملاحم الآيات التي تنهى عن التشديد والترهّب، وإن وقع لكثير من المفسّرين في غير ما تومي إليه الآية، فظنّوا أنَّ ذيل الآية مديح، مع أنَّ الصحيح ـ حسب الروايات ـ أنَّ الذيل هو بيان لغايتهم، والهدف الذي قصدوه من ابتداع الرهبانيَّة.

فقد روى ابن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: «كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وآله على حمار، فقال: يا ابن أُمّ عبد، هل تدري من أين أحدثت بنو إسرائيل الرهبانيَّة؟

فقال: الله ورسوله أعلم.

فقال: ظهرت عليهم الجبابرة بعد عيسى عليه السلام يعملون بمعاصي الله، فغضب أهل الإيمان فقاتلوهم، فهزمهم أهل الإيمان ثلاث مرَّات، فلم يبق منهم إلَّا القليل، فقالوا: إن ظهرنا هؤلاء أفنونا ولم يبقَ للدين أحد يدعو إليه، فتعالوا نتفرَّق في الأرض إلى أن يبعث الله النبيّ الذي وعدنا به عيسى عليه السلام يعنون محمَّداً صلى الله عليه وآله، فتفرّقوا في غيران الجبال وأحدثوا رهبانيَّة، فمنهم من تمسَّك بدينه، ومنهم من كفر، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا﴾ [الحديد: ٢٧]. ثم قال: يا ابن أُمّ عبد، أتدري ما رهبانيَّة أُمّتي؟ قلت: الله ورسوله أعلم.

قال: الهجرة والجهاد والصلاة والصوم والحجّ والعمرة».

---

(١) الكافي، ج٢، ص٢٣٢، وج٣، ص٤٨٨.

(٢) بحار الأنوار، ج٨٤، ص١٤٦.

وفي حديث آخر عن ابن مسعود: «أنّه ﷺ قال: من آمن بي وصدّقني واتّبعني فقد رعاها حقّ رعايتها، ومن لم يؤمن بي فأولئك هم الهالكون»[١].

ويظهر من الرواية بوضوح أنَّ المراد بـ«ما رعوها حقَّ رعايتها» هو الدعوة إلى النبيّ ﷺ والإيمان به، لأنَّ غايتهم من ابتداع الرهبانيَّة هو الإبقاء على أنفسهم كي يدعوا إلى الدِّين الذي يبشّر بسيِّد الأنبياء.

ويشهد لمفاد هذه الرواية ذيل الآية من قوله تعالى: ﴿فَـَٔاتَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۡهُمۡ أَجۡرَهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ٢٧]، أي أنَّ الرعاية هي بلحاظ الإيمان بسيِّد الرُّسل، فالمديح في الرعاية التي هي الغاية لما ابتدعوه وليس للبدعة التي ابتدعوها والترهُّب الذي ألزموا أنفسهم به.

فقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: ٢٧] شرح للغاية التي قصدوها من هذه البدعة وهي الإيمان بسيِّد الأنبياء، فلا يُستفاد من هذه الآية من سورة الحديد امتداح التشدُّد والترهُّب، كما توهَّم ذلك الكثير من المفسّرين، فجعلوا مفاد الآية بأنَّ تلك البدعة وإن لم يكتبها الله عليهم، إلَّا أنَّه امتدحهم عليها، فتطابق آية الحديد وآية المائدة في ذمّ التشدُّد والترهُّب، بعدما وُصِف في الآية الأولى بأنَّه اعتداء.

وكذا ما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، فإنَّه متطابق مع الآيتين

(١) مجمع البيان، ج٩، ص٤٠٤؛ بحار الأنوار، ج٦٥، ص٣٠٢.

على ما استظهر من لفظ ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧] أي ثقلهم، شبَّه ما كان على بني إسرائيل من التكليف الشديد بالثقل، وذلك أنَّ الله سبحانه جعل توبتهم أن يقتل بعضهم بعضاً، بينما جعل توبة هذه الأُمَّة الندم بالقلب حرمة للنبيّ ﷺ، والأغلال التي عليهم نظير قرض ما يصيبه البول من أجسادهم، وأشبه ذلك من تحريم السبت، وتحريم العروق في اللحم والشحوم، وقطع الأعضاء الخاطئة، ووجوب القصاص دون الدية حتى في الخطأ وغيرها.

وهذا التشديد بعد أن شدّدوا على أنفسهم فشدَّد الله عليهم، كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٦٠].

وقوله تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * فَمَنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [آل عمران: ٩٣ ـ ٩٤].

اعتراض وجواب: قد يُقال: إنَّ هناك جملة من الشواهد يُستفاد منها رجحان الترهُّب:

الأوَّل: قوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا﴾ [المائدة: ٨٢ ـ ٨٣] يفيد امتداح الرهبانيَّة والقسّيسيَّة، والتعليل بهما أنَّهما السبب لمودَّة النصارى للذين آمنوا، وأنَّهما السبب للتواضع ولرقَّة القلب لو أنَّ القسّيسيَّة والرهبنة ممدوحة في سياق التواضع وعدم الاستكبار ورقَّة القلب.

الثاني: أنَّ الرهبنة من الرهبة، وهي المخافة من التحرُّز والاضطراب،

والترهُّب التخلِّي من أشغال الدُّنيا وترك ملاذّها والزهد فيها، والعزلة عن أهلها، وتعهّد مشاقّها، وترهُّب الرجل: إذا صار راهباً يخشى الله، والخوف من الله أمرٌ ممدوح، وكُلّ عمل من خشية الله فهو فضيلة.

الثالث: دعاء أُمّ داوود: «اللَّهُمَّ صلِّ على الأبدال، والأوتاد، والسُّيَّاحِ، والعُبَّادِ، والمخلصينَ، والزُّهَّادِ، وأهل الجدِّ والاجتهاد»، ويستفاد من ذلك الدُّعاء بالمديح للسيَّاح والأوتاد والعبَّاد والزهَّاد[1].

الرابع: ما كان في سيرة النبيّ في جملة من الموارد من التشدُّد في العبادة.

منها: أنَّ النبيّ ﷺ قد كان يتعبَّد في غار حرَّاء كُلّ عام، ويعتزل الناس إلى أن بُعث رسولاً، قد أورد المجلسي في «البحار» عن بعض الكتب أنَّه قد ورد في الكتب الصحاح أنَّه كان يجاور في حرَّاء من كُلِّ سنة شهراً، وكان يطعم في ذلك الشهر من جاءه من المساكين، فإذا قضى جواره من حرَّاء كان أوَّل ما يبدأ به إذا انصرف أن يأتي باب الكعبة قبل أن يدخل بيته فيطوف بها سبعاً أو ما شاء الله من ذلك، ثم يرجع إلى بيته حتى جاءت السنة التي أكرمه الله تعالى فيها بالرسالة[2].

---

(١) في كتاب العين: والقسّ رأس من رؤوس النصارى، وكذلك القسّيس، ومصدره القسوسة والقسيسة والقَسقَس: الدليل الهادي المتفقّد الذي لا يغفل إنَّما تلفّتاً ونظراً، والقَسّ: تتبّع النمائم، وقيل: قسيس كلمة سريانيَّة في الأصل معناها شيخ، وفي العرف الكنسي هو أحد أصحاب المراتب في الديانة، وهو بين الأُسقف والشماس، وفي الكتاب المقدَّس في رسائل بولس (الرسالة الأولى إلى تيموثاوس) تُرجم القسّيسين بالرعاة (ما أصدق القول: إنَّ من يرغب في الرعاية يتوق إلى عمل صالح، إذن يجب أن يكون الراعي بلا عيب زوجاً لامرأة واحدة نبيهاً عاقلاً مهذَّباً مضيافاً قادراً على التعليم)، وفي شرح ذلك الكتاب فسَّره بمعنى الشيخ أيضاً.

(٢) بحار الأنوار، ج١٥، ص٣٦٣.

ومنها: ما في قوله تعالى: ﴿طه * مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ [طه: ١ - ٢]، ففي موثّق أبي بصير عن أبي جعفر: «وكان رسول الله ﷺ يقوم على أطراف أصابع رجليه، فأنزل الله سبحانه ﴿طه﴾ [طه: ١] الآية»(١).

وفي رواية أخرى لأبي بصير في «تفسير القمّي» عنهما عليهما السلام، قالا: «كان رسول الله ﷺ إذا صلَّى قام على أصابع رجليه حتى تورَّمت، فأنزل الله تبارك وتعالى الآية»(٢).

وروى الطبرسي في «الاحتجاج» عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال في وصف النبيّ ﷺ: «إنَّه كان إذا قام إلى الصلاة سُمع لصدره أزيز كأزيز المرجل على الأثافي من شدَّة البكاء، وقد آمنه الله عزَّ وجلَّ من عقابه، فأراد أن يتخشَّع لربّه ببكائه ويكون إماماً لمن اقتدى به، ولقد قام عشر سنين على أطراف أصابعه حتى تورَّمت قدماه، واصفرَّ وجهه، يقوم اللَّيل أجمع حتى عوتب في ذلك، فقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿طه * مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ [طه: ١ - ٢] بل لتسعد به، ولقد كان يبكي حتى يُغشى عليه، فقيل: يا رسول الله، أليس قد غفر لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر؟ قال: بلى، أفلا أكون عبداً شكوراً»(٣).

قال في «مجمع البيان»: «إنَّ النبيّ كان يرفع إحدى رجليه في الصلاة ليزيد تعبه، فأنزل الله تعالى: ﴿طه * مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ [طه: ١ - ٢]، فوضعها. قال: وروي ذلك عن أبي عبد الله عليه السلام»(٤).

وفي موثّق ابن بكير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إنَّ رسول الله ﷺ

---

(١) الكافي، ج٢، ص٧٧.

(٢) تفسير القمّي، ج٢، ص٣٢.

(٣) الاحتجاج، ج١، ص٢١٩.

(٤) مجمع البيان، ج٧، ص٦.

بعدما عَظُم أو بعدما ثَقُلَ، كان يصلِّي وهو قائم، ورفع إحدى رجليه حتى أنزل الله تعالى: ﴿طه * مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾ [طه: ١ ـ ٢]، فوضعها»[(١)].

وقد ذهب غير واحد من الأعلام إلى جواز الوقوف على الواحدة عملاً بإطلاق الأدلَّة في القيام، وأنَّ الآية الكريمة غير ناسخة في المقام، كما قد جوَّز جماعة الوقوف على بعض الأصابع أو الأُصول، لإطلاق الأدلَّة، والآية ناظرة لنفي الإلزام نظير قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ﴾[الحج: ٧٨]، فلا تدلُّ على نفي المشروعيَّة، والكيفيَّة المزبورة باقية على ما هي عليه من الرجحان والمحبوبيَّة غايته أنَّها غير واجبة، وسياق الآية يشهد بورودها في مقام الامتنان، ورفع ما يوجب الشقاء والتعب والكلفة عن النبيّ الأقدس ﷺ.

نعم، ما كان يصدر منه ﷺ لم يكن على اللزوم والوجوب لترفعه الآية، بل من باب أنَّ أفضل الأعمال أحمزها، فنزلت الآية إشفاقاً به، لكنَّ الآية لا تنفي المشروعيَّة، بل نفي أفضليَّة هذا العرض.

هذا ما قرَّره غير واحد من الأعلام، ولعلَّ سائل يسأل عن سبب التأخير في نزول الآية، مع أنَّه ﷺ كان يمارسه عشر سنين؟

ومن ثم، لعلَّ الوجه في مفاد الآية هو نفي الاستمرار والدوام على هذا الفرد لإيجاب الاستمرار والدوام في الوقوع في المشقَّة، لا نفي الأفضليَّة، ولا نفي أنَّ أفضل الأفراد أحمزها، أو أنَّ الأحمزيَّة وإن كانت افضل، إلَّا أنَّها قد تزاحم بعنوان آخر أرجح منها، أو أنَّ الأحمزيَّة أفضل ما لم توجب المشقَّة الشديدة، ومفاد هذه الآية حينئذٍ يخرّج قاعدة عامَّة في باب العبادات والرياضات السلوكيَّة الشرعيَّة أنَّه لا بُدَّ فيها من مراعاة عدم الوقوع في إشقاء

(١) وسائل الشيعة، ج٥، ص٤٩١، الباب ٣ من أبواب القيام، الحديث ٤.

النفس، نظير ما روي عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنَّ هذا الدِّين متين، فأغلوا فيه برفق، ولا تكرّهوا عبادة الله إلى عباد الله، فتكونوا كالراكب المنبّت الذي لا سفر قطع، ولا ظهراً بقى»[(١)].

الخامس: ما رود أنَّ الأعمال أحمزها[(٢)].

السادس: ما رواه الصّدوق في «الأمالي» في صحيح هشام بن سالم، عن جعفر بن محمَّد عليهما السلام قال: «إنَّ داوود عليه السلام: خرج ذات يوم يقرأ الزبور، وكان إذا قرأ الزبور لا يبقى جبل ولا حجر ولا طائر ولا سبع إلَّا جاوبه، فما زال يمرُّ حتى انتهى إلى جبل، فإذا على ذلك الجبل نبيّ عابد يُقال له: حزقيل، فلمَّا سمع دويّ الجبال وأصوات السباع والطير علم أنَّه داوود عليه السلام، فقال داوود: يا حزقيل، أتأذن لي فأصعد إليك؟

قال: لا، فبكى داوود عليه السلام، فأوحى الله جلَّ جلاله إليه: يا حزقيل، لا تعيّر داوود، وسلني العافية، فقام حزقيل فأخذ بيد داوود فرفعه إليه، فقال داوود: يا حزقيل، هل هممت بخطيئة قطُّ؟ قال: لا. قال: فهل دخلك العجب ممَّا أنت فيه من عبادة الله عزَّ وجلَّ؟ قال: لا. قال: فهل ركنت إلى الدُّنيا فأحببت أن تأخذ من شهوتها ولذَّتها؟ قال: بلى، ربَّما عرض بقلبي» الحديث[(٣)].

وهذه الرواية تتضمَّن الدلالة على رجحان التعبُّد فوق الجبال بنحو الانعزال في شرائع الأنبياء السابقين.

السابع: ما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ

---

(١) الكافي، ج٢، ص٨٦، باب الاقتصاد في العبادة.

(٢) بحار الأنوار، ج٧٠، ص١٩١، ٢٣٧.

(٣) الأمالي، المجلس الحادي والعشرون، ص١٥٩.

﴿وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗا﴾ [الحج: ٤٠]، حيث امتدحت الصوامع للرهبان في سياق المساجد، وأنَّها يُذكر فيها اسم الله.

ولتنقيح الحال في الشواهد السابقة على مسألة حكم الترهُّب.

والأوَّل وهو قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ * وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ﴾ [المائدة: ٨٢ ـ ٨٣]، فهو وإن استُفيد منه امتداح لين جانبهم ورقَّة قلوبهم، وقلَّة حرصهم على الدُّنيا، واهتمامهم بالعلم والعمل، حيث أنَّ عنوان القساوسة إشارة إلى الموقعيَّة في العلم، والرهبنةِ إشارة إلى قلَّة حرصهم على الدُّنيا، وفيض أعينهم من الدمع إلى رقَّة قلوبهم، وأنَّهم لا يستكبرون إشارة إلى لين جانبهم، إلَّا أنَّه قيّد باستجابتهم للإيمان برسول الله، وما أنزل إليه، وذلك لا يُستفاد منه امتداح الوسيلة التي ترهبنوا بها، فمدح الغاية لا يستلزم التقرير بالطريق إليها.

كما أنَّ تخطئة الطريق لا تستلزم تخطئة الغاية، كما في قوله: ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾[المائدة: ٨]، فكون بعض الجهات سلبيَّة لا تنفي الجهات الإيجابيَّة، ولا العكس كذلك، وهذا ممَّا يصعب تفكيكه على الكثير، والشنآن في اللغة البغض والعداوة، فمجرَّد كون الطرف الآخر عدوّ لا يستلزم التفريط بالموازين معه في الجوانب الأخرى، وهذا نمط من التفكيك من الجهات والحيثيَّات.

ونظير قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةٗ فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨]، فمجرَّد بدو الخيانة منهم لا يستلزم المبادرة بنكث العهد معه قبلهم، بل لا بُدَّ من اعتماد طريق منصف بين الطرفين.

ونظير قوله عليه السلام: «لا تقتلوا الخوارج بعدي، فليس من طلب الحقّ

فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه (يعني معاوية وأصحابه)»، فالخوارج رغم أنَّهم من أصحاب النار، بل وصفوا في الحديث النبويّ بأنَّهم كلاب النار، إلَّا أنَّه عليه السلام ميّز بين ما رفعوه من شعار وبين ما اعتقدوه من منهج خاطئ ومنحرف، بخلاف معاوية وأصحابه، وهذا التمييز بين الفرقتين رغم أنَّ كلتيهما من فِرق الباطل، يندرج في التفكيك بين الحيثيَّات.

فكون الخوارج قد حبط عملهم وآلوا إلى الردى والهلاك، لا ينافي تمييز ما فيهم من بعض جهات الصواب، والموازنة بهذا المقدار من أصعب الصعاب التي تحتاج إلى علم وافر وصدر منشرح للإحاطة بجميع الحيثيَّات، ومراعاة الموازين المتعدِّدة، فلا جهة الصواب في الخوارج توجب انخداع الباحث عن تردِّي محصّلة أعمالهم وسوء العاقبة، ولا سوء عاقبتهم تحجب الباحث عن جهة الصواب في بعض الحيثيَّات التي لديهم.

وروي: «أنَّ إبليس مرَّ بيحيى ومعه رغيف شعير، فقال: أنت تزعم أنَّك زاهد وقد ادّخرت رغيف شعير، فقال يحيى: يا ملعون، هو القوت، فقال إبليس: إنَّ أقلَّ من القوت يكفي لمن يموت، فأوحى الله إليه: اعقل ما يقول لك»[(١)].

فمع كون إبليس عدوّ مبين ولعين رجيم، إلَّا أنَّ ذلك لا يمنع أخذ الحكمة ولو من الكافر، فإنَّ الحكمة ضالَّة المؤمن بعد أن يعلم وجهها.

فتحصَّل: أنَّه لا تدافع بين آية المائدة المادحة لجملة من النصارى، وهم الذين يؤمنون بخاتم الأنبياء بمقتضى وصيَّة الدِّين الذي بُعث به عيسى عليه السلام، لا مطلق النصارى، كما هو مقتضى التقييد الموجود في الآية الكريمة، ونبَّه

(١) بحار الأنوار، ج١٤، ص١٨٩.

عليه أبو جعفر عليه السلام، كما روي عنه في ذيل الآية، وتعليل مدحهم لوجود العلم والرهبنة فيهم (أي الزهد في الدُّنيا) هو بلحاظ تأدية العلم والزهد إلى الغاية الحميدة، وهي الإيمان بخاتم الأنبياء.

وبذلك يظهر تطابق مفاد هذه الآية مع مفاد آية «الحديد»، حيث أنَّ في آية الحديد امتداح الغاية في قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾[الحديد: ٢٧]، ففي آية الحديد أيضاً تفكيك بين إيجابيَّة الغاية وإيجابيَّة الزهد عن الدُّنيا في نفسه مع ذمّ حيثيَّة أخرى، وهو ابتداع طريقة الرهبنة، فيتطابق مع مفاد الآيتين.

وسيتحصَّل من مفادهما أنَّ مدح الغاية لا يستلزم مدح الوسيلة، كما أنَّ الوسيلة قد تكون في نفسها مشروعة، إلَّا أنَّ الغاية مذمومة، وهذا من المداقَّة في الميزان والموازنة والتمييز بين الصواب والخطأ من دون الإجحاف لجهة من الجهات.

ومن ذلك يظهر الجواب عن الثاني، فإنَّ التخلِّي عن التشبُّث والاشتغال بالدُّنيا وملاذّها والخوف والخشية من الله، وإن كانت في نفسها ممدوحة وراجحة عظيمة، إلَّا أنَّ ذلك لا يلزم رجحان أي وسيلة تُتّخذ طريقاً لتلك الغاية، ومنه يُفهم مغزى النهي النبويّ الوارد عن الرهبانيَّة وعن السياحة أنَّ النفي لهذه الرهبانيَّة والسياحة بلحاظ ما ابتدعه النصارى من طريقة أو ما كانت عليه الشرائع السابقة من السياحة في الأرض، وأمَّا بيان متحصِّل الجمع بين مدح الزهد في الدُّنيا كغاية والإيمان بسيِّد الأنبياء، وبين النهي عن طريقة الرهبنة بقول مطلق والسياحة، فقد مرَّت الإشارة إلى جملة من الروايات المستفيضة عند الفريقين الناهية عن الرهبانيَّة والسياحة في الإسلام.

وقد روي في «الدعائم» أيضاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله: أنَّه نهى عن الترهُّب،

قال: «لا رهبانيَّة في الإسلام، تزوَّجوا فإنِّي مكاثر بكم الأُمـم»، ونهى عن التبتُّل، ونهى النِّساء أن يتبتَّلن ويقطعن أنفسهنَّ عن الأزواج[(١)].

روى في الكافي: عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إنَّ الله تبارك وتعالى أعطى محمَّداً صلى الله عليه وآله شرائع نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام: التوحيد والإخلاص وخلع الأنداد والفطرة الحنيفيَّة السمحة، ولا رهبانيَّة ولا سياحة، أحلّ فيه الطيِّبات، وحَرَّم فيها الخبائث، ووضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم، ثم افترض عليه فيها الصلاة والزكاة...»[(٢)].

وهناك لسان آخر يحصر طريقة الرهبانيَّة والسياحة في الجهاد أو حجّ بيت الله الحرام أو الذهاب إلى المساجد أو الجلوس في المساجد وانتظار الصلاة والصومعة بالجلوس والاختصاء أو الحصوريَّة في الصوم.

روى الصدوق في «الخصال»: عن زيد بن عليّ، عن آبائه، عن عليّ عليهم السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ليس في أُمَّتي رهبانيَّة ولا سياحة ولا زَمّ»[(٣)].

وروى الصدوق حصر الرهبانيَّة بالجهاد في سبيل الله[(٤)]، وقد تقدَّم بعض الروايات النبويَّة في ذلك.

وفي الكافي معتبرة السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الاتكاء في المسجد رهبانيَّة العرب، إنَّ المؤمن مجلسه مسجده، وصومعته بيته»[(٥)].

---

(١) الدعائم، ج٢، ص١٩٣.

(٢) الكافي، ج٢، ص١٧، الحديث ١.

(٣) الخصال، ص١٣٨، الحديث ١٥٤؛ معاني الأخبار، ص١٧٤، الحديث ١.

(٤) أمالي الصدوق، ص١٢٣، الحديث ١١٣.

(٥) الكافي، ج٢، ص٦٦٣.

وقد مرَّ في جملة من الروايات أنَّ تفسير الرهبانيَّة المبتدعة بصلاة اللَّيل، ولعلَّ الظاهر تفسير رضوان الله، لا تفسير الرهبانيَّة، فقد روى الكليني عن أبي الحسن عليه السلام في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ [الحديد: ٢٧]، قال: «صلاة اللَّيل»(١).

وفسَّر المجلسي في «مرآة العقول» الجواب بأنَّه راجع إلى رضوان الله(٢).

فهو أنَّ الغاية وإن كانت ممدوحة للرهبانيَّة والاختصاء والسياحة والزمّ ـ وهو الصوم من الكلام ـ، إلَّا أنَّ الشارع رغم امتداحه لهذه الغايات، قد ردع عن الوسائل وطرق اخرى، وهذا ممَّا يعطي قاعدة عامَّة في باب الرياضات والسلوكيَّات الرُّوحيَّة العباديَّة من أنَّ الوصول للغايات النهائيَّة في العبادات لا يكون ولا يسوغ بأيِّ وسيلة، بل لا بُدَّ من الاعتماد على الوسائل المشروعة.

وبعبارة أخرى: أنَّ في العبادات والسلوكيَّات الرُّوحيَّة والرياضات النفسيَّة مدارج من الغايات كطبقات تتلو بعضها البعض، نظير ترتُّب الصفات على الأفعال، وترتُّب الملكات على الصفات، ولكُلٍّ من الملكات طبقات، كما أنَّ للصفات طبقات، وكذلك للأفعال طبقات، والوصول من طبقة إلى طبقة أخرى هو بتوسُّط جوادّ الشريعة والطريقة القويمة.

ومن الواضح خطورة وحساسيَّة سبل الوصول إلى الغايات، فإنَّ بينها تفاوت بالغ التأثير في الوصول إلى المقاصد، ومن ثم اختلفت الشرائع كما في قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[المائدة: ٤٨]، مع أنَّ الدِّين الذي هو غاية للشرائع واحد عند جميع الأنبياء، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ

(١) الكافي، ج٣، ص٤٨٨، الحديث ١٢.

(٢) مرآة العقول، ج١٥، ص٤٨٣.

﴿عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[آل عمران: ١٩]، والمناهج كما يُستفاد من رواياتهم عليهم السلام من مثيل السبل في الشريعة الواحدة، فالشريعة يسنّها الأنبياء، والمناهج يسنّها الأوصياء والأئمَّة، وكذلك الشأن في الطريقة، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ [الجن: ١٦].

وبالشريعة والمنهاج والطريقة يُصاب الدِّين، وقد ورد عنهم عليهم السلام: «أنَّ الدِّين لا يصاب بالعقول»، فقد روى الصدوق بسنده: عن أبي حمزة الثمالي، قال: قال عليّ بن الحسين عليهما السلام: «إنَّ دين الله عزَّ وجلَّ لا يُصابُ بالعقولِ الناقصةِ، والآراءِ الباطلةِ، والمقاييس الفاسدة، ولا يُصابُ إلَّا بالتَّسليم، فمن سلّم لنا سلِمَ، ومنِ اقتدى بنا هُديّ، ومن كان يعملُ بالقياسِ والرأي هَلَكَ، ومن وجد في نفسهِ ممَّا نقولهُ أو نقضي به حرجاً كفرَ بالذي أنزل السّبع المثانيَ والقرآنَ العظيمِ وهو لا يعلمُ»[1].

وبعبارة ثالثة اصطلاحيَّة أنَّ هناك عمومات وقواعد فوقيَّة تتنزَّل منها عمومات وقواعد أخرى، ويكون هذا التنزُّل ذو مراتب، فالعمومات والقواعد المتنزّلة لا يصحّ التمسُّك بالفوقيّ منها مع وجود العموم الذي هو نازل في المرتبة الثانية، فلا يصحّ التمسُّك بالعمومات الفوقيَّة مع وجود العمومات التنزُّليَّة، لأنَّها بمثابة المخصِّصات والمقيِّدات والمفسّرات للعمومات الفوقيَّة، فلا تبقى العمومات الفوقيَّة على إطلاقها، فإنَّ دور العموم النازل هو تحديد مسار التطبيقيّ للعموم الفوقيّ، فيحدّد إطار نزوله وتنزّله في القالب الذي اشتمل عليه العموم النازل، ومن ثم سمِّي العموم النازل مخصّصاً ومبيّناً ومقيّداً.

وبهذا البيان يظهر تطابق الآيتين الواردة في الرهبانيَّة مع قوله تعالى: ﴿لَا

(١) كمال الدِّين، ص٣٢٤، الحديث ٩.

تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [المائدة: ٨٧]، وكم هو بيِّن مفاد آية المائدة في النهي عن اتّخاذ وابتداع طرق وسبل لم ترشد إليها الشريعة ولا مناهج الأوصياء فيتطابق مفاد الآيات بعضها مع بعض.

الابتداع والسُّنن الحسنة:

ثم لا بُدَّ من الإلفات إلى الضابطة المائزة بين الابتداع المذموم وبين القاعدة النبويَّة الواردة: «مَن سنَّ سُنَّة حسنة كان له أجرها وأجر مَن عمل بها إلى يوم القيامة»، فإنَّ الفارق بين الموردين هو أنَّ في البدعة اتّخاذ طريقة ومنهاج لا يندرج في العمومات النازلة، وإن اندرج في العمومات الفوقيَّة، أي أنَّ البدعة تتخطَّى فيها القواعد المبيّنة في الأدلَّة المفسّرة للوسائل والطرق الموصلة للأهداف الشرعيَّة، فيتّخذ وسيلة في عرض الوسائل والسُّنن المحدّدة في الشرع، فلا يكفي في تثبيت المشروعيَّة والشرعيَّة اندراج الفعل في العمومات الشرعيَّة فحسب، بل لا بُدَّ من اندراجه في الأدلَّة المفسّرة للعمومات، أو فقل: لا بُدَّ أن لا يتنافى الفعل مع المخصّصات الواردة، أي لا بُدَّ أن يندرج تحت آخر عموم نازل مفسّر ومطبق للعمومات الفوقيَّة.

ولذلك سمّى القرآن ما صنعه الرهبان ابتداع ما كُتب عليهم، مع أنَّه يندرج في عموم الزهد والخشية وعدم الإخلاد إلى الدُّنيا، والمرابطة والمحافظة على بقاء الدِّين، وهذه العمومات المندرج فيها فعلهم هي بمثابة غاية امتدحتها الآية، إلَّا أنَّها ذمَّت الوسيلة، وذلك بتحديد الشرائع السابقة وسائل خاصَّة للوصول للغاية المنشودة، حيث قام الرهبان بنبذ تلك الوسائل واستبدالها بوسائل من عندهم، أو من عند أنفسهم، ومن ذلك يتبيَّن أنَّه لا يكفي في المشروعيَّة للفعل مجرَّد الاندراج في عموم من العمومات الواردة والمتضمّنة للحكم الشرعي، ولا مجرَّد الاندراج في الأحكام العقليَّة العامَّة،

بل لا بُدَّ من الاندراج في العمومات التحتانيَّة غير المخصّصة ولا المقيَّدة، وأمَّا السُّنَّة الحسنة فتتبيَّن ضابطتها ممَّا مرَّ من أنَّها كُلّ عادة أو عُرف اجتماعيّ يؤسّس في الظاهرة الاجتماعيَّة، ويكون مندرجاً في العموم التحتانيّ، ولا يكون بذلك بدعة أو ابتداعاً، وذلك لأنَّ إرسال الشارع لذلك العموم من دون تقييد أو تخصيص بآليَّة خاصَّة، يفيد الترخيص والإذن منه في تطبيق العنوان والطبيعة المأخوذة في العموم على أيِّ مصداقٍ يستحدث ويوجد لتلك الطبيعة.

أمَّا الشاهد الثالث: وهو المديح الوارد في جملة من الأدعية للسيّاح والعبَّاد والزهَّاد وأهل الجدّ والاجتهاد، وكذا **الشاهد الرابع** وهو ما كان من سيرة النبيّ ﷺ من التعبُّد في غار حرَّاء كُلّ عام شهراً أو قيامه ﷺ على أطراف أصابعه، أو الوقوف على رجل واحدة في الصلاة، ونحوها...

فأمَّا السياحة، فما ورد من نصوص مستفيضة في تفسيرها بالجهاد أو الجلوس في المساجد ونحوه، أو بالصوم بضميمة النهي والنفي لما في الشرائع السابقة من سياحة، فلا يتوهَّم من المديح لهذا العنوان إرادة ما في الشرائع السابقة، هذا مضافاً إلى اختلاف عنوان السياحة والحصوريَّة التي كانت لدى النبيّ عيسى ويحيى عليهما السلام هي من تشريعات الأنبياء السابقين وليس من ابتداع البشر، وهي وإن كانت منسوخة في شريعتنا، إلَّا أنَّه كما بيَّنا في حلقة النسخ أنَّه وإن كان عزيمة في نفي المشروعيَّة، إلَّا أنَّه لا ينافي الرجحان الذاتيّ في نفسه، وإن لم يستلزم ذلك بقاء المشروعيَّة.

فكم فرق وبون كبير بين ما شُرِّع على أيدي الأنبياء ونُسخ في شريعة خاتم الأنبياء، وبين ما ابتدع من قِبل سائر البشر وأتباع الأنبياء.

وأمَّا الموارد التي كانت في سيرة النبيّ ﷺ فقد تقدَّم نقل الأقوال في

بقاء مشروعيَّة تلك الأفعال، وأنَّها لم تُنسخ، وأنَّ المحصّل من الآيات الواردة في شأنه صلى الله عليه وآله هو نفي الاستمرار والدوام على أحمز الأعمال وأشقّها، وأنَّه سيحصل من تلك الآيات قاعدة في باب العبادات والرياضات الشرعيَّة، وهي مراعاة عدم الوقوع في إشقاء النفس، وتوخّي الرفق والتدرُّج فيها، فما في آية سورة «طه» يتطابق مع ما في آيتي الرهبانيَّة وآية المائدة، من نفي الشِّدَّة والشقاء في العبادات والرياضات الشرعيَّة، ولزوم توخِّي ما سُنَّ في شريعة خاتم الأنبياء من الوسائل الموصوفة بكونها الشريعة السمحة السهلة، إذ قال جملة من المحقّقين: «أنَّ ما في سُنن خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله هو أشدّ امتحاناً للنفس ممَّا في سُنن الأنبياء السابقين، وذلك لسهولة الانقطاع بنحو البتر والبتل عن غرائز النفس دفعي أو ببناء عادة دائمة، وهذا بخلاف إذاقة النفس جملة من اللذائذ، الفينة بعد الأخرى، مع ترويض إمساكها، فإنَّ ذلك أصعب وأشدّ في الاستقامة».

فتبيَّن أنَّ ما في سيرته صلى الله عليه وآله لا ينطبق مع ما عليه الترهُّب عند النصارى حتى اعتكافه صلى الله عليه وآله في غار حرَّاء، فإنَّه لم يكن انقطاعاً دائماً عن الناس وإرشاد العباد، بل هو نظير ما روي من مماثلة أمير المؤمنين لما قام به صلى الله عليه وآله من عبادته وتهجُّده ليلاً في بساتين المدينة منقطعاً عن الناس في تلك الساعات، أو خروجه عليه السلام إلى ظهر الكوفة ممَّا يلي البريَّة، وكذا خروج زين العابدين عليه السلام إلى بعض أطراف البريَّة للتعبُّد والانقطاع بعض الأوقات، ونظير ما روي عن موسى بن جعفر عليه السلام من شكره لله تعالى أن فرَّغه لعبادته في السجن، وهو نحو انقطاع غيرهم من أئمَّة أهل البيت عليهم السلام في حالاتهم وسيرتهم، بل وروى ذلك أيضاً في بعض سيرته صلى الله عليه وآله لمَّا هاجر إلى المدينة، حيث اتّخذ مشربة أُمّ إبراهيم مكاناً ينقطع إليه في بعض الأوقات.

أمَّا الشاهد الخامس: وهو ما روي: «أنَّ أفضل الأعمال أحمزها»، وقد

تبيَّن أنَّ جملة من الآيات، نظير ﴿طه * مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ [طه: ١ - ٢].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[الحج: ٧٨].

وقوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٧].

وقوله تعالى أيضاً: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾[الأعراف: ١٥٧]، وغيرها من الآيات والروايات أنَّ قاعدة (أفضل الأعمال أحمزها) مقيَّدة بعدم التأبيد والدوام، فإنَّ الله كما يُحبّ أن يؤخذ بعزائمه، أن يُؤخذ برخصه، وأنَّ الشريعة سهلة سمحاء، ومقيَّدة بعدم إشقاء النفس، لنفس تلك الآيات والروايات بعد التأكيد على الرفق واللين في الأمور كُلّها، فلا بُدَّ أن تقيّد القاعدة بهذين القيدين.

ثم إنَّه لا بُدَّ من الخوض في معنى تحريم الطيِّبات، هل هو المشارطة بترك الطيِّبات والمباحات بتوسُّط اليمين والحلف بأسماء الله أو العهد أو النذر، أو المشارطة ضمن العقد أو الالتزام بمحظوريَّة المباحة، فعلاً أو تركاً، وإن لم ينسب الحظر والمنع إلى الشارع؟ أي يكون متعلّق الالتزام نفس الحذر والمنع لا الفعل والترك؟ أو التزام الفعل المباح أو الترك المباح بنحو التأبيد؟ أو التزام الفعل أو الترك ولو لمدَّة محدودة؟

قد يُقال: إنَّ التحريم إنَّما يصدق فيما لو بني على الحرمة مع نسبتها إلى الشرع، دون ما التزم بالحرمة والمنع والحظر، مع الالتفات إلى عدم نسبتها إلى الشرع، وإنَّما يتبنَّاها الشخص فيما بينه وبين نفسه، أو يتبنَّاها عرف خاصّ مع الالتفات إلى قطع نسبتها إلى الشارع، فإنَّ ذلك لا يكون تحريماً.

فضلاً عمَّا لو التزم بالفعل المباح أو الترك المباح بنحو التأبيد من دون تعلّق الالتزام بالحظر أو المنع كصفة للعمل، فضلاً عن الصورة للشقّ الأخير، وهو ما لو التزم الفعل أو الترك مدَّة.

ولكن الصحيح أنَّ التحريم المنهيّ عنه لا يختصّ بما لو التزم بالحظر مع نسبته للشرع، أي لا يخصّ النهي عن تحريم الطيِّبات بالحرمة التشريعيَّة، بل يعمّ الحرمة والحظر والمنع المقطوع والمنفيّ نسبتها إلى الشارع.

كما لا يختصّ بما لو كان هذا التبنِّي للحرمة والمنع والحظر بما لو كان بتوسُّط القسم أو العهد أو النذر ونحوها، بل يشمل ما لو كان ذلك بتبنِّي الشخص فيما بينه وبين نفسه بأن يجعل الحرمة من نفسه لنفسه من دون أن ينسبها إلى الشارع، أو يجعل أصحاب عرف خاصّ أو مجتمع، ذلك لأنفسهم من أنفسهم من دون أن ينسبه إلى الباري تعالى، فإنَّ الالتزام والتعهُّد بالحظر والمنع أيضاً ينطبق عليه أنَّه تحريم للطيِّبات كما هو الحال في التقنيات وقوانين الأنظمة والدول الوضعيَّة.

ومنه يظهر أنَّ التحريم ليس محصوراً في الإنشاء النظري للحرمة، أو نسبتها إلى الشارع، بل يشمل التبنِّي العمليّ التطبيقيّ لمفاد المنع والحذر، وإن لم ينسب إلى الشارع.

والظاهر أنَّ الابتداع الذي مرَّ في آية «الحديد» (الرهبانيَّة) هو الآخر لا يختصّ بما ينشئ بزعم نسبته إلى الشارع ممَّا ليس في الشريعة، بل يشمل كُلّ تشريع يتناول العلاقة فيما بين الإنسان والباري تعالى، وهذا تعريف أعمّ للبدعة والابتداع، وبالتالي فإنَّ في المقام ظاهرة مشتركة تشير إليها جملة من الآيات بعنوان التعدِّي عن حدود ما قرَّره الشارع من باب الإفراط أو نشوء

السلوك الاجتماعيّ الفاسد الذي يوصف في الآيات بالأغلال والإصر وبالجاهليَّة.

وكذلك في الجانب العباديّ بعنوان الابتداع، فهذه موارد وبيئات متعدِّدة يردع فيها القرآن عن السلوكيَّات المنحرفة الفرديَّة أو الرُّوحيَّة أو الاجتماعيَّة أو العباديَّة أو على صعيد التعامل والمواثيق.

أمَّا الشاهد السادس والسابع: فيظهر الحال فيهما بما تقدَّم من الشواهد السابقة من أنَّ أصل التعبُّد بالانقطاع في الجملة لا ضير فيه، وأنَّ الممنوع هو التأبيد، وأنَّ الصوامع والبِيع من حيث ذكر الله فيها، هي جانب إيجابيّ وإن كانت الجوانب السلبيَّة من جهة تحريف اتّباع الأنبياء السابقين هي سلبيَّة لا يُغفل عنها[1].

---

(١) تفسير ملاحم المحكمات، ص٢٠٥ ـ ٢٣٠.

ملاحظات على الفلسفة والعرفان[١]

أصَّل أهل البيت عليهم السلام عدَّة أركان لمعالم الدِّين في مقابل أركان الانحراف اليهودي الإسرائيلي المتفشي في فكر الأُمَّة، ولنستعرض نماذج منها بالغ أهل البيت عليهم السلام في التحذير منها في ذهنية وتعقل الأُمَّة:

١. تشبيه الباري تعالى بمخلوقاته وتجسيمه، وقد شيّد أهل البيت عليهم السلام أركان التنزيه في البشرية جمعاء، لا في المسلمين فقط، وقد وقع في غيّ التشبيه عمالقة الفلاسفة والعرفاء من مدارس الملل والنحل المختلفة كما قد وقع اليهود والنصارى في التشبيه والتجسيم والحلول، وكذلك كثير من المذاهب الإسلامية.

فكُلّ ما فيه تشبيه فهو زخرف باطل، فهل الفلسفة والعرفان أقرب إلى الإسرائيليات في ورطة التشبيه أم حديث أهل البيت عليهم السلام الذي شيّد التنزيه بما لم يسبقه منهج إخلاصي وتخلصي في تاريخ تراث البشر؟!

٢. الجبر في القدر، وقد وقع في ذلك اليهود، وقالوا يد الله مغلولة، وردَّ عليهم القرآن الكريم بقوله: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:

---

(١) إسلام معّية الثقلين ص٩٢.

٦٤]، وكذا وقع في ذلك الفلاسفة من قانون العلية من تقدير اللازم الذاتي في ذوات الممكنات الذي لا يعلّل، وكذلك العرفاء كابن عربي في فصوصه، ولعمرك لم يتخلص منه أنملة فضلاً عن عامة المذاهب الإسلامية والكلامية.

بينما شيّد وأكّد حديث أهل البيت عليهم السلام على البداء ومراتبه المختلفة، وإنَّه تعالى قاهر فوق كُلّ شيء، وحاكم على كُلّ شيء، ولا يحكمه شيء، وأنَّه تعالى كل يوم في شأن، من دون كون ذلك عن جهل بعاقبة الأمور، كيف وهو الموجد لها.

فمن الأقرب للإسرائيليات الفلسفة والعرفان أم حديث أهل البيت عليهم السلام؟ الذي يشدّد النكير على القدرية، حتى عاد القدرية سبّة التاريخ والألسن.

٣ ـ الجبر من الله على العباد والمخلوقات في أفعالهم أو نقيضه وهو التفويض، وأنَّ الإنسان مجبر على ما يأتي به من أفعال حسنة جميلة أو سيئة قبيحة، وقد علت وهج أنوار بيانات أهل البيت عليهم السلام في حديثهم أن لا جبر ولا تفويض، بل أمر بين أمرين، فللإنسان من الله تعالى القدرة والعلم في ما يصدر عنه من أفعال، وليس مسلوب العلم ولا القدرة، بينما أفرط العرفاء والصوفية في الجبر وكذلك الفلاسفة، وأنَّ الإرادة للأفعال من لوازم ذات الفاعل، وكذلك أفرط اليهود وكثير من المذاهب الإسلامية في الجبر.

فمن أقرب للإسرائيليات الفلسفة والعرفان أم حديث أهل البيت عليهم السلام المناوئ بشدّة للجبر والحامل الريادة لإبطاله ولإبطال التفويض؟

٤ ـ نسبة القبائح والمعاصي للأنبياء والرُّسل فضلاً عن الأوصياء وصدور الخيانة والتقصير والقصور، وقد نسب اليهود والنصارى إلى الأنبياء والرُّسل الفظائع والطامات، وهذا ما يُرى إجمالاً من العرفاء والفلاسفة، وإنَّ

تاريخهم معروف في التكبُّر على الأنبياء وإرشاداتهم، وهو المُشاهد في العهد الإسلامي أيضاً.

بينما شدّد حديث أهل البيت عليهم السلام على تنزيه الأنبياء والرُّسل والأوصياء ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦ ـ ٢٧].

بل لا تجد ملة ولا نحلة ولا مذهباً دينياً ولا بشرياً يتشدّد في عصمة الأنبياء والرُّسل كمذهب وحديث أهل البيت عليهم السلام حتى طُعن عليهم بالغلو والإفراط في تنزيههم وإثبات الصدق والأمانة لهم، وقد أشير في حديث أهل البيت عليهم السلام إلى أنَّ حكم وعقل الرسول دلالة على حكمة المُرسل.

فمن أقرب إلى الإسرائيليات الفلسفة والعرفان أم حديث أهل البيت عليهم السلام الذي يمجّد الخالق بتنزيه الأنبياء والرُّسل والأوصياء؟

٥ ـ العدل وحسنه الذاتي والظلم وقبحه الذاتي، فقد شدَّد حديث أهل البيت عليهم السلام على ذلك، ومسؤولية الفرد والأسرة والمجتمع تجاه أيِّ فعل على أيِّ مستوى فردي وأُسري ومجتمعي وسياسي وجماعي، وأنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم الفرائض، التي تقام بها بقية الفرائض وأن تخلي المسؤولية مهما كان من الآخرين ولو من الجميع لا يُسقط مسؤولية الفرد، فلاحظ كم هي عظمة تقرير المسؤولية والوظيفة والعهد والأمانة والصدق والوفاء في حديث أهل البيت عليهم السلام.

بينما تبرر اليهودية والنصرانية كل فعل يصدر من الفرد والجماعة تحت ذريعة الجبر، وينكر قبح الفعل بذلك، ولا يلزم بإصدار الفعل الحسن.

وكذلك الفلاسفة فإنَّهم قالوا باعتبارية الحسن والقبح، وإنَّهما بتباني

العقلاء لا للأشياء بواقعيتها، وهذا يفتح باب تبدل الثوابت وتبرير عدم المسؤولية الحقيقية بعد عدم تقرّر الحسن والقبح ذاتياً للأفعال، وكذلك وافقهم العرفاء والصوفية.

فمن الذي تضمن الإسرائيليات الفلسفة والعرفان، أم حديث أهل البيت عليهم السلام الذي شدَّد على العدل وحسنه وقبح الظلم وسوئه؟

٦ ـ عدم ترامي رجال الدِّين في أحضان الحُكَّام والساسة، وقد شدَّد حديث أهل البيت عليهم السلام على عدم تبعية رجل الدِّين للسياسات المختلفة ولزوم استقلاليته عن السلاطين والحكومات، وإنَّ الانحراف في دين اليهود والنصارى لانقياد علمائهم للحكَّام وتبعيتهم للسلطات، بينما لم يحسم هذا الأمر الفلاسفة ولا العرفاء والصوفية، بل كثيراً ما تمَّ توظيف أنماط من الفلسفة لتبرير سياسات الحُكَّام، وهي مدارس التشكيك السفسطي.

فأيّهما أقرب إلى الإسرائيليات الفلسفة والعرفان أم حديث أهل البيت عليهم السلام الذي شدَّد ـ طوال التاريخ ـ على علماء الإمامية الابتعاد عن تلاعب مزاد الحُكَّام وأهوائهم؟؟

ولنكمل في البدء نبذة أخرى من النقاط المقارنة بين عشعشة الإسرائيليات في الفلسفة والعرفان وبين نقاء الحديث منها، هذا مع إيماننا بضرورة اللغة والقراءة العقلية واللغة والقراءة الذوقية، وأنَّهما اللغتان والقراءتان المثيلتان للوحي، وأنَّ العقل والقلب هما التلميذان المقدمان والاكفأن للتعلُّم لدى مدرسة كلام الوحي، إلَّا أنَّ هناك بوناً كبيراً بين اللغة والقراءة التصورية العقلية والذوقية لكلام الوحي، وبين جعل المدار في البحث العقلي والذوقي العكوف طوال العمر على كلام البشر كالفلاسفة والعرفاء وإضفاء هالة من القدسية عليه.

٧ ـ البحوث في العلوم الطبيعية، فكم بنى الفلاسفة على بحوث العلوم الطبيعية والتجريبية المعاصرة لهم، ورتبوا عدَّة من نظرياتهم عليها، وجملة من استدلالاتهم على تفريعاتها، ثم يفاجئهم البحث العلمي في أجيال لاحقة بهدم كل أُسس الفرضيات أو النظريات التي بنوا عليها، فينهار عرش البحوث في جرف هارٍ.

وكذلك العرفاء، فكم بنى ـ مثلاً ـ ابن عربي في فتوحاته وغيره على نظرية بطليموس في الفلك بينما تبددت أوهام هذه النظرية لاحقاً.

وخالف صاحب تفسير «الميزان» الفلاسفة في جنس الأجناس، فلم يجعله الجسم، بل الطاقة المادية، وما ذهب إليه وإن كان يتضمن غفلة عن ضابطة ومصطلح الجسم في اللغة العقلية إلَّا أنَّ مؤاخذته على من تقدمه في هذه المسألة التي تبتني عليها عشرات البحوث الأخرى مثال على تلك العشعشة.

ومثال آخر وليس بأخير، ما بنى عليه الملَّا «صدرا» وصاحب «الميزان» كذلك في البحث الفلسفي من أنَّ ارتباط أصل الرُّوح المجرد الحيواني من الإنسان بالبدن بعد الأربعة أشهر، وحملوا تفسير الآية القرآنية «ثم أنشأناه خلقاً» على هذا المعنى، وكذلك تأوّلاً عالم ونشأة الذر للإنسان.

بينما اكتشف العلم الحديث: إن تعلّق الرُّوح الحيواني بالمادة قبل ذلك بكثير بمادة الجينات الوراثية المجهرية منذ وجودها في ظهر آدم أبو البشر، وأما الإنشاء الآخر بعد الأربعة أشهر فهو مراتب أعلى من درجات الرُّوح الإنساني.

وهكذا تجد العشرات من الأمثلة والموارد والمواطن التي بنوا عليها.

وهذه الظاهرة ليست مختصة بالفلسفة البشرية القديمة بل ملحوظة بالفلسفات الحديثة الغربية أيضاً، لا سيَّما مع هذه الثورة المعلوماتية التي تتفجر باستمرار على مدار الساعات في العلوم الراهنة لدى البشر، فإنَّها تفضح زيوف الآراء الفلسفية بنحو سافر.

بينما نرى العكس على الدوام بين ما يتضمنه الحديث والروايات من أمور حول مختلف العلوم والموضوعات الطبيعية والكونية، فإنَّ الاكتشافات والمفاجآت العلمية تبرز إعجازات علمية مهولة لما تضمنته الأحاديث من حقائق طبيعية وكونية وتكوينية لم يستوعبها ولم يعيها البشر من قبل.

فانظر إلى هاتين الظاهرتين المتعاكستين في الفلسفة والعرفان، وعلى عكسها في متون ومضامين الحديث، وتابع وارصد سلسلة المستجدات، وقم بتدوين قائمة وملفات في ذلك، ولن ينقضي عجبك حتى ستذهل من هول ما ستقف عليه من عظمة ما تضمنه الحديث من الوحي في أدقّ التفاصيل فضلاً عن كبار المسائل والأبواب، فهو كالشمس المشرقة المتعاظمة في الصعود علواً.

بينما ينكشف قصور تصورات الفلاسفة والعرفاء وإخفاقاتهم التي لا تنتهي عند حدّ، بتواصل مفاجآت اكتشافات العلوم الحديثة.

٨ ـ التعصُّب للرأي والانغلاق تزمُّتاً، فإنَّها ظاهرة في البدء لإبليس اللعين، فهو كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إبليس إمام المتعصبين». وهذه الظاهرة مترسخة في طبيعة اليهود ولجاجهم وتعصبهم وعنصريتهم التي رصدها القرآن الكريم.

فتعال نلاحظ مقدار التعصُّب في جو البحث الفلسفي والعرفاني رغم

رفع الفلاسفة والعرفاء شعار البحث الحرّ، وأنَّ المدار هو الدليل والاستدلال والبرهان، لا التقليد والتسالم، إلَّا أنَّ حقيقة الحال وواقع المسيرة الفلسفية والعرفانية تغاير هذا الشعار، ولنذكر لذلك أمثلة:

منها: ابتعادهم عن تراث الأنبياء عليهم السلام والأديان واستبدادهم بآرائهم، مع أنَّ الانفتاح على الرأي الآخر وآراء الآخرين بغضّ النظر عن هويته ممَّا يوسع للباحث أُفق الاحتمالات، ويُكثر لديه زوايا وأبعاد الأمور، وينوّع لديه وجوه الأشياء.

وهذا لا يعني التسليم من دون دليل وبرهان، بل يعني إثارة الاحتمال وتوليد تصورات مغفول عنها في ذهن الباحث لولا انفتاحه واطلاعه واستقرائه لآراء المدارس والاتجاهات المختلفة.

ومن ثم ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام أنَّه: «أعلم الناس من علم باختلاف الناس». «وأعقل الناس من جمع عقول الناس إلى عقله». «من استبدَّ برأيه هلكَ ومن شاورَ الرِّجال شاركها في عقولها».

وغيرها من التوصيات في القرآن والسُّنَّة على الانفتاح على أقوال وآراء الآخرين.

وهذا، وإن لم يكن بمعنى التسليم عمياوياً، بل التصفح والتنقيب والبحث والمقارنة.

إلَّا أنَّ أصل الاطلاع على ما يقوله الآخرون يوسّع أفق تصور الباحث، بينما الملحوظ لدى جلّ وغالب الفلاسفة والعرفاء العزوف عن ميراث الأنبياء والمرسلين والصدود عنه بل الاستهزاء به والاستنكاف عن التصفح فيه والتنقيب عن تصوراته، مع أنَّهم يسترقون كثيراً من نيِّرات ضيائه في عدَّة من

المباحث، إلَّا أنَّه يسيرٌ مقارنة مع ما في الميراث السماوي من حقائق ومعارف، مع أنَّ أصل التصورات والإلمام بجميعها ومجموعها ضروري توفره لدى الباحث كي تتوافر لديه المعطيات وتعتدل لديه الموازنة بين كل الاحتمالات المتأتي إمكانها.

فكيف يتم السير العقلي والاستقصاء الدقي البرهاني لكل محتملات الإمكان الواقعي بدون الإحاطة الشمولية؟

فهل يكون الحصر بدون ذلك حينئذٍ عقلياً برهانياً أم هو تجزمي تقوقعي في شرنقة الأنوية وسجن الأنا الذاتي؟

ومن ذلك يظهر لك قيمة أية رواية مهما بلغ ضعفها من ناحية توثيق الصدور ومهما بلغ ضعف اعتبار الطريق، فإنَّ المدار في البحث العقلي ليس على الصدور والطريق بل على المضمون للمتون والمفاد للمؤدَّى، فغريب ممَّن يدّعي النهج العقلي ويتمسّك في بحث المعارف بتمريض اعتبار الصدور والطريق للحديث ممَّا يكشف عن عجزه عن تحليل المضمون وعن دراسة المتون.

ثم من الغرائب أنَّ الفلاسفة والعرفاء يعكفون طول عمرهم على كلام البشر من أمثالهم ولا ينفتحون على كلام منسوب للوحي السماوي.

وليس المقصود من ضرورة انفتاحهم على كلام الوحي هو الإذعان من دون دليل وبرهان، بل هو التحرّي في الآفاق التي يبرزها لهم.

بينما نرى أنَّ الحديث الشريف يدعو إلى الإلمام بأقوال الآخرين والمقارنة والموازنة والتنقيب لتمييز الغثّ من السمين، والانفتاح على الحكمة أينما وجدها، وتوصيات عديدة للتحري.

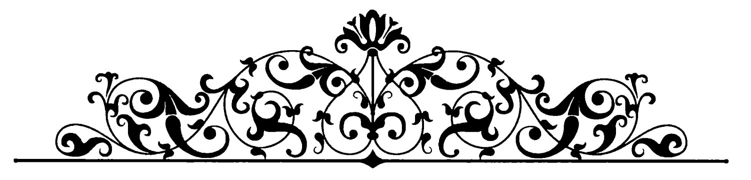
ومنها: عدم انفتاح الفلسفة والعرفان على العلوم الأخرى، فإنَّ متابعة العلوم الاخرى في كُلِّ المجالات والمستجدات ممَّا يوسع آفاق العقلية والذهنية البشرية ويأخذ بها إلى مستويات مرتقية.

بينما ابتعد الفلاسفة عن العلوم الكثيرة تحت ذريعة أنَّها لا تشتمل على البرهان ولا على المشاهدات والمكاشفات العيانية، وهذا حَبسهم على دوائر ضيقة من المجهود العلمي بخلاف دعوة الحديث والروايات، فإنَّها داعية إلى ازدياد الاطلاع على العلوم وإلى ازدياد درجات رقي العقل بقوَّة المعلومات كي يتسنى ويتمكن من وعي وفهم كلام الوحي الذي يتصفح كل أقسام المخلوقات وأنواع الأشياء.

ومنها: منعهم النقاش والنقد والمسائلة في المسلّمات الفلسفية والعرفانية، وإضفاء هالة قدسية على رموزهما، ولا يخفى أنَّ من وراء ذلك غلقاً لباب المراقبة العلمية والنقد البحثي وضخّ قناعات مُسلمة لا يفسح المجال للتأمُّل والتساؤل فيها، بينما الوحي من خلال المصحف والحديث يُوصي بمراقبة الأنبياء والرُّسل والأوصياء فضلاً عن غيرهم، وهذه المراقبة لا للخلل والخطل في المعصومين عليهم السلام بل لزيادة المعرفة بعلو حقائق مقاماتهم وليكون الاتباع عن معرفة وبصيرة لا عن عمياوية واندفاع غير مدروس[1].

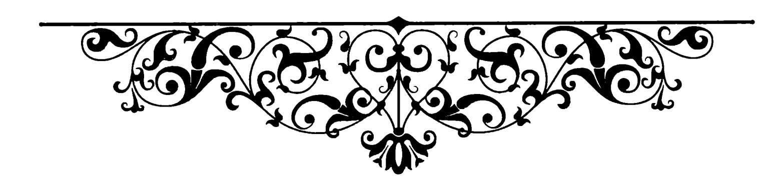
---

(١) إسلام معية الثقلين، ص٩٢ ـ ١٠٢.



الفصل الثاني

الطريق إلى التكامل الرُّوحي



دور التوسل في التكامل (١)

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [المائدة: ٣٥].

في المقدِّمة لا بُدَّ من التنبيه على أنَّ التدبُّر في الآية الكريمة يفيد أنَّ الابتغاء المأمور به جُعل متعلّقاً لكُلِّ من الوسيلة وذي الوسيلة وهو الله عزَّ وجلَّ.

فجُعل الابتغاء والقصد والتوجُّه إلى كُلّ من الوسيلة والذات الإلهية المقدَّسة، فكُلّ منهما أُمرنا بقصده والتوجُّه إليه، إلَّا أنَّ القصد والتوجُّه إلى الوسيلة ابتداءً هو الذي يؤدِّي وينتهي بنا إلى قصد الله تعالى، فالغاية القصوى هو الله عزَّ وجلَّ، إلَّا أنَّ الذي يُقصد ابتداءً هو الوسيلة بداعي القصد إلى منتهى الغاية والأمل، وهو الله تبارك وتعالى.

حيث أنَّ هذه الآية المباركة ليست في مقام بيان مشروعية التوسُّل فحسب، بل الآية المباركة ترمي إلى بيان حتمية ولا بُدّيَّة التوسُّل، وأنّه أمر تعيينيّ عينيّ، وذلك لأنَّ المقصود من «ابتغوا الوسيلة» أي اقصدوها

(١) التوسّل عبادة توحيدية ص٢٠٨.

وتوجّهوا إليها في مقام توجّهكم إلى الله عزَّ وجلَّ، ومعنىً (ابتغوا) أيضاً في الآية المباركة أنَّ هناك بُعداً بين العبد والباري تعالى، وأنَّ هناك مسافة لا بُدَّ أن تُطوى بابتغاء الوسيلة والحضور عندها، ولو كان هناك قُرباً تلقائياً من طرف العبد إلى ربّه فلا حاجة إلى الوسيلة حينئذٍ للاقتراب من الله تعالى؛ لكونه تحصيلاً للحاصل، ولا يكون معنى للوسيلة وابتغائها ولو بنحو التخيير أيضاً.

فالأمر بابتغاء الوسيلة وقصدها معناه أنَّ هناك بُعداً بين العبد وبين الله تعالى، وهو بُعد من جهة العبد فقط، لا من طرف الباري عزَّوجلَّ، لأنَّ الله تعالى قريب، أقرب إلى العباد من حبل الوريد، كما قال تعالى ذكره: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]، لكن العبد من طرفه يحتاج إلى الوسيلة لبُعده؛ لأنَّ قرب الله تعالى إلى العبد ليس قرباً جسمانياً جغرافياً، لكي يكون هناك تلازم تضايفي بين العبد وربّه في القرب والبُعد، وكذا ليس من نوع القرب العقلي أو الرُّوحيّ ليحصل التجانس أو التماثل في القرب؛ وذلك لما تقدَّم من كون الله تعالى منزَّه عن التضايف والتقابل الجسماني أو العقلي أو الرُّوحي، لأنَّه تشبيه باطل مناف لعظمة ذات الباري تعالى.

إذن القرب الإلهي تجاه العبد قرب القدرة والسلطنة والهيمنة والإحاطة، فالمقتدر والمهيمن والمحيط كُلَّما كانت قدرته وهيمنته وإحاطته أشدّ، كُلَّما كان أقرب من المحاط به، وعلى العكس يكون الطرف المقابل الضعيف، فهو يزداد ضعفاً كُلَّما كان طرفه المقابل أشدّ قوَّة واقتداراً، كذلك كُلَّما ازداد المهيمن إحاطة ازداد الطرف الآخر مُحاطيَّة وبُعداً عن أن يحيط بالمحيط، فالقويّ قريب محيط، والضعيف بعيد مُحاط، ويبعد كُلَّما ازداد القويّ قوَّة

وهيمنة؛ لأنَّ الضعيف حينئذٍ بعيد من حيث افتقاده للصفات والكمالات اللّامتناهية شدَّة وعدَّة التي للقويّ المحيط.

والحاصل: إنَّ هناك نمطاً من التعاكس في القرب والبُعد، فطرف يكون قريباً والآخر بعيداً، كُلَّما ازداد الباري قرباً وإحاطة من حيث الصفات كُلَّما ازداد المخلوق بعداً من طرفه بالنسبة إلى الله تعالى، وذلك من حيث التعاكس في الصفات.

ومن ثم لا بُدَّ من ابتغاء الوسيلة التي هي أشدّ كمالاً وأقرب إلى الباري تعالى لكي يطوي المخلوق شيئاً من ذلك البُعد وينال درجة من درجات القرب، برقيّه في مدارج الكمال عن طريق الواسطة والوسيلة.

والوسيلة هي الأقرب إلى الله تعالى من حيث الكمالات، إذ كُلَّما تكامل المخلوق في الصفات ازداد قربه من الحضرة الرُّبوبيَّة، وكُلَّما عظم المخلوق صفة وكمالاً، كُلَّما كان أقرب من الخالق لازدياد علمه ومعرفته بصفاته تعالى، والعلم درجة من درجات القرب والوصول، إذ طالما تجلَّت في المخلوق صفات الخالق أكثر عُرِف ذلك المخلوق بتلك الكمالات والصفات صفات الخالق عزَّ وجلَّ؛ ولذا يكون أكمل المخلوقات أعرفهم بربِّه وأقربهم منه وأكثر دلالة عليه وأشدّهم آية وعلامة ترشد إليه وتقرّب منه؛ لأنَّ ما يتجلَّى فيه من بديع الكمالات آيات لكمال الباري عزَّ وجلَّ، على العكس من ذلك ما لو قلَّت في المخلوق الكمالات، فإنَّه تقلُّ فيه الآيات الدالَّة على عظمة الله تعالى، وقلَّت بالطبع معرفته.

ومن هنا كان المخلوق الذي يتَّسم بالضعف والفقر والحاجة والبُعد عن الله تعالى بحاجة إلى الوسيلة التي هي أقرب صفة وكمالاً من الله عزَّ وجلَّ، كي تكون سبباً يقرّبه إلى ربّه.

فالوسيلة والوسائط هي أعاظم المخلوقات، وهي آيات الله وأسمائه وعلاماته الدالَّة عليه، والتي يستدلّ الخلق بعظمتها على عظمة الباري، فتزداد المعرفة ويحصل القرب بنيل الكمالات.

ولا شكَّ أنَّ الخطاب الوارد في الآية المباركة الكاشف عن ضرورة الوسيلة بالبيان المتقدِّم عامّ وشامل للتوبة ومطلق العبادات وللمعرفة والإيمان أو التوجُّه إلى الحضرة الإلهيَّة لنيل مقام أو حظوة عند الله تعالى.

فللعلاقة بين العبد وربّه ولقطع مسافة البُعد لا بُدَّ من الوسيلة، سواء في المعرفة والإيمان أو في قبول التوبة أو العبادات أو نيل المقامات، وقد أُطلق عن مثل هذا المقام في لسان الشارع بالشفاعة.

هنا أيضاً نريد التعرُّض لبيان أدقَّ وأعمق ودالّ على المطلوب في المقام لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤].

لقد نصَّت هذه الآية المباركة على ثلاثة شروط لقبول التوبة والاستغفار من هذه الأُمَّة، وهي:

١ ـ المجيء إلى النبيّ الأكرم ﷺ.

٢ ـ إبراز الاستغفار من الله عزَّ وجلَّ.

٣ ـ إمضاء النبيّ ﷺ لذلك الاستغفار، واستغفاره للتائبين.

فهذه الآية من ضمن مجموع الآيات التي تعرَّضت لذكر شرائط التوبة، وأوَّل شرط لقبول توبة المذنب والظالم لنفسه ليس إظهار الندامة من العبد أمام الله تعالى مباشرة، بل الشرط الأوَّل هو المجيء إلى الحضرة النبويَّة

والالتجاء إليه، واللّواذ والاستعاذة والاستجارة به ﷺ، فأوّلاً لا بُدَّ أن يأتي العبد إلى النبيّ ﷺ ويلوذ به، ثم بعد ذلك يُظهر الندامة والاستغفار؛ إذ الترتيب للشروط في الآية المباركة ترتيب رتبي ترتيبي، حيث أخذت المراتب بعين الاعتبار، لا أنَّه ذكري فقط بقرينة العطف بالفاء.

والمجيء إلى النبيّ الأكرم ﷺ هو عين التوجُّه إليه والتوسُّل به في قبول التوبة.

وهذه الآية كشفت النقاب عن شرطية التوسُّل بالنبيّ ﷺ في أكبر خطر مصيريّ يُحدق بالإنسان وهو الذنب والمعصية التي قد تؤدِّي بالعبد إلى الهلاك والسقوط في الهاوية، في مثل هذا الأمر الخطير جعل الله تعالى الملاذ والملجأ هو النبيّ ﷺ، فلا بُدَّ من الكينونة في الحضرة النبوية، ثم إظهار عبادة الاستغفار، لأنَّه ﷺ باب الله تعالى الذي منه يُؤتى، فيكون اللَّواذ بالله عزَّ وجلَّ باللَّواذ بنبيِّه الأكرم ﷺ؛ ولذا بعد الاستجارة بالنبيّ ﷺ قال تعالى: ﴿لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤].

إذن الاستعاذة والاستجارة واللجوء إلى الله بنبيِّه أُخذ شرطاً في أخطر موقف للعبد مع ربّه، وهو التوبة وغفران الذُّنوب.

ومن الواضح أيضاً أنَّ الظلم المذكور في الآية المباركة ليس مختصّاً بالذُّنوب الفردية التي بين العبد وربّه، وإنَّما هو شامل للظلم الاجتماعي السياسي أو النظام الاقتصادي المعاشي أو التعدِّي على المنظومة الحقوقية والأخلاقيَّة، ومعنى ذلك أنَّ استعلام ومعرفة تلك الأمور الفردية والاجتماعية لا يمكن أن يتحقَّق إلَّا عن طريق الالتجاء واللَّواذ بالنبيّ ﷺ، فكلّ حيف أو زيغ يحصل من الفرد أو المجتمع في تلك الأمور لا بُدَّ من الرجوع فيها إلى

الرسول الأكرم ﷺ، وفي مقابل تعدُّد أنواع الظلم يتعدَّد أنواع اللجوء والتولِّي والتوجُّه للنبي ﷺ.

ثم إنَّ ذكر التوبة والاستغفار في الآية المباركة لا لخصوصية فيها، وإنَّما ذُكرت بما هي عبادة من العبادات، لكونها أوبة ورجوع إلى الله تعالى واقتراب منه وقصد وتوجُّه إليه، فليست الآية في ذكرها لشرطية التوسُّل بالنبيّ ﷺ خاصَّة بالتوبة، بل هي شاملة في ذلك لكُلِّ العبادات، خصوصاً وأنَّ التوبة هي الأوبة، من آب يؤوب، والأوبة الرجوع إلى الله تعالى، أي الاقتراب والزلفى منه عزَّ وجلَّ، ولا شكَّ أنَّ العبادات بمجموعها طلب الأوبة والقُرب والزلفى إلى الله تعالى، فهي نوع من أنواع التوبة، وبناءً على ذلك لا تكون التوبة عملاً منحازاً ومنفصلاً عن سائر العبادات كالصلاة والحجّ وغيرهما، بل هي عمل عام وشامل لكافَّة العبادات.

كذلك التوبة نوع من أنواع الدُّعاء، لأنَّها طلب المغفرة من الله تعالى ودعاء بالغفران، فمضمون هذه الآية المباركة مشترك مع ما تقدَّم من الروايات الدالَّة على أنَّ الدُّعاء وطلب العبد القرب من الله تعالى لا يرتفع إلى السَّماء ولا تُفتَّح له الأبواب ما لم يقترن بذكر النبيّ ﷺ بالصلاة على محمَّد وآل محمَّد، وإذا كان كذلك فإنَّ الدُّعاء وطلب القرب من الله عزَّ وجلَّ شامل للمقامات الثلاث التي ذُكرت في صدر البحث، وهو قبول التوبة والعبادة ونيل مقامات القرب، وهو لا يُقبل إلَّا باللَّواذ بالنبيّ ﷺ والتوجُّه إليه والاستعاذة والاستجارة والتوسُّل به، بالمجيء في حضرته المباركة.

وهذه الآية الكريمة الدالَّة على شرطية التوجُّه بالتوسُّل وضرورته في جميع المقامات ليست خاصَّة بحياة النبيّ ﷺ؛ إذ ليس المُراد من المجيء الحضور الفيزيائي لبدن المذنب عند النبيّ الأكرم ﷺ فقط، بل المجيء

الفيزيائي والبدني المكاني أحد المصاديق المقصودة في الآية المباركة، والتعبير بالمجيء كنائي، يُراد به مطلق الاستغاثة والتوسُّل والتوجُّه القلبي إلى النبيّ ﷺ، والشواهد على ذلك عديدة، منها:

١. إنَّ هذه الآية المباركة جاءت لبيان ماهية التوبة وشرائطها العامَّة التي يشترك فيها كافَّة المسلمين وفي جميع الأزمنة، فلا يمكن أن تكون مختصَّة بالفترة التي عاشها النبيّ الأكرم ﷺ أو بمن زامن وعايش تلك الفترة، فالمُراد من المجيء مطلق الارتباط بالنبيّ ﷺ، بالتوجُّه إليه والكينونة في حضرته المباركة، ثم الإتيان بعبادة الاستغفار، وهذا المضمون متطابق مع مفاد قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾[البقرة: ١٢٥]، إذ معنى ذلك أنَّ حضرة الأنبياء ومحضرهم مشاعر شعّرها الله تعالى ليتقرَّب بها إليه.

ويتَّضح هذا الشاهد أكثر إذا علمنا أنَّ النبيّ الأكرم ﷺ بُعث رحمة للعالمين، وهذه من الرحمات العامَّة للنبيّ الأكرم ﷺ على هذه الأُمَّة، وغير مختصَّة بمن حضر الحضور الفيزيائي البدني عند النبيّ ﷺ.

٢. إنَّ نفس التعبير بقوله تعالى: ﴿جَآءُوكَ﴾ [النساء: ٦٢] يتضمَّن معنى اللَّواذ واللجوء والاستغاثة والتوسُّل والتوجُّه القلبي، وليس فيه دلالة على الاختصاص بالحضور الجسماني.

٣. استغفار آدم عليه السلام وتوبته أيضاً كما مرّ ـ كانت بالمجيء للنبيّ الأكرم ﷺ، ولكن كان مجيئه إليه في أُفق القلب والقصد، فقد ورد في روايات الفريقين أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لما اقترف آدم الخطيئة، قال: يا ربِّ أسألك بحقِّ محمَّد لما غفرت لي، فقال: يا آدم وكيف عرفت محمَّداً ولم أخلقه؟ قال: يا ربِّ لأنَّك لمَّا خلقتني بيدك ونفخت فيَّ من روحك رفعتُ رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً: لا إله إلَّا الله محمَّداً رسول الله، فعلمت أنَّك

لم تُضف إلى اسمك إلّا أحبّ الخلق إليك، فقال: صدقت يا آدم إنّه لأحبّ الخلق إليّ، ادعني بحقّه فقد غفرت لك، ولولا محمّد ما خلقتك»[1] وغيرها من الروايات الدالّة على أنّ مجيء آدم إلى النبيّ ﷺ ولواذه به كان بالتوجُّه القلبي به إلى الله تعالى.

وفي هذه الرواية الأخيرة التي نقلناها إشارة أخرى إلى اقتران اسم النبيّ الأكرم ﷺ باسم الله عزّ وجلّ في أعظم عبادة وأشرف كلمة في الإسلام، وهي كلمة التوحيد.

٤ ـ إنّ المسلمين في سيرتهم منذ الصدر الأوّل فهموا من هذه الرواية الشمول والعموم وعدم الاختصاص بالفترة الزمنية التي عاشها النبيّ ﷺ، وهذا دليل على عموم المعنى المستعمل في ارتكاز أبناء اللغة، ولذا كانوا يتوجّهون إلى النبيّ الأكرم ﷺ في طلب المغفرة ويأمرون الآخرين بذلك حتى بعد وفاة النبيّ الأكرم ﷺ، والشواهد الروائية والتاريخية على ذلك كثيرة جدّاً:

منها: ما أخرجه النووي عن العتبي قال: «كنت جالساً عند قبر النبيّ ﷺ فجاء أعرابي، فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله تعالى يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤] وقد جئتك مستغفراً من ذنبي مستشفعاً بك إلى ربّي، ثم أنشأ يقول:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه   فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه   فيه العفاف وفيه الجود والكرم

(١) المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، ج٢، ص٦١٥.

قال: ثم انصرف، فحملتني عيناي فرأيت النبيّ ﷺ في النوم، فقال لي: يا عتبي، إلحق الأعرابي فبشّره بأنَّ الله تعالى قد غفر له»[١].

ومنها: ما أخرجه السيوطي عن أبي حرب الهلاليّ قال: «حجَّ أعربي، فلما جاء إلى باب مسجد رسول الله ﷺ أناخ راحلته فعقلها، ثم دخل المسجد حتى دخل القبر ووقف بحذاء وجه رسول الله ﷺ، فقال: بأبي أنت وأُمِّي يا رسول الله، جئتك مثقلاً بالذُّنوب والخطايا مستشفعاً بك على ربّك، لأنَّه قال في محكم كتابه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤] وقد جئتك بأبي أنت وأُمِّي مثقلاً بالذُّنوب والخطايا استشفع بك على الله ربّك أن يغفر لي ذنوبي وأن يشفع فيَّ»[٢].

ومنها: ما روي عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنَّه قال: «قدم علينا إعرابي بعد ما دفنَّا رسول الله ﷺ بثلاثة أيام فرمى بنفسه على قبر النبيّ ﷺ وحثا من ترابه على رأسه، وقال: يا رسول الله قلت فسمعنا قولك، ووعيت عن الله فوعينا عنك، وكان فيما أنزل الله عليك: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤] وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي، فنُودي من القبر أنَّه غُفر لك»[٣]، إلى غير ذلك من الشواهد.

وممَّا يشير إلى كون النبيّ ﷺ وأهل بيته عليهم السلام قدوة لجميع الأنبياء والمرسلين حتى أولي العزم منهم، [وبالتالي اتّباعهم للنبيّ ﷺ وأهل

(١) الأذكار النووية، النووي، ص٢٠٦، كذلك في تفسير ابن كثير، ج١، ص٥٣٢.
(٢) الدرّ المنثور، ج١، ص٢٣٨.
(٣) كنز العمَّال، ج٢، ص٣٨٦، سبل الهدى والرشاد/ الصالحي الشامي، ج١٢، ص٣٩٠.

بيته عليهم السلام وسيلة لبلوغهم إلى المقامات العالية من النُّبوَّة والرسالة والخلّة والإمامة وغيرها، مع أنَّ النبيّ وأهل بيته متأخرين عنهم من حيث الزمان في النشأة الأرضية]، هو ما دلَّت عليه جملة من الآيات والروايات من أنَّ الله تعالى أنبأ آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من الأنبياء والرُّسل بالأحوال والحوادث التي تجري على خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، من المحن والمصائب والابتلاءات والامتحانات والشدائد وكيفية ثباتهم عليهم السلام فيها وصبرهم ورضاهم وتسليمهم بقضاء الله وقدره وتنمّرهم في ذات الله، وأطلعهم على الكمالات والمقامات الرفيعة التي يكونون عليها، مع عظيم ابتلائهم بتلك الشدائد.

وهذا ما يوجب تربية روحية عالية لهم ليتحلّوا بالكمالات عند مواجهتهم للشدائد والفتن والمحن، وبالتالي نيل المقامات التي حظوا بها عند الله تعالى.

وكان فيما أوحى الله عزَّ وجلَّ لهم عن أحوال النبيّ وأهل بيته بأنماط متعدِّدة من الوحي، أي من الوحي الصوري نظير الرؤيا أو الوحي بالإلهام والمعنى وغيرها من أنماط الوحي.

فكانت سيرة النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام تمثالاً منصوباً وشعاراً مرفوعاً لهم يحتذون ويقتدون به، ماثل أمام أعينهم طيلة مسيرة أيام نبوّتهم ورسالتهم.

وهذا أحد معاني اقتداء الأنبياء والمرسلين بالنبيّ وأهل بيته.

أمَّا الروايات في هذا المجال فهي كثيرة جدّاً، نشير إلى شطر منها على سبيل الاختصار.

ما أخرجه القندوزي الحنفي في الينابيع، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «يا عباد الله إنَّ آدم عليه السلام لما رأى النُّور ساطعاً من صلبه، إذ كان الله تعالى نقل

أشباحنا من ذروة العرش إلى ظهره، رأى النُّور ولم يتبيَّن الأشباح، فقال: يا ربِّ ما هذه الأنوار؟ قال: أنوار أشباح نقلتهم من أشرف بقاع العرش إلى ظهرك، ولذلك أمرت الملائكة بالسجود لك، إذ كنت وعاءً لتلك الأشباح، فقال آدم عليه السلام: يا ربِّ لو بيَّنتها لي.

فقال الله عزَّ وجلَّ: انظر يا آدم إلى ذروة العرش.

فنظر آدم عليه السلام ووقع نور أشباحنا من ظهر آدم عليه السلام إلى ذروة العرش، فانطبع فيه صور انوار أشباحنا التي في ظهره كما ينطبع وجه الإنسان في المرآة الصافية، فرأى أشباحنا.

فقال: ما هذه الأشباح يا ربّ؟

قال الله تعالى: يا آدم هذه الأشباح أشباح أفضل خلائقي وبريّاتي، هذا محمَّد وأنا المحمود في أفعالي، شققت له اسماً من اسمي، وهذا علي وأنا العليّ العظيم شققت له اسماً من اسمي، وهذه فاطمة وأنا فاطر السماوات والأرض، فاطم أعدائي من رحمتي يوم فصل القضاء، وفاطم أوليائي ممَّا يبيرهم ويشينهم، شققت لها اسماً من اسمي، وهذا الحسن وهذا الحسين وأنا المحسن المجمل ومنِّي الإحسان، شققت اسميهما من اسمي.

وهؤلاء خيار خلقي وكرائم بريَّتي، بهم آخذ وبهم أعطي، وبهم أعاقب وبهم أثيب، فتوسل بهم إليَّ يا آدم، وإذا دهتك داهية فاجعلهم إليَّ شفعائك فإنِّي آليت على نفسي قسماً حقّاً لا أُخيّب لهم آملاً ولا أردّ لهم سائلاً»[1].

ما أخرجه المجلسي في البحار عن صاحب الدرّ الثمين في تفسير قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ [البقرة: ٣٧]، «أنَّه رأى ساق العرش وأسماء

---

(١) ينابيع المودَّة لذوي القربى/ القندوزي الحنفي، ج١، ص٢٨٩.

النبيّ والأئمَّة عليهم السلام، فلقَّنه جبرئيل، قل: يا حميد بحقِّ محمَّد، يا عالي بحقِّ عليّ، يا فاطر بحقِّ فاطمة، يا محسن بحقِّ الحسن والحسين ومنك الإحسان، فلمَّا ذكر الحسين سالت دموعه وانخشع قلبه، وقال: يا أخي جبرئيل في ذكر الخامس ينكسر قلبي وتسيل عبرتي؟ قال: جبرئيل: ولدك هذا يُصاب بمصيبة تصغر عندها المصائب، فقال: يا أخي وما هي؟ قال: يُقتل عطشاناً غريباً وحيداً فريداً ليس له ناصر ولا معين»(١).

والحاصل: إنَّ هذه الآيات المباركة تُبيِّن أنَّ مفتاح أبواب سماء الحضرة الرُّبوبيَّة الإقرار بالحجج والآيات والتوجُّه إليها والتوسُّل والتشبُّث بها والانقطاع إليها، لا عنها، وأبرز وأعظم تلك الآيات «النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام»، فهم مفاتيح أبواب السماء في قبول وصعود التوبة والمعرفة والإيمان والعقيدة ونيل المقامات، فلا ترتفع أي عبادة ولا ينال مقام ولا تتحقَّق التوبة مع عدم التصديق بالآيات وصلتها ومودّتها والتوجُّه إليها والتوسُّل بها، والإعراض عنها يوجب حبط الأعمال وامتناع دخولهم الجنَّة في الآخرة ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾[الأعراف: ٤٠] ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٩]، فشرط النجاة يوم القيامة الارتباط بالآيات الإلهيَّة والانتماء إليها والتوسُّل بها، لكونها قنوات غيبيَّة توجب القرب إلى الله تعالى.

فالتوسُّل شرط في تفتّح الأبواب لقبول وصحَّة الإيمان والتوبة وقبول الأعمال وسائر المقامات(٢).

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٤، ص٢٤٥.

(٢) التوسل عبادة توحيدية، ص٢٠٨ إلى ٢٦٢.

دور المحبة في التكامل(١)

إنَّ الاستقراء في أبعاد مساحة الأحكام الشرعية وقواعدها يوصلنا إلى وفرة من الأحكام والتكاليف الإلهية المتعلقة بميول وانعطافات النفس، مثل قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[الشورى: ٢٣].

وفي المقابل ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمًا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المجادلة: ٢٢] و﴿لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدًا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡ﴾ [الممتحنة: ١] و﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ﴾ [إبراهيم: ٣]، و﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [محمد: ٩]. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [محمد: ٢٨]. و﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧] و﴿وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ إِلَّآ أَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ

(١) البكاء على الحسين ص٤٤.

وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴾ [التوبة: ٥٤].

فالمودة والحبّ واستحباب الأشياء للنفس والتحبيب لها، والكراهة والاستكراه هي من الأفعال النفسانية التي تعلق بها الأمر والطلب الشرعي ليقوم بها الإنسان بلحاظ موارد وموضوعات، كما تعلّق بها النهي والزجر الشرعي كي يقلع عن فعلها في موارد أخرى، والعكس وهو الكراهة والاستكراه هي أفعال اختيارية وتقع تحت إرادة الإنسان ولو بتوسط مقدمات وعبر معدات سابقة يتمكن الإنسان من القيام بها، فهي تقع تحت الاختيار بوسيلة إعدادات مُسبقة.

وها هنا نلاحظ أنَّه كما يدعو القرآن إلى التدبُّر والتفكير والتعقُّل واتباع اليقين والبيِّنات والنهي عن اتباع الظن والوقوع في الريبة، كذلك نجده يأمر بالحبّ والمودة والتحبيب أو الكراهة والتكريه في بعض الأشياء والنهي عنها في بعض موارد أخرى.

فالقرآن الذي يدعو إلى البصيرة والتبصر والبحث والتعلم يدعو ويوظّف الميول والانعطافات النفسية والأفعال القلبية كذلك، والعلَّة في ذلك أنَّ الإنسان لا تتألف مكونات ذاته ونفسه من قوَّة تفكير وإدراك فحسب، بل تتشكل من مجموعة قوى إدراكية أخرى ومجموعة ومنظومة قوَّة عملية أخرى، وليس الذي يقود الإنسان بعض قواه الإدراكية فحسب، بل هناك مؤشرات من قوى عملية وإدراكية متنوعة هي الأخرى أيضاً تساهم في قيادة الإنسان وجذبه والميل به إلى مسارات واتجاهات، فمن ثم يخطأ من ينتهج طريق التعليم وحده من دون نهج للتربية.

وكما أنَّ التعلم والثقافة لا تقتصر على الناشئة بل هي ضرورة مستمرة

للإنسان طيلة حياته، كذلك التربية هي حاجة ملحة للإنسان على امتداد عمره وإن اختلفت أساليب التعليم في النشأ عنها في الكهول، وبحسب اختلاف الأعمار، كذلك في أشكال وأنماط التربية لكُلّ مرحلة من عمر الإنسان، إلَّا أن تقارن التربية بالتعليم، والتهذيب بالتعقل، والتزكية بالتفكر أمر لا بُدَّ منه، ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجمعة: ٢].

وإنَّ من مناهج وطرائق التزكية والتهذيب والتربية هي المحبة والتحبيب والمودة والكراهة والقيام باستحباب الشيء وهو صنع محبته للنفس، واستكراهه وهو صنع كراهته في النفس، فكم من إنسان وكم من مورد يدرك فيه الدليل والبيِّنات ولكنَّه لا يتبعه لعدم وجود المحبة أو لوجود الكراهة، وكم من مقام يتيقن الإنسان فيه بالخطأ والبطلان ومع ذلك يفعله ويتمسك به لمودته أو لعدم كراهته، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴾ [الزخرف: ٧٨] و﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴾ [هود: ٢٨]، أي أنَّ الحب والكره مؤثّران في اتباع الإنسان للحقيقة والحقائق ولليقين والدلائل، كما ورد أنَّ الإنسان قد يتعامى أو يتصامم بسبب ذلك.

ومن هنا ندرك خطورة العاطفة والمشاعر والإحساسات على مصير إرادة الإنسان، وأنَّ الجانب الفكري الإدراكي والتعليمي ليس هو الوحيد المؤثر على الإنسان وإرادته وتوجهه واختياره، بل إنَّ المحبة والكراهة وصورة جمال الشيء أو قباحته في مشاعر النفس أمر مؤثر كبير في الانجذاب النفساني أو النفرة من الشيء، ومن ثم أكد القرآن على مقولة التزيين والتجميل للشيء القبيح حيث يغرى الإنسان إليه رغم سوءه، كما في قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَآ إِذْ

جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٤٣].

فذكر تعالى أنَّ سبب عدم انقيادهم للحق هو قساوة قلوبهم وتزيين العمل السيئ في نفوسهم، وقساوة القلب والتزيين أمران مرتبطان بالجانب العاطفي والمشاعر في النفس، وقد أكد على هذين الأمرين في آيات عديدة كسبب للغواية والانحراف واللجاج والجحود والتمرد والطغيان والتكبر والاستعلاء عن الحق إلى الباطل، وهذا يرسم مدى خطورة الجانب العاطفي في الرُّوح والنفس الإنسانية، ويُبيِّن أنَّ أهميته يوازي أهمية الجانب الفكري والإدراكي، وأنَّه الوجه الآخر لحقيقة الإنسان والجناح الآخر الذي به حركة وحراك النفس في مسيرها، وكل هذا يرسم لنا جانب من أهمية وفلسفة الجانب العاطفي وأهميته وزخمه في «الشعائر الحسينية»، حيث يظهر أنَّ من غاياتها تحصيل حالة الرقّة القلبية والعطوفة والرأفة، وهي من أعظم الصفات الإيمانية وحالات العبودية لله تعالى، وأنبل الصفات الإنسانية إحياءً وبعثاً لإنسانية الإنسان[١].

المحبة في العلم الرُّوحي الحديث:

ومن المدارس الموجودة في الغرب مدرسة علم الرُّوح التي من شعبها التنويم المغناطيسي، والتخاطب، والباراسيكولوجيا، والتيلباثي أي التخاطر، وغيرها من فنون علوم الرُّوح، ولدى أتباع هذه المدرسة جامعات أكاديمية وكليات ومنتديات علمية مُعترف بها في كل دول أوروبا وفي أمريكا وروسيا، وفي مختلف بلدان العالم، ويتواصل عملهم أكثر من مائة وثلاثين سنة، وهم

(١) البكاء على الحسين عليه السلام، ص٤٤ إلى ٥٠.

يمدّون العلوم الإنسانية بأبحاثهم الغزيرة، وقد توصلوا إلى كثير ممَّا أنبأ به القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية وسُنَّة المعصومين عليهم السلام من أحوال عالم البرزخ، وكيف تكون الأرواح هناك، ولطافة تلك العوالم ونورها، وهناك الكثير من الكتب التي تبحث في هذه المجالات، منها كتاب (على حافة عالم الأثير) الذي ألّف قبل ثمانين سنة، وقد توصَّل هؤلاء أنَّ «المحبة» في ذلك العالم الأثيري جاذبة وعجيبة، فمثلاً من يحب أهل البيت عليهم السلام ينجذب معهم، ومن يبغض أهل البيت عليهم السلام يبتعد عنهم في ذلك العالم، هذه الحقائق توصَّل إليها الآن علماء الرُّوح، ولديهم قنوات اتصال مع عالم الرُّوح والعالم الأثيري بشكل عجيب وغريب، انظروا إلى هذا الكتاب الذي ألَّفه عالم فيزيائي اسكوتلندي قبل ثمانين سنة، وكان لا يؤمن بالرُّوح ويعتقد أنَّها خرافة، إلى أن أجرى تجارب تجريدية قبل أن يتوصَّل إلى حقائق عجيبة من اتصال أرواح الموتى، وكذلك ما في كتاب (الإنسان روح بلا جسد) الذي يجمع عن مصادر من سبقه معلومات عن الرُّوح وتأثيرها والاتصال بها، وهم يؤكدون أنَّ الحبَّ والمحبة للعمل الصالح تنجي صاحبها في ذلك العالم الأثيري وعالم البرزخ اللطيف، وأنَّ حبَّ الرذيلة يهوي بصاحبه إلى العذاب والآلام في ذلك العالم[١].

المحبة والبغض والتولِّي والتبرِّي:

تميَّزت مدرسة أهل البيت عليهم السلام بهذه القضية، فلا تجد مذهباً من المذاهب التي تنتمي إلى الديانات السماوية أو من غيرها من الملل والنحل يتحسس من موضوع الحب والبغض كما هو مذهب أهل البيت عليهم السلام، فهو مذهب يحثّ على التضامن والمساندة ووحدة الموقف كما هو في

(١) الشعائر الحسينية، ص٣١٨.

المصطلحات الحديثة، أو التولي كما هو في المصطلح الديني، وفي مقابل ذلك الاستنكار والشجب والإدانـة في المصطلحات الحديثة، والتبري بالمصطلح الديني، وسواء استخدمنا المصطلح الحديث أم المصطلح الديني فالموقف المطلوب الذي يطلبه أهل البيت عليهم السلام مَن أتباعهم هو موقف واحد يتمثَّل في التضامن مع المظلوم والبراءة من الظالم، انطلاقاً من مسؤولية الموقف تجاه الظالم والمظلوم.

الرُّوح هي المسؤولة عن الحب والبغض:

الرُّوح هي المسؤولة عن الحب والبغض، وما حدث في التاريخ وما سوف يحدث له أثره الكبير على الرُّوح وتلوين الرُّوح وتشخيص هوية الرُّوح، فالحوادث التاريخية ليست شيئاً أكل الدهر عليه وشرب، وإنَّما هي حوادث حاضرة ومؤثرة على الروح، وقد يُعبّر عن الرُّوح بأنَّها حصيلة معلومات، ولا يمكننا أن نتصوَّر الرُّوح من غير معلومات.

تشدُّدُ أهل البيت عليهم السلام في هذه المسألة يتوافق مع التشدُّد القرآني في المسألة ذاتها، والسبب في ذلك أنَّ ما حدث في التاريخ يؤثر في الرُّوح، فكل الأمور التي مضت حاضرة لدى الرُّوح ومؤثرة عليها، والرُّوح هي حصيلة المعلومات، فلا يمكن تصوُّر الرُّوح بلا معلومات، فكل ما هو حي متعلق بالرُّوح كما قيل: إنَّ الناس موتى وأهل العلم أحياء، والعلم هو حياة الروح، وتمام هوية الروح ووجودها هي المعلومات، والجهل هو موت الروح، ومن الخطأ أن نتحسَّس من إحياء ما مضى من التاريخ؛ لأنَّ الرُّوح هي بطبيعتها حيَّة بما مضى وبما سيأتي، وأنَّ ما مضى ماضٍ بلحاظ البدن، أمَّا بالنسبة للروح فما مضى هو حيّ حاضر لديها، فيجب على الإنسان أن يكون له وعي وموقف

فيما صاحب ماضي الزمان من الأحداث، والذي لا يعي ما مضى من الأحداث فهذا لا بُدَّ أنَّه يعاني من نقص في هويته الإنسانية والرُّوحيَّة، ويكون بمثابة الميت الذي لا يتمتع بحياة الرُّوح، وهو شبيه بأجزاء معطَّلة من ذاكرة الحاسب الآلي، فإذا كانت هذه الذاكرة معطَّلة فلا فائدة منها، وكذلك الرُّوح إذا كانت بدون معلومات فلا فائدة منها.

وكُلَّما ازدادت دائرة علم الرُّوح المدرك للحقيقة اتضحت لها الحقيقة، فلا ترى البياض بصورة السواد ولا السواد بصورة البياض، وحينئذٍ تكون الرُّوح حيَّة وناضجة، إذن تقصِّي التاريخ وتقليب صفحاته سُنَّة قرآنية، والروح تتأقلم مع هذا التقليب لصفحات التاريخ وتتكامل به[١].

---

(١) المصدر السابق، ص١٠٦ ـ ١٠٨.

جهاد النفس والنهضة الحسينية

نهضة سيِّد الشُّهداء عليه السلام في الحقيقة ذات أبعاد كثيرة، ومن أهم تلك الأبعاد هو انطلاق نهضة سيِّد الشُّهداء عليه السلام من منطلق موازي للإصلاح والتغيير السياسي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بتغيير النفس، نحن نعلم أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لسرية أتت من غزوة من الغزوات في سبيل الله تعالى حيث خاطبهم الرسول صلى الله عليه وآله: «قد قضيتم الجهاد الاصغر وبقي عليكم الجهاد الأكبر»، قالوا: يا رسول الله وما الجهاد الأكبر؟ قال: «جهاد النفس»[(١)].

فجهاد النفس في الحقيقة هو الجهاد الأكبر، سقوط الشهيد في ساحة المعركة وما يلاقيه من زلزال نفسي ومصاعب وتحمُّل قد تكون وقتية وتنقضي وتنصرم، وأمَّا جهاد النفس فجهاد مستمر بين القوة النُّورانية في الإنسان والقوى الظُّلمانية، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾ [الشمس: ٧ ـ ٩] هذه هي المجاهدة بين الجانب النُّوراني والجانب الظُّلماني، وخلق الله تعالى للجانب الظُّلماني في الإنسان ليس خلاف الحكمة الإلهيَّة، وإنَّما هو بمقتضى

(١) الكافي، ج٥، ص١٢.

المصلحة والحكمة الإلهيَّة، إن كان العقل أميراً والهوى أسيراً، فالإمام علي عليه السلام يقول: «كم عقل أسير تحت هوىً امير»[١].

الامتحانات التي ربما نستطيع أن تستقرأها مع العناصر الطاهرة من أنصاره الذين صمدوا إلى آخر المطاف وصمَّموا أن يكونوا مع الإمام الحسين عليه السلام، في الحقيقة كُلّها مرَّت بامتحانات نفسية قاسية ومصيرية عظيمة وقد ثبتوا فيها، ووفَّقهم الله للثبات مع سيِّد الشُّهداء عليه السلام.

كبار الشخصيات وأسماءٌ لامعةٌ في التاريخ أخفقت في الانضمام إلى ركب سيِّد الشُّهداء عليه السلام؛ لأنَّ مسير سيِّد الشُّهداء عليه السلام فيه الطهارة والصدق مع الله ومصارعة النفس الأمَّارة بالسوء والمعاناة في مخالفة النفس شرط، وكان أصحاب الإمام الحسين عليه السلام يتمتعون بكل هذه الصفات العظيمة فتأهلوا للالتحاق بركبه المبارك، والحصول على وسام الخلود.

ففي الحقيقة نهضة سيِّد الشُّهداء عليه السلام نوع من الزلزال والبركان النفساني بين المسلمين، قبل أن يكون كذلك على عروش الظالمين؛ لأنَّ الانتكاسة التي عاشتها الأُمَّة من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أن آل الأمر إلى تقمُّص وتسلُّط شارب الخمور واللاعب بالقردة وصاحب المغنيات والمجون والسفيه على مقاليد الأُمَّة، هي انتكاسة من شأنها أن تمحو واقع الإسلام، ولا يبقى منه إلَّا اسمه.

ضرورة المداومة على جهاد النفس:

تمرُّ على الإنسان مراحل يهتم لتربية نفسه وتزكيتها، ثم ينتكس مرَّة أخرى، وهذا يحدث على مستوى الفرد والجماعة والمجتمع، وهذا الذي

---

(١) نهج البلاغة، ج٤، ص٤٨؛ وعنه شرح النهج، ج١٩، ص٣١؛ والبحار، ج٦٦، ص٤١٠.

يؤكّد عليه سيِّد الشُّهداء عليه السلام وهو ضرورة المداومة على جهاد النفس، حتى الكبار في السِّن - فهم في امتحان إلى آخر نفس من حياتهم، ومن الطبيعي أن تختلف الامتحانات والاختبارات، والابتلاء من الله لا يقتصر على نوع أو نوعين بل هي ألوان وأنواع متعددة، وحتى لو وصل الإنسان إلى مرحلة كبر السِّن والشيخوخة فإنَّه لا يزال يتعرَّض إلى امتحانات جديدة، كل مرحلة يمرُّ بها الإنسان يتعرَّض لامتحانات كثيرة، وهي لا تنتهي، فامتحان الوجاهة وامتحان السمعة وامتحان الشهوة، وغيرها...، يظلّ الإنسان يُمتحن إلى النفْسَ الأخير، وعند ساعة الاحتضار وخروج الرُّوح أيضاً، فيأتي إبليس وساوسه للإنسان في تلك اللحظة العصيبة، فربما يموت الإنسان وهو ساخط على ربّه - والعياذ بالله - فشدائد الموت وأهواله وسكراته تُفقِد الإنسان أعصابه وإرادته وتوازنه، فيموت وهو ساخط على ربّه، كبلعم بن باعوراء الذي وصل إلى مرحلة تمكَّن فيها من الحصول على حروف من الاسم الأعظم، الذي يمشي به على الماء أو يطوي بها الأرض، بلغ هذه المرتبة من العرفان والمكاشفة، ولا زال الامتحان باقياً، والامتحان على أكثر من صعيد في النفس.

الولاء للحسين عليه السلام بجهاد النفس:

سيِّد الشُّهداء عليه السلام أراد فرساناً في ميدان النفس، وكأنِّي بالحسين يمتحنُ عاشقيه ومحبيه في كل محرَّم يمرُّ بهم يمتحنهم ويخاطبهم: أأنتم صادقون في مودتي وولائي؟

والصدق في مودة الإمام الحسين عليه السلام وولائه يتمثَّل في جهاد النفس قبل أيِّ ساحة أخرى؛ لأنَّ الإنسان لا يمكن أن يصدق في محاربة معسكرات أخرى قبل الصدق في حربه وجهاده ضدّ نفسه، من ثم أصبحت الولاية أعظم من الصلاة والزكاة والحج، لأنَّ الولاية مرتبطة بالنفس والقلب وهواجس

النفس، ففي كل ساعة تتعرَّض النفس لبثٍّ في الميول والرغبات، حب وبغض، ميول وكراهة، ونحن لا نعي ولا نبصر ما تعيشه أرواحنا ونفوسنا، ومراقبة الأقمار الصناعية الإلهيَّة تبصر توجهَ النفس إلى الهدى أو الضلال، إلى التعالي أو التسافل، هواجس النفس وميولها، رضاها وسخطها، تلذذها وتبرمها، هذه كلها عملية سير في النفس، هذه كلها ولاية إمَّا ولاية الله وأوليائه، وإمَّا ولاية الشيطان وأوليائه.

جهاد النفس مواجهة دائمة:

الصلاة والصوم والزكاة والحج والجهاد كلها مرتبطة بأوقات وفترات معيَّنة، أما جهاد النفس فهو يحتاج إلى دوام واستمرار، وسُمّي القلب قلباً لأنَّه تتقلب فيه الأحوال، وهذا أصعب شيء، وهل الدِّين إلَّا الحب والبغض؟ ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾[الحجرات: ٧].

لا بُدَّ من إشباع الغرائز بالحلال:

إعطاء الغرائز احتياجاتها عن طريق الحلال أمر مطلوب، والكثير من أزمات ومشاكل الشباب سببها نقص في وعي الثقافة الدِّينيَّة والأحكام الدِّينيَّة، وإلَّا طرق الحلال مفتوحة، وقد ورد في الدُّعاء: (اللَّهمَّ اغنني بحلالك عن حرامك، وبفضلك عمَّن سواك)[1] طبعاً هناك أعراف فاسدة في المجتمعات تستقبح الحلال، ولا تذمّ الحرام ولا تنكره، ولكن على الشخص المؤمن أن لا يسوِّل له الشيطان الامتناع عن الحلال في أيِّ غريزة من الغرائز ويوجهه إلى الحرام، وهذا من الأمور المهمة التي توجّهنا لمناصرة سيِّد الشُّهداء عليه السلام.

---

(١) مصباح المتهجد، ص١٨٣.

التسلُّح بالعلم والثقافة الدِّينيَّة:

من الأمور المسعفة لموفقية ونجاح الإنسان في مسير سيِّد الشُّهداء عليه السلام أن يتسلَّح الإنسان بالثقافة الدِّينيَّة بجانب الرياضية النفسية الدؤوبة، والثقافة والأحكام الدِّينيَّة هي حدود الله، وكُلَّما جنيتم من علوم الدِّين فهو قليل، العلم نجاة للإنسان عن السقوط في المهلكات، والجهل داء وعيٌّ، أمَّا العلم إذا تسلَّح به الإنسان فالعلم سلاح عظيم.

من الأمور المهمة في كبح جماح النفس، سيَّما العلوم الدِّينيَّة المرتبطة بالعلوم الإنسانية وهي علوم ذات شعب وفروع كثيرة جداً، كثير من العقبات والورطات والمنعطفات الكثيرة التي ربما يواجهها الإنسان يستطيع أن يتغلب عليها بالعلم، حتى درجات الانبياء ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[البقرة: ٢٥٣] جعل الله تعالى الأنبياء طبقات بعضهم فوق بعض بسبب هذا العلم المنجي، طبعاً العلم مع العمل، كثير من الفخاخ التي تنصبها لنا النفس أو إبليس ربما ليس لضعف الإرادة ولكن بسبب عدم الوعي وعدم العلم.

كُلَّما تعمَّقنا في علوم القرآن وأهل البيت عليهم السلام كُلَّما استطعنا أن ننتصر في هذه الساحة العظيمة وهي ساحة جهاد النفس، وبعض مدارج مجاهدة النفس دقيقة للغاية، وعن الإمام الصادق عليه السلام: «يقول الإمام: لو دخل في نفس عيسى شيءٌ ممَّا قالته النصارى لمحا الله اسمه من ديوان النُّبوَّة»[1]، ومعنى ذلك أي لو أرتاح بنسبة قليلة لما قالوا، أو حصل عنده تلذذ أو انشراح في الصدر أو انبساط في القلب، هذا على مستوى الخواطر والهواجس

(١) الإيقاظ من الهجعة، ص١٦٨.

النفسية، لو فعل ذلك لمحى الله اسمه من ديوان النُّبوَّة، ونحن نؤكد الاهتمام بالعلم طبعاً مع العلم[١].

وقفة حول التساهل والتسامح:

التساهل مع الخطأ في الواقع هو تشدُّد في الرعونة، أنظر إلى ما يدعو إليه الغرب ـ من باب المواقف ـ لاحظ الثقافة الحديثة الغربية الموجودة الآن التي تريد أن تذيب الشخصية الإسلامية تقول: لا تتشدد، يعني حتى في موقفك لا تتشدد، لا تستنكر. إذن لا أستنكر بل أتلوّث مع الفحشاء ومع الأفعال الساقطة، ومع هذه العادات الجديدة الهدَّامة للمجتمع، تساهل كلمة حق يُراد بها باطل، هل يمكن أن تتساهل مع الميكروبات مع القذارات؟ هل يتساهل الإنسان بجبن ويتوقف؟ هذا ليس موضع تساهل.

إذن هذا الموقف والنية والفكر الكثير يحاول أن يستصغره دجلاً وتحايلاً، لكن هو عند الله عظيم جداً، لأنَّ هذا هو الذي يبني هويتك وشخصيتك[٢].

(١) الشعائر الحسينية، ج٢، ص٣٠٦ ـ ٣١٨.
(٢) النيات والخواطر، ص٥١ ـ ٥٢.

زيارات المراقد المقدّسة[1]

الزيارات في الحقيقة من أركان العقيدة، واقولها للحق: ما في الزيارات لأئمَّة أهل البيت عليهم السلام لم يستطع حتى علماء الإمامية علماء الشيعة (حفظهم الله وشكر سعيهم رحم الله الماضين وحفظ الباقين) أن يستقصوا الكنوز الموجودة في الزيارات، فالزيارات مملوءة بكنوز، والعملة صعبة في الآخرة هي المعرفة، لأنَّه من يريد أن يكون على رصيد مخزون في القبر وفي البرزخ وفي الآخرة لا يكون صفر اليدين من المعرفة الحقة، قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١].

لذلك أهل البيت عليهم السلام من أعظم الهدايا يعطوها للزوّار عندما يزورونهم هو مضمون الزيارة، وهي ذخيرة أدبية معرفية باقية بشرط «من زاره عارفاً» ليس جاهلاً، وعارفاً ليس لاهياً، وعارفاً ليس غافلاً، ليس في سبات، يعني بمعنى لمَّا تقرأ الزيارة تعرف ما هي المعاني من الزيارة كدروس عظيمة.

أستطيع أن أقول كما قال كثير من المحققين العلماء: إنَّ خلاصة معارف أهل البيت موجودة في الزيارات، وأهل البيت عليهم السلام اختصروا لنا الطريق وضغطوا هذه المعلومات في الزيارة..

---

(١) أبحاث حول نبوة سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله، ص٢٨٤.

إذن يجب أن نحتفي بالزيارة، ومن ضمن تلك الزيارات التي نحتفي بها معرفتنا بأعظم مخلوق وهو رسول الله ﷺ، لأنَّ أي خلل في معرفة النبي ﷺ سوف يؤدِّي إلى الخلل في معرفة علي عليه السلام والحسن والحسين وبقية الأئمَّة عليهم السلام، وكُلَّما ازدادت معرفتنا بالنبي ﷺ ازدادت معرفتنا بالأئمَّة عليهم السلام، أي خلل في معرفة الأئمَّة فإنَّه يرجع إلى الخلل في معرفة نبوَّة النبي، وأيِّ خلل في معرفة النبي يرجع إلى خلل في معرفة الله عزَّ وجلَّ..

أوجِّه كلامي للأخوة طلبة العلوم الدِّينيَّة أو حتى الأخوة الباحثين أنَّ في زيارات أمير المؤمنين عليه السلام فقرات عديدة باهرة، في زيارة النبي ﷺ بيان مقامات النبي ﷺ لا نجدها في الزيارات التي نقرأها الثلاث أو الأربع أو الخمس الموجودة في كتب آثار الزيارة التي تنشر وتُوزّع لمختلف المؤلفين في زيارة النبي، بينما كتاب «نبراس الفائزين» على أكثر من خمس وعشرين زيارة أو أكثر لأمير المؤمنين عليه السلام.. تلك الزيارات بعضها لو تقتطع وتُجمع تحت عنوان معجز زيارات النبي ولا سيَّما الزائر للمدينة المنورة، وربما الكثير من الدروس والكثير من الكنوز كما مرّ بنا أنَّ الزيارات التي نقرأها عند أهل البيت عبارة عن خلاصة الدِّين، خلاصة الإيمان وعمق الإيمان، وهذا ممَّا يدلل على أنَّ عقيدة أهل البيت عليهم السلام مبنية على العلم وليست مبنية على الجهل، ومبنية على المعرفة لا مبنية على العمالة، ولكن شريطة أن يكون المتعلم متأهل لأن يستلهم هذه الكنوز وهذه المعارف..

لذلك نحن نلاحظ في زيارة أهل البيت ونقرأ، وليس نبتعد عن القراءة والقراءة يعني تعلم.. هذه الكلمات الموجودة في الزيارة لا يمكن أن يشرحها قاموس بشري أو موسوعة علمية بشرية إلَّا ما هو موجود في القرآن الكريم، فهذا التراث الوحياني الغالي جداً أكبر هدية نتلقفها من زيارة أي معصوم..

نسأل كاهن أو نسأل متنبئ أو نسأل مستطلع أو نسأل مراكز استراتيجيات أو نسأل مراكز دراسات أو مراكز معلومات أو مكتبات، هذه كلها لا تحفل بهذه الكنوز، هذا هو الكنز الإلهي، هذا هو الوحي الإلهي، والزيارات مملوءة ومشحونة بمعارف، **أنا شخصياً عندما وفقنا الله لجوار أمير المؤمنين عليه السلام يومياً كنت أزور أمير المؤمنين عليه السلام يومياً أعكف على الزيارة** في أثناء الزيارة ولما أقرأها أتدبَّر أتلقَّى الدرس في الحضرة لكي أفهم كلمة كلمة، والإنسان يحاول فيرشف مفاهيم عظيمة جداً في هذا المجال.

زيارة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله

في زيارة من زيارات النبي موجودة في زيارات أمير المؤمنين وزيارات الحسين، والحسين أيضاً في زياراته جملة من زيارات الحسين مندوبة ممتلئة بزيارات النبي وسرد وبيان مقامات سيِّد الشُّهداء عليه السلام هناك هذا التعبير موجود في زيارة الأمير وزيارة الحسين: «السلام على أمين الله على رسله».. أمين الله ليس فقط على وحيه، أمين الله على ماذا؟ على رسله، يعني افترض بأنَّ المرسلين عندهم منتدى، عندهم نقابة، ما شئت فسمّيها، عميد هذه النقابة من هو؟ سيِّد الرُّسل صلى الله عليه وآله وهذه النقابة ليست نقابة صورية، المقصود هذه النقابة التي هي أعمدة من نور، يعني كل وحي أوحي إلى الأنبياء مرّ هذا الوحي عبر رسول الله صلى الله عليه وآله..

بعض العلماء في أهل المعنى أو ما شابه ذلك ألف كتاباً وكتباً بأنَّ الأنبياء ـ طبعاً هذا اقتبسوه من مدرسة أهل البيت ـ أنَّ الأنبياء من النبي آدم من النبي نوح إدريس قبل نوح بعد ذلك إبراهيم موسى عيسى هلمّ جرّا هؤلاء الأنبياء بالدقة أنبياء لله، لكن ليس أنبياء لله مباشرين.. هؤلاء في الحقيقة أنبياء سيِّد الأنبياء عن الله..

طبعاً هذا المطلب الذي يذكروه، ذكره كثير من أهل العرفان من أهل المعنى، في كتب الفصوص في كتب أخرى، هذا في الحقيقة خلاصة فكرة هذه الزيارة: «السلام على أمين الله على رسله» أي ارتباط وحياني من الله مع نبي من الأنبياء، هذا الارتباط إذا كان في مأمورية، الرسالة والرسول تعني مأمورية ومهمة خطيرة، شغل الأنبياء بعض الأنبياء.. الأنبياء منهم ١٢٤ ألف نبي، بعضهم تأهل إلى مأمورية رسالة معيَّنة لذلك المرسلين أقل من الأنبياء، فأنبياء غير مرسلين، وأنبياء مرسلين، والمرسل من قبل الله يعني هو معهود إليه مكلَّف بمأمورية معيَّنة أو مأموريات، لذلك نحن نقرأ في زيارة الرسول ﷺ: «**أشهد أنَّه قد بلَّغ رسالات الله**».

فالرسول ﷺ ليس فقط أُرسل برسالة واحدة، بل رسالات عديدة خطيرة، وهي مهمة وعصيبة، أي استنفار وحياني خاص لرسول الله ﷺ.. طبعاً لما نقوّل «رسول الله ﷺ» ليس بدن رسول الله ﷺ لأنَّه وُلد عام الفيل أو أربعين قبل عام الفيل المهم قبل الإسلام بسنين فأين الرسول مع إبراهيم أو موسى وعيسى؟ من أين كان رسول؟

الجواب: القرآن الكريم يشرح أنَّ شخصية الرسول ليست هي مبنى ذات طبقة واحدة.. مبنى ذو طبقات، كالبنايات ناطحات السحاب، بل بناء الإنسان ليس بناء ناطحات السحاب، بل ينطح عوالم، يعني نحن الآن موجودين في الدُّنيا، وموجودون نحن الآن بأرواحنا في البرزخ، وعندنا شبكة اتصال وطبقة روحية من دواخلنا موجودة في البرزخ.

أيضاً نعيش في الآخرة وبعض أجزاء ذواتنا الآن تعيش في الآخرة وهو بحث موجود، نشاهد بعض الأمور، بعض العوالم أو بعض الأشياء، والله عزَّ وجلَّ بنى الإنسان ذو طبقات، كل واحد يسائل بدنه متى ولد؟ الذي ولد

من عمر كذا عشرين سنة، ثلاثين سنة، سبعين سنة، الذي ولد عمره سبعين سنة بدنه وروحه شيءٌ آخر، من قال: إنَّ عمرك سبعين سنة؟ الرُّوح شيءٌ آخر.. وبحث آخر خلق الله العقل قبل أن يخلق غيره كما عندنا في الروايات حتى عند أهل السُّنَّة خلق الله الأرواح قبل أن يخلق الأبدان بألف عام.. والذي يكون في رحم الأُمّ هو البدن أمَّا الرُّوح شيء آخر، والمقصود أياً ما كان عندما يقول النبي ﷺ وسيط ليس ببدنه الشريف بل بنوره، لأنَّه الله عزَّ وجلَّ يصف أنَّ طبقة من وجود النبي هي نور، لذلك وردت روايات: «**عن ميسرة الفخر قال: قلت رسول الله ﷺ**: متى كان نبياً؟ **قال: وآدم بين الرُّوح والجسد**»[1].

فأحد مقامات سيِّد الأنبياء ﷺ «السلام على أمين الله على وحيه» كل وحي أوحي من الله إلى أحد من الأنبياء، حتى الوحي الذي يوحيه الله لجبرائيل فيوصله جبرائيل إلى البدن، سيِّد الأنبياء لا.. نفس سيِّد الأنبياء ولا.. روحه ولا.. نوره.. وحالات البدن غير حالات العقل.. العقل لا يجوع ولا يخاف حتى أنَّ الإنسان في الحقيقة ذو طبقات، ومن الخطأ إذا أردنا أن نفهم ونعرف سيِّد الأنبياء ونعرف ونتعرَّف على سيِّد الأنبياء أو نتعرَّف على سيِّد الأوصياء أو على بقية الأئمَّة أن فقط نركِّز على أبدانهم لا.. وإن كانت أبدانهم عظيمة شريفة مطهرة، ولكن أنوارهم أرواحهم لها شؤون أخرى..

فلذا كم كلفنا توضيح وشرح وتبيان كثير فقط بند واحد وجملة واحدة في بنود الزيارة «السلام على أمين الله على وحيه» فالأمين المطلق بين الله وبين سائر خلقه هو النبي ﷺ بدون انقطاع.. وهذا بند من شؤون سيِّد الأنبياء ونحن مدعوون أن نجمع هذه المقتطفات من زيارة النبي الموجودة في زيارات أمير المؤمنين عليه السلام سبعة وعشرين زيارة والموجودة في زيارات الحسين

---

(١) المستدرك، للحاكم النيسابوري، ج٢، ص٦٠٨.

نخرج حينئذٍ بمجموعة ثرية وثراء كبير في معرفة سيِّد الأنبياء وهذه المعرفة لسيِّد الأنبياء تمتاز بها فقط وفقط مدرسة أهل البيت عليهم السلام، لو تشرّق أو تغرّب في الأرض لا تجدها في المدارس والمذاهب الإسلامية الأخرى، فلا تستطيع أن تطير وتحلّق في سماء وعظمة نعوت معرفة النبي كما ذكرتها زيارات أهل البيت عليهم السلام وحتى الصوفية والعرفاء مهما ذكروا من نعوت النبي صلى الله عليه وآله لا يبلغون ما في كلمات أهل البيت في زيارات أهل البيت عليهم السلام للنبي صلى الله عليه وآله، بل لا تجدوها حتى في كتاب بشري آخر، حتى المسيحيون حيث أرادوا أن يعظموا من مقام النبي عيسى لا يستطيعون أن يصفوه بما وصفه القرآن الكريم أو بما وصفه أهل البيت عليهم السلام في هذه الزيارات[1]..

أهمية الزيارات في العقيدة والفقه

إنَّ متن الزيارات هي عبارة عن دورة عقائدية كاملة وعميقة، فإنَّ الكثير من جواهر الأسرار في العقائد والمعرفة بثّها آل البيت عليهم السلام في الزيارات ولم ينشروها في الروايات؛ وكل بند من بنودها هو عبارة عن فصل عقائدي، والسِّر في ذلك انَّ الزيارة مصدر تربوي علمي معرفي مؤثّر لعامة المؤمنين، إذ هي حضور المؤمن لدى المعصوم عليه السلام، فهي جو وفضاء خاص ينتفي فيه الغرباء عن الإيمان كما أشار إلى ذلك المجلسي الأول في شرحه على الفقيه.

وقد يكون هذا الفصل الحامل للجواهر في مستهل الزيارات أو في وسطها أو في نهايتها؛ لأنَّها ليست مجرد زيارة فحسب، بل منظومة عقائدية، وتُعتبر مصدر ثراء معرفي للمتكلمين، ومن الحيف أنَّ المتكلمين أو المفسرين تركوا باب الزيارة، كذلك باب الأدعية، وأنَّ الأئمَّة عليهم السلام قد ابتكروا أسلوباً

(١) أبحاث حول نبوَّة سيِّد الأنبياء، ص٣٨٤ ـ ٣٩٠.

جديداً من أساليب نشر المعارف، وهو منظومة الأدعية والزيارات، وهذا ما نشاهده في «الصحيفة السجادية»[(١)].

إنَّ بعض الخطباء الأجلّاء إذا كانت لديهم مجموعة أيام من المجالس والمحاضرات فإنَّ الحري أن يعقدوا فيها مباحث أو سلسلة كدورة مصغرة عقائدية كما في المناسبات كمحرم الحرام، أو شهر رمضان، أو حتى لمجلس واحد، ويغفلون عن وجود هذه المنظومة العقائدية الموجزة في الزيارات والأدعية، والحال أنَّها مصدر مهم، فإنَّ نفس تناول زيارة واحدة كاملة بالبحث والتحليل، بل بند واحد من الزيارات في كل مجلس فهذا بحدِّ ذاته يعتبر مصدر عطاء كبير؛ لأنَّه يتناول فيه البُعد اللغوي والعلمي، والبُعد الدرائي لفقه معاني الرواية لنفس البند، ومن ثم تكون دورة عقائدية تتحف بها المؤمنين وتحيي جملة من الثوابت والمحاور الاعتقادية.

كتب الزيارات:

إنَّ كتب المزار كالمزار للمشهدي، والمزار للشهيد الأوَّل، وكامل الزيارات وغير ذلك لا يمكن لنا أن نتعامل معها كما نتعامل مع كتابي مفاتيح الجنان أو ضياء الصالحين، وإن كانا هذين الكتابين عظيمين، بل القصد عدم الاقتصار في التعامل معها كطقوس عبادية بدنية، كلا لأنَّه ليست غايتها القصوى عبادة بدنية، بل هي منبع معرفي وعقائدي.

ولذلك لو نُدقِّق في الدواعي المبيتة وراء الهجوم على كتابي «مفاتيح الجنان وضياء الصالحين» نرى أنَّ سبب القضية ليس هو قصة كتاب طقوس عبادية بدنية، ولكن لأنَّهما مصدر معرفي ومعارف، ولأنَّه تربية ثقافية عقائدية،

---

(١) الشعائر الحسينية، ج٣، ص٥٧١.

وهذا التحسس الشديد من هذه الزيارات والأدعية، وكذلك الشُّبهات والطعون الموجّهة علينا، والمركّزة على هذين الكتابين ليسَ لأنَّهما كتب أدعية وزيارات حتى تدغدغ العواطف، بل لأنَّ الدُّعاء والزيارات يحصل في طيّاتهما العقائد الحقَّة لمذهب أهل البيت عليهم السلام.

فمثلاً لو قرأنا دعاء «النَّدبة»، وأجلنا النظر فيه بدقَّة، لوجدناه بحدِّ ذاته دورة عقائدية من التوحيد إلى المعاد، والذي يتشدق ببعض الوسوسات في دعاء «النُدبة» لا يعي هذا الدُّعاء المنطوي على إعجاز بلاغي وإعجاز علمي بالغين.

إنَّ بحث الزيارات لا يمكن لنا أن ننظر إليه كبحث أجنبي عن أبواب علم الفقه أو علم الكلام، بل هو أساس مصدري ومنبعي لهما، مثلاً الأسئلة والإثارات المعاصرة في كُلِّ الجوانب يمكن أن نستقي أجوبتها من دعاء من الأدعية أو في زيارة من الزيارات، لكن يحتاج إلى قدرة الاستنباط أو قدرة تدبُّر وتمعن، إذ تجد دعاء واحد فيه دورة ومنظومة مترامية الأطراف والأبواب كدعاء «أبي حمزة الثمالي» أو دعاء «الجوشن الكبير» وغير ذلك، فهذِهِ المصادر كبيرة وكثيرة، وفيها بصراحة واضحة بحوث فقهية كثيرة، ولكنَّها الآن متروكة وغير منقّحة في فتاوى الفقهاء، بينما هذه الأدعية والزيارة مواد وحافظة لها عن الاندراس، فإنَّ حفظ الدِّين والشريعة له مراتب، ودور الفقهاء مرتبة من هذِهِ المراتب وهو دورهم في الاستنباط، ولكن هناك مرتبة متقدمة على دورهم وهم الأئمَّة عليهم السلام، فإنَّ الأئمَّة عليهم السلام دورهم هو أن يوصلوا للبشرية مواد الوحي وموائد الوحي، ودور الفقهاء هو أن يوصلوا للبشرية دور الأئمَّة عليهم السلام والذي هو بطبيعة الحال نشر مواد الوحي الإلهي.

سِرّ استحباب قراءة القرآن:

ولذلك نرى كثرة تأكيد الحثّ على تلاوة القرآن الكريم وخصوصاً في شهر رمضان، ولكل طبقات المجتمع حتى لمن لا يملك أدنى درجات الفهم، مع أنَّ أعماق القرآن يحتاج إلى فقهاء وإلى مفسرين، بل طبقاته العليا لا يصل إليها إلَّا الراسخون في العلم وهم المعصومون عليهم السلام، ومع كل هذا يستحب تلاوة القرآن يومياً، وذلك لأنَّ مواد الوحي يجب على الجميع الحفاظ عليها حيَّة عن الاندراس والانطماس وإن لم يصل السامع أو القارئ إلى درجة الفقاهة.

وهذا الأمر كما هو شأن للقرآن كذلك هو الشأن لروايات أهل البيت عليهم السلام أيضاً لأنَّه بالتالي نشر لمواد الوحي عبر قالب الروايات، وهذا أمر مهم يجب أن نلتفت إليه لأنَّه يخصّ فقه الشعائر، فقه الزيارات، فقه المزارات[1].

---

(١) المصدر السابق، ج٣، ص٥٨٠ ـ ٥٨٣.

دور زيارة الإمام الحسين عليه السلام في التكامل[(١)]

ورد في الروايات المستفيضة غايات وفوائد بالغة التاثير في مصير الإنسان ومساره، وأنَّ الزيارة طريق أقصد لبلوغ أقصى درجات الكمالات، ومسافة أقرب للعروج إلى معالي الدرجات، وطيٍّ أسرع للعبور من عقبات كؤودة، فالزيارة باب معراج للأولياء والصالحين.. ولنستعرض نبذة من تفاصيل مفاد الروايات الواردة، فقد روى في كامل الزيارات روايات مستفيضة:

١. إنَّ من أتى قبره عليه السلام كتبه الله في عليِّين.

٢. بل في جملة من تلك الروايات المستفيضة، في أعلى عليِّين، وقد عقد لها باباً[(٢)].

٣. وفي جملة منها: كمن زار الله فوق عرشه.

٤. ومصححة بشير الدهَّان عن أبي عبد الله عليه السلام: فإذا أتاه ناجاه الله[(٣)].

---

(١) الشعائر الحسينية ج٣ ص٤٠٠.

(٢) كامل الزيارات، باب ٥٩.

(٣) كامل الزيارات، باب ٦٢/ ٢.

٥. وروى روايات مستفيضة أيضاً أنَّ زائره عليه السلام يُناديه سيِّد الأنبياء وأمير المؤمنين بالبشارة(١).

٦. بل في بعض الروايات: زاره فوق كرسيه(٢).

٧. وفي كامل الزيارات في الصحيح إلى الحسن بن موسى الخشاب، عن بعض رجاله عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: إنَّ زائر الحسين جعل ذنوبه جسراً على باب داره ثم عبرها، كما يُخلف أحدكم الجسر ورائه إذا عبره(٣).

٨. وهذا المفاد قد ورد في أثر الصلاة، أنَّها كالنهر يغتسل الإنسان به من ذنوبه، وهو معنى ما ورد في رواية أخرى في معتبرة بشير الدهان أنَّ الرجل ليخرج إلى قبر الحسين عليه السلام، فله إذا خرج من أهله بأول خطوة مغفرة من ذنوبه(٤).

٩. تقديس روح الزائر للحسين عليه السلام، والمراد من التقديس التطهير وزيادة النُّور، والذي يقوم بهذا التقديس هم الملائكة، يقومون به في روح الزائر، فقد ورد في تتمة معتبرة بشير الدهان عن أبي عبد الله عليه السلام، بعد قوله: مغفرة من ذنوبه، ثم لم يزل يُقدّس بكل خطوة حتى يأتيه، فإذا أتاه ناجاه الله...(٥).

والظاهر أنَّ هذا التقديس، الذي هو التطهير من الذُّنوب، والنُّورانية تهيئة لتصاعد روح الزائر ليبلغ مقام النجوى مع الله سبحانه، وهذا هو مقام أعلى علِّيين.

وكتابة روحه في علِّيين عبارة عن بناء كمال ملكوتي في روحه من سنخ

---

(١) كامل الزيارات، باب ٦٢/ ٣، باب ٥٢/ ٣.

(٢) كامل الزيارات، باب ٥٩/ ٣.

(٣) كامل الزيارات، باب ٦٢/ح١.

(٤) كامل الزيارات، باب ٦٢، ح٢.

(٥) التي مرَّت سابقاً في رقم (٤).

مقام العليِّين، فيحصل له ذلك العروج، وهذا نظير ما ورد، من أنَّ «الصلاة معراج المؤمن» فإنَّه يطابق ما في هذه الروايات المستفيضة الدالة على خواص زيارة الحسين عليه السلام، وأنَّه يُكتب بأعلى عليِّين، أي عروج روحه إلى ذلك المقام.

بل في هذه الروايات زيادة على ما في الصلاة، حيث أنَّ العروج لا يستلزم التمكين والاستقرار في ذلك المقام العالي، بخلاف كتابة روحه في أعلى عليِّين، التي تدلُّ على التمكين والبناء الثابت في ذلك المقام؛ في كمالات طبقات روحه...

ونظيره، ما رواه في كامل الزيارات[1] في المصحّح عن الحارث بن المغيرة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنَّ لله ملائكة موكّلين بقبر الحسين عليه السلام فإذا همَّ الرجل بزيارته أعطاهم الله ذنوبه، فإذا خطا محوها، ثم إذا خطا ضاعفوا حسناته، فما تزال حسناته تضاعف حتى توجب له الجنَّة»... ثم اكتنفوه وقدَّسوه، ويُنادون ملائكة السَّماء أن قدّسوا زوَّار حبيب حبيب الله، فإذا اغتسلوا ناداهم مُحمَّد صلى الله عليه وآله: «يا وفد الله أبشروا»[2].

ففي هذه المصححة، تصريح بأنَّ التقديس هو تطهير من الذُّنوب، والطهارة الحاصلة من إبعاد الذُّنوب عن الزائر.

وفي المصححة إشارة ظريفة، أنَّ الزائر ما أن يهمّ في قلبه وعزمه على الزيارة، حتى تقوم الملائكة الموكّلة بقبره عليه السلام بإبعاد ذنوبه عنه، وإن كان مكان الزائر في أقصى الأرض، ثم إذا بدأ للحركة والخطوات، ففي أوَّل خطوة تقوم الملائكة بمحو الذُّنوب، ولم تقتصر على إبعادها، ثم إذا خطا بقية الخطوات يتبدَّل تقديسهم إليه وتطهيرهم له من محو الذُّنوب إلى إفاضة

---

(١) كامل الزيارات، باب ٤٩، ح٣.

(٢) الصدوق في ثواب الأعمال، ص١١١.

الحسنات، وهذا يشير إلى أنَّ التقديس والتطهير لا ينحصر سنخه ونمطه في الطهارة من رجس ولوث الذُّنوب وظلمتها، بل في المراتب العليا من التطهير والتقديس تعلو على التنزيه إلى إفاضة نور جمال الحسنات.

ويزداد هذا التقديس والتطهير في التكامل الجوهري لروح الزائر حتى توجب له الجنَّة..

وفي الإشارة إلى هذا التدرج في طبقات الكمال في الرواية، فائدة معرفية ظريفة، وهي أنَّ الإثابة بكتابة الحسنات، التي هي عبارة عن كتابة تكوينية لكمالات العامل بالحسنى، لا تستلزم في تقرّرها الوجودي التعلُّق بالجنَّة الأبدية، بل قد تكون جزاءً في الدُّنيا أو في البرزخ أو في الرجعة، أو في عرصات وعقبات القيامة، من دون أن يكون هناك ارتباط وجودي روحي بين ذات العامل بالحسنى ونشأة الجنَّة الأبدية، وعند تضاعف الحسنات يتصاعد كمال ذات وروح العامل بالحُسنى حتى يرتقي مقام وجوده بالنشأة الجسمانية للجنَّة الأبدية.

والظريفة الأخرى في هذه المصححة، أنَّه لا يقف جزاء وثواب الزيارة للزائر على هذا الحدّ، بل يبدأ عمل تقديس فوق ذلك وتطهّر وتنوير بدرجات تفوق هذا المستوى، يقوم به الملائكة الموكَّلين بقبر الحسين عليه السلام وبمشاركة أيضاً من ملائكة السماء، الذين هم من طبقات عليا وذوي قدرات فائقة بلحاظ الطبقات العليا لروح الزائر، حتى يوصل رقي الزائر إلى درجة كمال النجوى والخطاب من النبي صلى الله عليه وآله، ويزداد مقامهم في الجنَّة إلى درجة رفقة النبي صلى الله عليه وآله، وكذلك نجوى وخطاب أمير المؤمنين عليه السلام.

١٠. ومن هذا القبيل ممَّا يشير إلى هذه الدرجة من التكامل للزائر بزيارته لسيِّد الشُّهداء عليه السلام، ما رواه ابن قولويه في كامل الزيارات، محسنّة صفوان

الجمال، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من زار قبر الحسين عليه السلام وهو يريد الله عزَّ وجلَّ، شيَّعه جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، حتى يُرد إلى منزله»[١].

ولا يخفى أنَّ هذا ارتباط روحي مع جبرائيل وميكائيل وإسرافيل.

١١. بل في جملة من الروايات المستفيضة أنَّ من زار الحسين عليه السلام كمن زار الله فوق عرشه أو فوق كرسيه.

ففي مصحح زيد الشحام قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما لمن زار قبر الحسين عليه السلام؟ قال: «كان كمن زار الله في عرشه، قال: قلت: ما لمن زار أحداً منكم؟ قال: كمن زار رسول الله صلى الله عليه وآله»[٢].

وفي معتبرة الحسين بن محمد القمي، قال: قال لي الإمام الرضا عليه السلام: «من زار قبر أبي ببغداد كان كمن زار رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام، إلَّا أنَّ لرسول الله وأمير المؤمنين فضلهما. قال: ثم قال لي: من زار أبي عبد الله عليه السلام بشطِّ الفرات كان كمن زار الله فوق كرسيه»[٣].

ومثلها: معتبرة بشير الدهان، وروايات أخرى.

ونظير ذلك ما رواه ابن قولويه في الصحيح إلى جويرية بن العلاء عن بعض أصحابنا قال: «من سرَّه أن ينظر إلى الله يوم القيامة، وتهون عليه سكرة الموت وهول المطّلع، فليكثر زيارة الحسين عليه السلام، فإنَّ زيارة الحسين عليه السلام زيارة رسول الله صلى الله عليه وآله».

والمُراد من النظر إلى الله سبحانه، هو النظر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فإنَّه

(١) كامل الزيارات، باب ٥٧/ ٤.
(٢) كامل الزيارات، باب ٩٥/ ١، باب ٦٠/ ٤.
(٣) كامل الزيارات، باب ٥٩/ ٧. (٥٩/ ١١).

أعظم خليفة لله، إذ يتعالى عن الرؤية الجسمانية، أو المُراد الرؤية القلبية إلى الله سبحانه.

محسنة صفوان الجمال قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام لما أتى الحيرة: هل لك في قبر الحسين عليه السلام. قلت: وتزوره جُعلت فداك. قال: وكيف لا أزوره، والله يزوره في كُلِّ ليلة جمعة، يهبط مع الملائكة إليه والأنبياء والأوصياء، ومحمد صلى الله عليه وآله أفضل الأنبياء ونحن أفضل الأوصياء، فقال صفوان: جعلت فداك، فنزوره كل جمعة حتى نُدرك زيارة الرَّب؟ قال: «نعم، يا صفوان إلزم ذلك يكتب لك زيارة قبر الحسين عليه السلام، وذلك تفضيل، وذلك تفضيل»[1].

ولا يخفى أنَّ زيارة الحسين عليه السلام وإدمانها كما يؤثّر في تكامل الرُّوح، فإن تركها يؤثّر عكساً في النقص والهبوط، كما أشار إلى ذلك مضمون روايات كثيرة دلَّت على أنَّه موجب لنقص في الأعمار والأرزاق[2].

والتعبير في الرواية، أنَّ الرَّب تعالى يهبط ليلة الجمعة مع الملائكة والأنبياء والأوصياء، هو نظير قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، ونظير ما ورد في روايات الفريقين من هبوطه تعالى ليلة الجمعة، فإنَّه ليس المراد تجسيمه تعالى والعياذ بالله، كما قد يتوهم من ألفاظ الأحاديث الواردة من طرق العامَّة، بل المراد هو هبوط تجلِّياته تعالى، نظير ما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣].

ونزول فيوضاته ورحمته الخاصة، ومن ثم تناغم مفاد هذا الحديث الشريف مع الأحاديث المتقدمة من أنَّ من زاره كمن زار الله فوق عرشه، أو فوق كرسيه، وأنَّ الزائر له يحظى بالنظر إليه يوم القيامة.

---

(١) كالم الزيارات، باب ٣٨/ ح٤. باب ٥٠/ ح٢، باب ٥٢/ ح٢. باب ٥٥/ ح٢.

(٢) كامل الزيارات، باب ٦١.

ما ورد في عدَّة روايات أنَّ زوَّار الحسين بن علي عليهما السلام يوم القيامة على موائد من نور، وإنَّ زوَّار الحسين عليه السلام يكونون تحت لوائه ويدخلون الجنَّة، وأنَّهم يختصّون بالنظر إلى وجه الحسين عليه السلام قبل دخول الجنَّة[١].

وفي رواية: تحت لواء رسول الله صلى الله عليه وآله، الذي بيد علي عليه السلام[٢].

ومن الظاهر أنَّ موائد النُّور هي غير موائد الطعام والغذاء والجسمانية، بل هي إشارة إلى المعرفة...

كما يشير التعبير بالنظر إلى وجه الحسين، وكذا التعبير بـ(تحت لوائه)[٣]: فإنَّ اللواء عمود فيض الكمالات من يأتم بصاحب اللواء كما عبّر عن الإمامة وأمرها الملكوتي بلواء الرَّب.

وقد أُشير بذلك في عدَّة من الروايات أنَّ زوَّار الحسين عليه السلام يزدادون نوراً يوم القيامة[٤].

وفي معتبرة الكاهلي عن أبي عبد الله عليه السلام: «من أراد أن يكون في كرامة الله يوم القيامة؛ وفي شفاعة مُحمَّد صلى الله عليه وآله، فليكن للحسين زائراً ينال من الله الفضل والكرامة، وحسن الثواب، ولا يُسأل عن ذنب عمله في حياة الدُّنيا، ولو كانت ذنوبه عدد رمل عالج وجبال تهامة وزبد البحر، إنَّ الحسين عليه السلام قُتل مظلوماً مضطهداً نفسه، عطشاناً هو واهل بيته وأصحابه»[٥].

وتفيد الرواية وصول الزائر المُدمن الزيارة إلى كرامة خاصة في عالم

---

(١) كامل الزيارات، باب ٥٦، ح١.

(٢) كامل الزيارات، باب ٥٥، ح١.

(٣) كامل الزيارات، باب ٥٦، ح٤.

(٤) كامل الزيارات، باب ٥٦، ح٣.

(٥) كامل الزيارات، باب ٦٢، ح٦.

القيامة، إذ يوم القيامة لا يُراد منه يوم ساعات، بل يُراد منه عالم، أعظم مدة من عالم الدُّنيا، كما أنَّه ينال قرباً خاصاً من النبي صلى الله عليه وآله ويحظى بوجاهة، بشمول شفاعة النبي صلى الله عليه وآله له.

والحاصل من هذه الرواية والكثير من الروايات، أنَّ الارتباط بسيِّد الشُّهداء عليه السلام وتوكيد الانتماء إليه يقطع الزائر عن كُلّ انتماءات إلى الباطل، وعن كل ولايات لأهل الضلال كان قد وقع في حبالها سابقاً.

ومن الظاهر بحسب هذه الروايات المستفيضة في أبواب عديدة عقدها ابن قولويه في «كامل الزيارات» وذكرها الصدوق في كتبه وغيرهما، أنَّ هذا الثواب وإن ورد لزيارة الحسين عليه السلام وإدمانها، ولكن الظاهر عمومه للشعائر الحسينية، نظراً للتعليل الوارد فيها المتكرر بكون الزيارة من أبرز أفراد التعلُّق بسيِّد الشُّهداء عليه السلام والارتباط به وذكره عليه السلام.

وقد روى ابن قولويه بطرق مستفيضة إلى سالم بن أبي خديجة (أبي سلمة) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنَّ زيارة الحسين عليه السلام أفضل ما يكون من الأعمال»[1].

وفي معتبرة عبد الملك بن حكيم الخثعمي، عن أبي عبد الله عليه السلام في ثواب زيارة الحسين عليه السلام: «... يمدّ الله في عمرك، ويزيد الله في رزقك، ويحييك الله سعيداً، ولا تموت إلَّا سعيداً، ويكتبك سعيداً»[2].

ولا يخفى أنَّ السعادة أعظم من النجاة، ولم يقتصر أثر الزيارة على السعادة في الدُّنيا، ولا على مجرَّد السعادة في الموت، بل على سعادة أعظم،

---

(١) كامل الزيارات، باب ٥٨، (ورواه الصدوق ثواب الأعمال والفقيه).

(٢) باب ٦١، ح٦.

وهي كتابة روحه وذاته في مقام السعادة الأبدية، ولا يخفى التفاوت بين النجاة من النار، والفوز بالجنَّة، كما لا يخفى الفرق بينهما وبين مقام السعادة.

وأنَّ مقام السعادة ينطبق على ما مرّ، من مقام العليِّين، أو أعلى عليِّين، وبعبارة أخرى، فإنَّ الارتباط بالحسين عليه السلام عَبر الزيارة والشعائر يجعل الموالي من خواص محمَّد وآل محمَّد، وهو أعظم مقام يصل إليه أهل التقوى واليقين.

١٤ ـ وفي صحيح محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام، في ثواب زيارة الحسين عليه السلام: «كتب الله له ألف حجَّة متقبلة، وألف عمرة مبرورة، وأجر ألف شهيد من شهداء بدر، وأجر ألف صائم، وثواب ألف صدقة مقبولة، وثواب ألف نسمة أريد بها وجه الله، ولم يزل محفوظاً سنته من كُلِّ آفةٍ أهونها الشيطان، ووكَّل به ملك كريم يحفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله، ومن فوق رأسه ومن تحت قدميه، فإن مات سنته حضرته ملائكة الرحمن، يحضرون غسله وأكفانه، والاستغفار له، ويشيعونه إلى قبره بالاستغفار له، ويُفسح لله في قبره مدَّ بصره ويؤمنه الله من ضغطة القبر، ومن منكر ونكير أن يروّعانه، ويُفتح له باب إلى الجنَّة، ويُعطى كتابه بيمينه، ويُعطى له يوم القيامة نوراً يضيء لنوره ما بين المشرق والمغرب، وينادي منادي هذا من زار الحسين شوقاً إليه، فلا يبقى أحدٌ يوم القيامة، إلَّا تمنى يومئذٍ أنَّه من زوَّار الحسين»[1].

ويلاحظ في مفاد هذه الرواية عدَّة نقاط:

الأولى: تضمن زيارة الحسين لجملة الكمالات والآثار الدِّينيَّة والدنيوية والأخروية المودعة في حجّ بيت الله الحرام، وقد استفاضت أو تواترت

---

(١) كامل الزيارات، باب ٥٦، ح٣.

مضامين الروايات في ذلك، مع أنَّه قد وصف الحج في الروايات عنهم عليهم السلام، أنَّ الحجّ هو الشريعة، أي أنَّه متضمن لجملة أبواب الشريعة، بل بيَّنت الروايات أنَّ في الزيارة أضعاف إلى ألف ضعف، ولعلَّ هذه الأضعاف، نظير تضاعف العمل في ليلة القدر، نظراً لارتباط ليلة القدر بإمامة أهل البيت عليهم السلام، وقد ورد بيان هذه الخاصية من تضاعف العمل ألف ضعف في معتبرة هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام، في حديث طويل: فما لمن أقام عنده (عند الحسين)؛ قال: «كل يوم بألف شهر؛ قال: فلما للمنفق في خروجه إليه، والمنفق عنده؟ قال: درهم بألف درهم»[(١)].

ولا يخفى، أنَّ لسان هذه الروايات المستفيضة يؤسّس لكون مرقده الشريف مشعراً إلهياً يُحج إليه؛ وأنَّه زيارة لبيت أعظم لله تعالى، كما هو مطابق مفاد قوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ [النور: ٣٦] ـ أي تُعظّم وتُقدّس.

الثانية: أنَّ آثار وجزاء زيارته عليه السلام تحصل للزائر بِدءاً من عالم الدُّنيا، وحياته فيها، وتمتد إلى الموت والقبر، وتتواصل إلى القيامة حتى ينتهي به إلى الجنَّة، وهذا من الخواص المتميزة لزيارته عليه السلام، كما أنَّه يزداد له من أعظم أنواع الجزاء، وهو النُّور.

الثالثة: أنَّ في زيارته عليه السلام ليس خصوص الحج فقط، بل خصائص باب الجهاد كذلك وجزاؤه، وكذلك خصائص باب الزكاة، وخصائص باب الصوم..

أمَّا انضمام خصائص باب الجهاد، فالوجه فيه واضح، لما تتميَّز به.

---

(١) كامل الزيارات، باب ٤٤، ح٢.

وهناك طائفة من الروايات دالَّة على أنَّ زيارته عليه السلام تعدل حجَّة مع رسول الله صلى الله عليه وآله، كما روي بطرق مستفيضة عالية الإسناد عن الفضيل بن يسار، عن أبي عبد الله وابي جعفر عليهما السلام، أنَّ زيارة قبر الحسين عليه السلام تعدل حجَّة مبرورة مع رسول الله صلى الله عليه وآله (١).

ومقتضى هذا البيان، أنَّ زائر الحسين عليه السلام، وافد إلى الله سبحانه بصحبة رسول الله صلى الله عليه وآله. وفي هذا من الإشارة البالغة المقاربة في المعنى لما تقدَّم من أنَّ زائر الحسين عليه السلام، يزور الله من فوق عرشه، وكرسيه.

وورد في الأحاديث المرقمة ١٠ ـ ١١ ـ ١٢ أنَّ صفة من صفات زيارة الحسين عليه السلام هي «زيارة لله» وبكونها فوق عرشه أو فوق كرسيه، إشارة بالغة في كون هذه الزيارة تختلف عن زيارة بيت الله الحرام، التي هي وفود على الله، لكن في بيته الحرام على الأرض، وحجَّاج بيته الحرام، وورد في روايات الفريقين أنَّهم وفد الله، وحضَّاره في بيته على الأرض، إذ الزيارة حضور الزائر عند المزور ـ لكن هذا الحضور درجات، بعد بداهة عدم جسمانية الله سبحانه وتعالى. وأنَّه تعالى مُنزَّه عن شغل الحيِّز والمكان، فالوفود عليه تعالى بمعنى القرب المعنوي، والنوري والقلبي، وهو في زيارة الحسين عليه السلام يبلغ غاية العروج، وهو المُعبّر عنه فوق عرشه، أو فوق كرسيه، فيكون إشارة إلى العروج التام، والقرب البالغ، وفي هذا المضمار عدَّة روايات تشير إلى هذه الخصوصية من الكمال الخاص.

ففي مُصّحح يونس عن الإمام الرضا عليه السلام، قال: «من زار قبر الحسين عليه السلام، فقد حجَّ واعتمر، قال: يطرح عنه حجَّة الإسلام؟ قال: لا هي حجَّة الضعيف حتى يقوى، ويحج إلى بيت الله الحرام، أما علمت أنَّ البيت

(١) كامل الزيارات، باب ٦٤.

يطوف به كل يوم سبعون ألف ملك حتى إذا أدركهم اللّيل صعدوا ونزل غيرهم فطافوا بالبيت حتى الصباح، وإنَّ الحسين عليه السلام لأكرم على الله من البيت، وإنَّه في وقت كل صلاة لينزل عليه سبعون ألف ملك شُعث غبرٌ، لا تقع عليهم النوبة إلى يوم القيامة»[١].

وفي الرواية إشارة إلى أنّ التوجُّه إلى الله بسيِّد الشُّهداء عليه السلام أعظم من التوجُّه إلى الله بالبيت الحرام، كيف؟ وقد قال الله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: إنَّ الغاية من حجَّ بيت الله الحرام، هو التوجُّه إلى الذرِّيَّة المصطفاة من نسل إبراهيم من إسماعيل، حيث قال تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

فجعل الغاية من الإقامة عند البيت الحرام وإقامة الصلاة والحج هي أن تهوي القلوب إلى ذرِّية إبراهيم من نسل إسماعيل، والتي دعا الله تعالى أن تكون الإمامة فيهم، في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤] ـ وهم محل دعوة إبراهيم وإسماعيل في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۞ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٨ ـ ١٢٩] إلى قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا﴾[البقرة: ١٤٣].

فإنَّ درجة الإسلام التي دعا بها إبراهيم لهذه الذرِّية، هي الدرجة من الإسلام والتسليم التي دعا بها لنفسه وابنه إسماعيل، مع أنَّهما قد حصلت

(١) كامل الزيارات، باب ٦٥، ح٦.

لهما النُّبوَّة والرسالة، وتلك الدرجة هي درجة الاصطفاء، وإنَّ الرسول منهم، وجعلهم الله شهداء على الناس، أي شهداء على أعمال الناس، وهذا هو مقام الإمامة المنصوب من الله سبحانه، لا يخفى عليه من رعيته عمل، وقد نقل السمهودي في مقدمة كتاب «وفاء الوفاء» إجماع المسلمين بأنَّ تراب قبر الرسول ﷺ أعظم حرمة من الكعبة البيت الحرام.

ولمزيد من البسط في هذا الأمر، يُراجع كتاب «الإمامة الإلهية»(١) ومن ذلك يظهر مفاد قوله عليه السلام «إنَّ الحسين عليه السلام لأكرم على الله من البيت».

ومن ثم ورد في ثواب زيارة الحسين عليه السلام عدَّة ألسن تُبيِّن مضاعفة ثواب زيارة الحسين وأعظميته على ثواب التوجُّه إلى بيت الله الحرام، نظير أنَّه ذكر الله أعظم من الصلاة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾[العنكبوت: ٤٥].

ولقد جعل الله آدم قبلة لسجود الملائكة، في سبع سور، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤]، فالسجود هو لله تعالى، وآدم كان قبلة لهم، وهو أعظم في التوجُّه إلى الله من الكعبة والبيت المعمور، وإذا أطلق على الكعبة عنوان بيت الله الحرام، فقد أُطلق على الإمام من قِبَل الله عنوان أعظم من ذلك وهو عنوان خليفة الله، والخليفة أعظم من البيت، وأين هذا من ذاك؟..

ومن ثَمَّ، وردت ألسن عديدة في ثواب زيارته بدءاً من أنَّها تعدل عمرة، وفي لسان آخر، عمرة وحجَّة، وثالث، حجتين وعمرة، ورابع، عشرة حجج

(١) كتاب الإمامة الإلهية للشيخ السند، ج٤، ج٥.

وعشرة عمرات.. وخامس، ثمانين حجَّة مبرورة، وسادس، حجَّة مقبولة زاكية مع رسول الله.. وسابع، عشرين حجَّة، وثامن واحد وعشرين حجَّة..

وهناك لسان تاسع: أفضل من واحد وعشرين حجَّة.

ولسان عاشر: ثلاثين حجَّة مبرورة مع رسول الله ﷺ.

وفي ألسن أخر: حجَّة، وحجتين، وثلاثة وعشرة حجج، وعشرين حجَّة، وثلاثين حجَّة، وخمسين حجَّة، ومائة حجَّة كلها مع رسول الله ﷺ.

وفي لسان آخر: ألف حجَّة وألف عمرة[١].

قد ورد في زيارة الحسين عليه السلام أنَّها بمثابة الوفود على الله عزَّ وجلَّ، وذكرت الرواية خواص هذا الوفود بدرجة لا تُقاس بزيارة بيت الله الحرام، أنَّ زيارة بيت الله الحرام هو وفود على الله، وإن كان بيت الله الحرام مخلوق من المخلوقات، والإمام الحسين عليه السلام، أيضاً مخلوق من مخلوقات الله سبحانه، لكن أين مقام الحسين عليه السلام من مقام البيت الحرام؟

الصحيح الأعلائي، لعبد الله بن مسكان، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «إنَّ الله تبارك وتعالى يتجلَّى لـزوَّار قبر الحسين، قبل أهل عرفات، ويقضي حوائجهم، ويغفر ذنوبهم، ويشفِّعهم في مسائلهم، ثم يُثني بأهل عرفات، فيفعل بهم ذلك»[٢].

وفي مصباح المتهجد، قال الشيخ الطوسي، وروى علي بن أسباط عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إنَّ الله عزَّ وجلَّ يبدأ بالنظر إلى

---

(١) كامل الزيارات، أبواب ٦٥ ـ ٦٦.

(٢) كامل الزيارة، باب ٦٨، ح١. ثواب الأعمال للصدوق بطريق صحيح، باب ثواب من زار قبر الحسين عليه السلام، ص١١٦، ومصباح المتهجد، ص٤٩٧.

زوَّار قبر الحسين عليه السلام عشية عرفة، قبل أهل عرفات. قال: قلت: قبل نظره إلى أهل الموقف؟ قال: نعم. قلت: وكيف ذاك؟ قال: لأنَّ في أولئك أولاد زنا، وليس في هؤلاء أولاد زنا».

وروى الرواية باللفظ السابق عن عبد الله بن مسكان، وطريق الشيخ إلى عبد الله بن مسكان صحيح.. كما أنَّ أحد طرق الشيخ إلى علي بن أسباط معتبر، والرواية كالمسندة لأنَّ علي بن أسباط أسندها إلى بعض مشايخه في الرواية.

وروى الشيخ الطوسي في مصباح المتهجد عن يونس بن ظبيان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من زار الحسين بن علي عليهما السلام يوم عرفات، كتب الله له ألف ألف حجَّة مع القائم، وألف ألف عمرة مع رسول الله صلى الله عليه وآله، وعتق ألف ألف نسمة، وحملان ألف ألف فرس في سبيل الله، وسمَّاه الله، عبدي الصدِّيق، آمن بوعدي.. وقالت الملائكة: فلان صدِّيق زكَّاه الله من فوق عرشه، وسُمِّي في الأرض كرُّوبياً»[1]. وطريق الشيخ إلى يونس بن ظبيان صحيح.

وروى الشيخ في المصباح عن عمر بن الحسن العرزمي، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سمعته يقول: «إذا كان يوم عرفة نظر الله تعالى إلى زوَّار قبر الحسين بن علي عليهما السلام، فقال: ارجعوا مغفوراً لكم، ولا يكتب على أحدٍ منهم ذنباً من يوم ينصرف»[2].

وروى الشيخ بسنده عن بشير الدهان، عن رفاعة النخاس، قال: دخلت على أبي عبد الله، فقال لي: يا رفاعة، أما حججت العام قال: قلت: جُعلت فداك ما كان عندي ما أحج به، ولكنِّي عرّفت عند قبر الحسين بن علي عليهما السلام،

(١) مصباح المتهجد، في باب أعمال ذي الحجَّة.

(٢) نفس المصدر السابق.

فقال لي: «يا رفاعة، ما قصّرت عمّا كان أهل منى فيه، لولا أنّي أخشى أن يدع الناس الحج لحدّثتك بحديث لا تدع زيارة قبر الحسين عليه السلام أبداً، ثم نكت الأرض وسكت طويلاً، ثم قال: أخبرني أبي قال: من خرج إلى قبر الحسين عليه السلام عارفاً بحقّه غير متكبِّر صحبه ألف ملك عن يمينه وألف ملك عن يساره، وكُتب له ألف حجَّة وألف عمرة، مع نبي أو وصي نبي»(١).

في نهج البلاغة عن أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة له، في بيان فضل الحج:... إلى أن قال عليه السلام: «ووقفوا موقف أنبيائه، وتشبّهوا بملائكته المطيفين بعرشه، يُحرزون الأرباح في متجر عبادته...»(٢).

في مصباح الشريعة عن الإمام الصادق عليه السلام في بيان الحج: إلى أن قال: «وطُف بقلبك مع الملائكة حول العرش، كطوافك مع المسلمين بنفسك حول البيت»(٣).

ويظهر من هاتين الروايتين أنَّ الطائف بالكعبة الشريفة يتشبَّه بطواف الملائكة المطيفين بالعرش؛ ولا يُعدّ الطواف حول الكعبة طوافاً بالعرش، بل هو لأجل التشبّه به، فلا يُعدّ الطواف بالكعبة في مرتبة الطواف بالعرش، وهذا بخلاف زيارة الحسين عليه السلام في قبره؛ فإنَّه يُعدّ بتلك المرتبة وهي زيارة الله فوق عرشه، وكرسيه، بل إن دققنا وأمعنَّا النظر هي أعظم من طواف الملائكة حول العرش؛ بل هي من الحضور عند الرَّب فوق العرش(٤).

---

(١) مصباح المتهجد، باب أعمال ذي الحجَّة.

(٢) وسائل الشيعة، ج١١، ص١٥، باب وجوب الحجج على كل مكلف مستطيع.

(٣) بحار الأنوار، ج٩٦، ص١٢٤، عن مصباح الشريعة، ص١٦.

(٤) الشعائر الحسينية، ج٣، ص٤٠٠ ـ ٤١٨.

دور البكاء على الإمام الحسين في التكامل الرُّوحي[(١)]

روى ابن قولويه في كامل الزيارات في الصحيح عن أبي داوود المسترق عن بعض أصحابنا عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «بكى علي بن الحسين على أبيه الحسين بن علي (عليهما السلام) عشرين سنة أو أربعين سنة، وما وضع بين يديه طعام إلَّا بكى على الحسين حتى قال له مولى له: جعلت فداك يا ابن رسول الله إنِّي أخاف عليك أن تكون من الهالكين. فقال عليه السلام: إنّما أشكوا بثّي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون. إنِّي لم أذكر مصرع بني فاطمة إلَّا خنقتني العبرة لذلك»[(٢)].

وروى ابن قولويه أيضاً في الصحيح عن إسماعيل بن منصور عن بعض أصحابنا، قال: أشرف مولىً لعلي بن الحسين عليهما السلام، وهو في سقيفة له ساجد يبكي فقال له: يا مولاي، يا علي بن الحسين، أما آن لحزنك أن ينقضي؟ فرفع رأسه إليه وقال: ويلك ـ أو ثكلتك أمك ـ والله لقد شكى يعقوب إلى ربّه في أقل ممّا رأيت حتى قال: «يا أسفي

(١) البكاء على الحسين، ص٢٣.

(٢) كامل الزيارات، باب ٣٥، ح١. الصدوق في أماليه وخصاله.

على يوسف» إنَّه فقد ابناً واحداً، وأنا رأيت أبي وجماعة أهل بيتي يذبّحون حولي»[١].

والذي يلفت النظر في هاتين الواقعتين للإمام علي بن الحسين عليهما السلام جملة من الأمور والزوايا:

الأولى: والذي تبيّن فلسفة البكاء على الحسين عليه السلام عند أهل البيت عليهم السلام، إذ كما هو ثابت في روايات الفريقين أنَّ النبي صلى الله عليه وآله بكى على ابنه الحسين عليه السلام منذ ولادته، بل قبلها وبعدها، واتخذ البكاء عليه عملاً وسيرة دأب صلى الله عليه وآله عليها. وكذلك ما روى عن فاطمة عليها السلام وأمير المؤمنين عليه السلام وبقية أئمَّة أهل البيت عليهم السلام.

وروى ابن قولويه والصدوق مستفيضاً قول أمير المؤمنين عليه السلام وبقية أهل البيت عليهم السلام عن الحسين عليه السلام: «يا عبرة كل مؤمن». أو قول الحسين عليه السلام: «أنا قتيل العبرة»[٢].

فإنَّ زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام، قد قضى طيلة عمره باكياً على أبيه الحسين عليه السلام (ما يقارب اثنا عشر ألف يوم طوال ٣٤ سنة قمرية)[٣] (٣٤ × ٣٥٠)..

وكذلك بقية أئمَّة أهل البيت كما روي ذلك كثيراً عن الإمام الصادق عليه السلام والرضا عليه السلام، وصاحب العصر والزمان (عج).

فالبكاء على الحسين ظاهرة منتشرة عند النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، وواضحة في طقوس أعمالهم سلام الله عليهم.

---

(١) كامل الزيارات، باب ٣٥، ح٢.

(٢) كامل الزيارات، الصدوق في الأمالي، مجلس ٢٨، كامل الزيارات، باب ٣٦.

(٣) ناتج الضرب، ٣٤× ٣٥٠ = ١١٩٠٠ يوماً.

ومن البديهي أنَّ المعصوم **لا يشغل وقته إلَّا بما يصبّ في التكامل، والسير في القرب الإلهي**، وإلَّا، فالمعصومون لا سيَّما سيِّد الأنبياء وأهل بيته عليهم السلام، مُنزَّهون أن يشغلوا أعمالهم وأوقاتهم في الأمور العادية، بل ولا الراجحة اليسيرة، فمن ثم لا بُدَّ من كون البكاء على خصوص الحسين عليه السلام هو ذو بُعد وغاية غير ما يحسبه ويتخيله الكثير من الناس.

وإلَّا، فإنَّ المعصومين دائبون في ذكر الله والانشغال بالصلاة بكمٍّ كبير والصيام والدُّعاء والمناجاة والابتهال وبقية أبواب العبادات؛ من السياحة والقنوت والخشوع وغيرها.

الثانية: أنَّ بكاء السجاد عليه السلام على الحسين عليه السلام، كان في حال السجود، وسواء افترضناه سجود للصلاة، أم سجود مستقل، فهو عبادة لله، فكيف يبكي السجاد عليه السلام على الحسين عليه السلام، ويذكر ما جرى على الحسين عليه السلام وهو في حالة ذكر الله ومناجاة مع الله سبحانه، لا سيَّما وأنَّ السجود هو من أعظم حالات العبادة والقربة إلى الله سبحانه، كما ورد أنَّ أقرب ما يكون العبد إلى الله وهو ساجد. كما في قوله تعالى: ﴿وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب﴾ [العلق: ١٩].

لا سيَّما أنَّ مولى الإمام زين العابدين عليه السلام، ذكر الرواية التي بهذا المضمون رغم كون الإمام ساجداً، قد فهم من حالة الإمام أنَّ بكاءه هو على أبيه الحسين عليه السلام، ممَّا يدلُّ على أنَّ بكاءه على الحسين عليه السلام كان عادةً له حتى في حالات العبادة لله.

الثالثة: قوله عليه السلام: إنَّ عنوان البكاء على الحسين عليه السلام، وشعاره هو عنوان وشعار بكاء يعقوب على ابنه يوسف، وهو كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف: ٨٦]..

وهذا القول من يعقوب إنَّما قاله بعدما اعترض عليه ذويه وولده حيث ذهبت عيناه من الحزن والبكاء على يوسف كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ * قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ﴾ [يوسف: ٨٤ ـ ٨٥].

فيكون هذا العنوان والشعار جواباً على الاعتراض الموجّه على يعقوب ببكائه على يوسف وعتابهم عليه، وتذمُّر المعترضين من طول هذا البكاء، فيكون مفاد هذا الجواب، أنَّ بكاء يعقوب على مُصاب فَقْد يوسف ليس موجّهاً لهؤلاء المعترضين، وليس هو وسيلة للشكاية لهم، وإنَّما البكاء شكاية إلى الله، وطلب الفرج منه واستنزال الغوث منه تعالى، إذ أنَّ حقيقة البكاء هو شكاية واستغاثة من السبب والمنشأ الذي حصل البكاء منه، وهو موجَّه لمن يخاطب به البكاء كنداء ودعاء وطلب واستعداء، كما في بكاء الطفل يوجهه لأُمّه وأبيه فإنَّه استدعاء من الطفل لكي يجلب توجه أبويه له للعطف عليه وتلبية حاجته، وكُلَّما زاد في بكائه لهما زاد إلحاحه لهما، وهو إلحاح في الدُّعاء الذي هو من أعظم حالات الدُّعاء، فالبكاء لهما حالة انعطاف واستنزال للرحمة والغوث.

لأنَّ حقيقة البكاء توضحه الآية بنصّها أنَّه شكاية واستغاثة ونداء، واستعداء.. ولهذه الحقيقة من البكاء يشير قوله عليه السلام في دعاء الندبة الذي هو ندبة وبكاء على مصائب أهل البيت عليهم السلام وابتلاء الإمام المهدي عجل الله فرجه بالغيبة: «اللَّهمَّ أنت كشَّاف الكرب والبلوى وإليك استعدي فعندك العدوى، وأنت رب الآخرة والأولى، فاغث يا غياث المستغيثين عبيدك المبتلى».

وهذه الحقيقة للبكاء، نشهدها ونجدها عياناً في ارتكاز الفطرة، فإنَّ الطفل عندما يبكي، يوجه بكاءه لأمه وأبيه طلباً لرفع حاجته واستغاثةً بهما ونداءً لهما؛ واستنزالاً للعون منهما. فالبكاء استدعاء وسؤال لرفع الكرب والبلاء، وطلب للغوث والعون. فإذا كانت هذه حقيقة البكاء، فيُبيِّن النبي يعقوب عليه السلام، أنَّ البكاء إنَّما يوجهه إلى غياث المستغيثين، وكاشف الكرب والبلوى، وإلى قاضي الحاجات وكافي الملمات، فهو شكوى إلى الله، وليس شكوى من الله، وكم فرق وبون بينهما، بأن يكون شكوى من الله فهو سخط على قضاء الله وقدره، فيوجه الباكي بكاءه وشكايته إلى المخلوقين، فيشكو الله للمخلوقين. بخلاف ما إذا كان شكوى إلى الله سبحانه، فهو استغاثة بالله ونجوى مع الله، ودعاء إلى الحضرة الربوبية، فكلما استمر واشتد البكاء، فهو اشتداد للدعاء بانكسارٍ، وهي من الحالات الفضلى للدعاء واستجابته، وزيادة في المناجاة واشتداد لعبادة الله سبحانه، وإلحاح للطلب من الله، فيكون البكاء مخّ العبادة. فهو مخّ السجود، فكيف يُعترض على الدُّعاء الموجّه إلى الحضرة الربوبية؟ وكيف يطالب الباكي بهذا العنوان أن يقطع بكاءه أو أن يفتر في بكائه؟ وكيف يُتبرّم من هذا البكاء الذي هو دعاء ومناجاة مع الله، ونداء واستغاثة من قاضي الحاجات، بل إذا استمر واشتد هذا البكاء يكون دليلاً على شدة الإيمان واليقين برجاء الله سبحانه، وقدرته تعالى على كشف أحلك العُقد وأشدّها، وأعظم الكُرب وأبلاها، ومن ثم قال النبي يعقوب عليه السلام: إنَّ العنوان الثاني للبكاء هو: «وأعلم من الله ما لا تعلمون»، يعني معرفته بالله وبرجاء الله وقدرة الله سبحانه، وعظمته الغالبة على كل شيء، قادرة على رفع اليأس، ورفع شديد البلاء وعظائم الكرب، وقاسي المحن. فالبكاء أمل ورجاء وثقة بالله العلي العظيم..

وإلى ذلك تشير الآيات في سورة يوسف مرة أخرى: ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ

ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ * قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ * فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴾ [يوسف: ٩٤ ـ ٩٧].

فكرّر يعقوب عليهم، وذكّرهم بفلسفة وغاية البكاء، وأنَّ بكاءه لم يكن عدم الغاية وكان ضلالاً، بل هو هدى وفلاح ونجاح، حيث ذكر القرآن الكريم على لسان يعقوب: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٩٦]. أي أنَّ البكاء وبثّ الشكوى والهمّ والحزن إلى الله تعالى، لا إلى غيره هو دعاء وسؤال وطلب حاجة من الله تعالى.

فمن يبكي ويتوجَّه ببكائه إلى الساحة الإلهية يدلُّ على قوَّة توكّله على الله تعالى، وقوَّة معرفته بعظمة قدرة الله على كل شيء، ولا ييأس من روح الله، فإدمان البكاء هو إلحاح في الدُّعاء والطلب؛ ومن ثم اعتذروا عن تسفيههم بكاء يعقوب، وعن تضليلهم لحزنه الطويل وعن استهجانهم إدمان ذكره ليوسف، وعرفوا أنَّ مأتم يعقوب على مصاب يوسف أمر حق وهدى وفلاح ونجاح، ومن أسباب توفيق القدر؛ فطلبوا من أبيهم أن يستغفر لهم ذنبهم وخطيئتهم.

الرابعة: صيرورة البكاء على الحسين عليه السلام منشأ ذكر لله عند المعصومين، وبكاء وحزن قربة إليه تعالى. وليس ذلك للمعصومين فقط، بل لجميع الأنبياء السابقين، فهذا البكاء قَلب حياة السجاد عليه السلام إلى رياضة، وذِكر لله تعالى، حيث يتوجّه، وكذلك صنع بجدّه النبي صلى الله عليه وآله حيث قلب العديد من أوقاته الشريفة إلى بكاء ولون خاص من ذكر لله تعالى، حيث يتوجَّه صلى الله عليه وآله بإنكسار بذلك البكاء بمثابة شكاية يتوجّه بها إلى الله، والبكاء حزن، والحُزن محبوبٌ

عنده تعالى، حيث قال تعالى في الحديث القدسي: «.. أنا عند المنكسرة قلوبهم»[١].

وكذلك صنع هذا البكاء بفاطمة عليها السلام، فإنَّه أورثها الحزن والأسى في حياتها، بل وفي عالم البرزخ، حيث وردت الروايات المستفيضة في «كامل الزيارات» وغيرها من المصادر الدالة على أنَّ الزائر للحسين عليه السلام من المؤمنين والمؤمنات يُسعد فاطمة على بكائها على مصابه عليه السلام، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «ما في الأرض مؤمنة إلَّا وجب عليها أن تُسعد فاطمة في زيارة الحسين عليه السلام»[٢]. وإنَّ بكاءهم عند قبره الشريف يُسعدها أيضاً.

وكذلك أبكى عليه السلام والده أمير المؤمنين في مواطن عديدة، وأبكى أخاه الحسن عليه السلام، وكلّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام، وكذلك صنَع بابنه الحجّة عجل الله فرجه حيث قال: «ولأندبنَّك صباحاً ومساءً؛ وأبكينَّ عليك بدلَ الدموع دماً».

الخامسة: ومن هنا يظهر معنى وفلسفة فضيلة وكمال دوام ذكر مصابه ليلاً ونهاراً بنحو رتيب ودائم حيث أنَّ البكاء عليه هو توجّه إلى الله بنحو دائم، ومناجاة للساحة الإلهية.. فكيف لا يدوم رجحانه وفضيلته[٣]..

---

(١) كامل الزيارات، (بحار الأنوار، ج٧٣، ص١٥٧) عن نوادر الراوندي.

(٢) مستدرك الوسائل، ج١٠، ص٢٥٩.

(٣) البكاء على الحسين عليه السلام، ص٢٣ ـ ٣٢.

دور الذِّكر القرآني في التكامل الرُّوحي[1]

القرآن الكريم بيَّنَ أنَّ حقيقة القرآن سواء على صعيد الكلام الصوتي وما فوق ذلك من مراتب القرآن ليس تركيبٌ صوتي لتحريك خيال الإنسان وعواطفه كما هو الحال في الشعر، بل هو يُعبِّدُ الطريقَ ليحصِّلَ حالة التذكُّر لدى الإنسان وغيره من قراءته والعمل به، فمن ثم حار الأُدباء في تشخيص حقيقة ماهية التركيب الأدبي للقرآن، وأنَّهُ هل يدخل في الشعر، أو في السجع وفي الغزل أو في الحماس، أو في الأسلوب الرمزي، أو في النثر القصصي، إلى غير ذلك من أبواب الأدب في اللُّغة، ولم يفطنوا إلى يومنا هذا لقواعده في التركيب البلاغي، وأنَّهُ من أيّ شاكلة.

وفي الحقيقة:

١. أنَّ سبب هذا التحيُّر هو أنَّ ماهيَّة التركيب اللغوي والبلاغي لألفاظ القرآن هي ماهيَّة التركيب الذِّكري، أيّ الذي يوجب التذكُّر، لا الذي يوجب إثارة الخيال من حيث هو خيال، ولا إثارة العاطفة من حيث هي عاطفة، ولا إثارة الوهم والواهمة في هيمان معاني، ولا إثارة شعور الإحساسات والحسّ والتحسُّس من حيث هُوَ، ولا إثارة جُرْبُزَة الفكر من حيث هو تحليقٌ فكري،

---

(١) تفسير أمومة الولاية والمحكمات، ج٢ ص٢٦٥.

ولا غير ذلك من إثارة أفعال قوى النفس من حيث هِيَ هِيَ، بل هو توظيف كُلّ ذلك في مسيرة ومسار حصول التذكُّر والذِّكر للإنسان، لما مرَّ به من عوالم أخذت عليه المواثيق في تركيب فطرته وذاته.

ثم إنَّ توصيف ما نُزِّلَ على النَّبيّ ﷺ من الكتاب بأنَّه ذكرٌ، ثم توصيفه بالقرآنيَّة، دالٌّ على نقد وعلوّ مرتبة الذكريَّة للقرآن على مرتبة قرآنية الكتاب.

٢. قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [ص: ٨٧]. بتقريب: إنَّ هذه الآية المباركة تشير إلى أنَّ الذِّكر الذي هو من أعظم غايات القرآن، ليس غايةً خاصَّةً بالإنسان، بل القرآن غايته الذِّكر لجميع المخلوقات.

٣. قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٠]. بتقريب: إنَّ في الآية المباركة إشارة إلى أنَّ حقيقة الذكر علويةٌ، لا يَصِلُ إليها إلَّا بالعروج، ومن ثم كان الذكر على مراتب وأقسام فوق أن تُحصى.

٤. قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ٥٨].

بتقريب: وفي الآية مقابلةٌ بين الآيات والذِّكر، وفيه إشارة إلى علوّ حقيقة الذِّكر، وأنَّ الآيات المباركة تنزلات له، وهو مطابق لما في سورة «يس» من كون الذِّكر أعلى مقاماً لحقيقة الكتاب من مرتبة قرآنيَّة الكتاب.

٥. قوله تعالى: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا﴾ [الأعراف: ٦٣].

٦. قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦]. والآيتان الخامسة والسادسة بنفس مضمون تقريب الآية الرابعة.

٧. قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ

يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٤٤]، بتقريب: إنَّ هذه الآية المباركة فيها إشارة إلى أنَّ الذِّكر مع كونه ذكراً إلَّا أنَّه يحتاج إلى بيان وتبيان وترجمان.

٨. قوله تعالى: ﴿ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴾ [الصافات: ٣].

٩. قوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ * فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ * وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾[المدثر: ٥٤ ـ ٥٦]، بتقريب: إنَّ الآية المباركة دالَّة على أنَّ التذكر بالقرآن لا يحصل إلجاءاً قهريّاً، بل لا بُدَّ من إرادة ومشيئة من الإنسان أيضاً، فهو أمر بين أمرين، لا جبر ولا تفويض.

١٠. قوله تعالى: ﴿ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا * رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ﴾ [الطلاق: ١٠ ـ ١١]، بتقريب: في الآية دلالةٌ على أنَّ التذكر لا يحصل من قراءة المصحف والتدبُّر بالمعاني إلَّا بالتقوى وحصول الخشيَّة القلبيَّة، ممَّا يُشير إلى ما مرَّ من أنَّ التذكُّر والذِّكر له مراتب فوق بعضها البعض مُتصاعدة، إلى غير ذلك من الآيات الكريمة.

ثانياً: الروايات:

الرواية الأُولى: الحسن بن محمَّد الطوسي في (المجالس) عن أبيه، عن المفيد، عن المظفر البلخي، عن محمد بن همام، عن عبد الله بن جعفر الحميري، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن أبي حمزة الثُمالي، عن أبي جعفر بن علي الباقر عليه السلام، قال: «لا يزال المؤمن في صلاة ما كان في ذكر الله عزَّ وجلَّ، قائماً كان أو جالساً أو مضطجعاً، إنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ [آل عمران: ١٩١]»[1].

(١) وسائل الشيعة للحر العاملي، ج٧، كتاب الصلاة، أبواب الذِّكر، ب١، ح٥، ص١٥٠.

الرواية الثانية: ... عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «... ما من شيء إلَّا ولَهُ حَدٌّ ينتهي إليه إلَّا الذِّكر فليس لَهُ حَدٌّ ينتهي إليه، فرض الله عزَّ وجلَّ الفرائض فمن أدَّاهُنَّ فهو حدُّهنَ، وشهر رمضان فمن صامه فهو حَدُّه، والحج فمن حجَّ فهو حدّه، إلَّا الذِّكر، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ لم يرضَ منه بالقليل ولم يجعل لَهُ حدٌّ ينتهي إليه ثم تلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١ ـ ٤٢]. فقال: لم يجعل الله لَهُ حدّاً ينتهي إليه، قال: وكان أبي كثير الذِّكر، لقد كنتُ أمشي معه وإنَّه ليذكر الله، وآكل معه الطعام وأنَّهُ ليذكر الله، ولقد كان يحدّث القوم وما يشغله ذلك عن ذكر الله، وكنتُ أرى لسانه لازقاً بحنكه، يقول: لا إله إلَّا الله، وكان يجمعنا فيأمرنا بالذِّكر حتى تطلع الشمس ـ إلى أن قال: وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ألا أخبركم بخير أعمالكم لكم وأرفعها في درجاتكم، وأزكاها عِندَ مليككم، وخيرٌ لكم من الدينار والدرهم، وخيرٌ لكم أن تلقوه عدوّكم فتقتلوهم ويقتلوكم؟ فقالوا: بلى، فقال ذكر الله كثيراً، ثم قال: جاء رجلٌ إلى النَّبيّ صلى الله عليه وآله فقال: من خيرُ أهل المسجد؟ فقال: أكثرهم لله عزَّ وجلَّ ذكراً»[1].

ومن كلام لأمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة: عند تلاوته ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٣٧]. قال: «إنَّ الله سبحانه جعل الذِّكر جلاء للقلوب، تسمع به بعد الوقرة، وتَبصِرُ به بعد العشوة، وتنقاد به بعد العاندة»[2].

---

(١) الوسائل، ج٧، كتاب الصلاة، أبواب الذِّكر، ب٥، ح٢، ص١٥٤، ط مؤسسة آل البيت عليهم السلام.

(٢) سفينة البحار، للشيخ عباس القمّي، ج٣، ص٢٠٩، عن كتاب الإيمان، ج٣٧، ص٣٠٤، ج٦٩، ص٣٢٥، والوقَرَة: بالفتح هي الثقل في الأُذن أو ذهاب السمع كله، وهنا من بركات الذِّكر أن يُذهب الثقل في السمع، والعَشْوَة: مثلثه العين هي الأمر الملتبس وأن يركب الشخص أمراً بجهالة لا يفرق وجهه، وهنا من بركات الذِّكر أنَّه سوف تزول ظلمة الأمر.

الرواية الثالثة: عن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «بادروا إلى رياض الجنَّة، فقالوا: وما رياض الجنَّة، قال: «حلق الذِّكر»[١].

إيضاح ذلك ـ كما في مستدرك سفينة البحار: ج٣، ص٤٣٠ ـ المُرَاد منْ حلق الذِّكر: المجالس التي يُذكر الله فيها على قانون الشَّرع، ويُذكر فيها علوم أهل البيت عليهم السلام وفضائلهم، ومجالس الوعظ التي يُذكر فيها وعده ووعيده، لا المجالس المبتدعة المخترعة التي يُعصى الله فيها، فإنَّها مجالس الغفلة لا حلق الذِّكر.

وذكر المولى النراقي في «مشكلات العلوم» إنَّه ذُكِرَ في بعض الأخبار: «ليس الذِّكر من مراسم اللِّسان ولا مناسم القلب»: من أنَّ الذِّكر التَّام الحقيقي ليس من وظائف اللِّسان فقط، ولا من وظائف القلب فقط، بل لا بُدَّ أوَّلاً أن يدخل في الذُكر ـ بضم الذال ـ أيّ القلب والخاطر، ثم في الذاكر بعين اللِّسان، والمحصَّل أنَّ الذِّكر اللِّساني فقط، أو القلب فقط، ليس ذكراً كاملاً، بل لا بُدَّ أن يكون بالقلب واللِّسان معاً.

الرواية الرابعة: ... عن عبد الحميد بن أبي الديلم عن أبي عبد الله عليه السلام ونقل حديثاً طويلاً وفيه يقول عليه السلام: «وقال الله جلَّ ذكره: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧] قال: الكتاب الذكر وأهله آل محمَّد عليهم السلام أمر الله عزَّ وجلَّ بسؤالهم، ولم يؤمروا بسؤال الجهَّال، وسَمَّى الله عزَّ وجلَّ القرآن ذكراً، فقال تبارك وتعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]»[٢].

---

(١) معاني الأخبار للصدوق، ص٢٠٠.

(٢) أُصول الكافي، ج١، ص٢٩٣، كتاب الحجَّة الإشارة والنص على أمير المؤمنين عليه السلام، ج٣.

الرواية الخامسة: في باب مجلس ذكر الإمام الرضا عليه السلام مع المأمون في الفرق بين العترة والأُمَّة حديث طويل وفيه، قالت العلماء: فأخبرنا هل فسَّر الله تعالى الاصطفاء في الكتاب؟ فقال الإمام الرضا عليه السلام: «فسَّر الاصطفاء في الظاهر سوى الباطن في اثني عشر موطناً وموضعاً، فأوَّل ذلك قوله عزَّ وجلَّ إلى أن قال: «وأمَّا التَّاسعة فنحنُ أهل الذِّكر الذين قال الله تعالى: ﴿فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧]، فنحن أهل الذِّكر فاسألونا إن كنتم لا تعلمون، فقالت العلماء: إنَّما عنى بذلك اليهود والنصارى، فقال أبو الحسن: سبحان الله، هل يجوز ذلك؟ إذاً يدعونا إلى دينهم ويقولون: إنَّه أفضل من دين الإسلام فقال المأمون: فهل عندك في ذلك شرح بخلاف ما قالوا يا أبا الحسن؟ فقال: نعم الذكر رسول الله صلى الله عليه وآله ونحن أهله، وذلك بيِّن في كتاب الله عزَّ وجلَّ حيث يقول في سورة الطلاق: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۞ رَّسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ﴾ [الطلاق: ١٠ ـ ١١]. فالذِّكر رسول الله صلى الله عليه وآله ونحن أهله، فهذه التاسعة»[١].

الرواية السادسة: ما أرسله العيَّاشي بسنده عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام: «﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ﴾ [الإسراء: ٤١] يعني، ولقد ذكرنا علياً في القرآن، وهو الذِّكر، فما زادهم إلَّا نفوراً»[٢].

فعليه، فالذِّكر صفة وحقيقة تعمُّ حتى أوصاف ألفاظ القرآن الكريم، بل وتعمّ كيفية ترتيب القرآن الكريم، يعني في مقابل خطابه في مقابل اللهو والغناء والموسيقى والشرور، بل الذكر يعمّ حتى الحالات النفسيَّة، بل قد مرَّ **إنَّ الذِّكر أُمّ حقائق القرآن العلوية.**

---

(١) عيون الأخبار، ص١٧٩، ب٢٣، ح١، عنه تفسير نور الثقلين للحويزي، ج٤، ص٦٨.

(٢) تفسير العيَّاشي، ج٣، ص٥٣، ح٧٨.

الذِّكر صفة لمراتب وجودية متكثرة:

من خلال ما تقدَّمَ يُعْلم أنَّ الذكر صفة لمراتب وجودية متكثّرة تبدأ من الصوت إلى أعماق الرُّوح، فمثلاً أحد أبعاد المادَّة المعنويَّة الخياليَّة الموجودة في الشعر ليس فقط الوزن الصوتي لتفعيله ألفاظ الشعر، بل هناك أبعاد أخرى للشعر؛ أحدها: ارتسام المعاني الخيالية فيه.

وعليه فعندما يقول القرآن [ذكر] يعني ليست معانيه خيالية، وإنَّما الذكر معناه: إنَّ مجموعة أصوات وألفاظ حُبكت في القُرآن الكريم تصبّ في تذكر الإنسان ولا تؤدِّي به إلى الخِفَّة والمجون واللهو والاستهتار.

فالقرآن عندما يكون سبباً لإثارة الذكر فإنَّ إثارته للذكر ليست كإثارة الموسيقى والغناء التي هي سبب لإثارة الغريزة الشهويَّة، كما في وصف رسول الله صلى الله عليه وآله للغناء وأنَّهُ رُقية الزنا، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الغِناء رُقيَّة الزِّنا»(١)، وعن الإمام الصادق عليه السلام: «الغناء يورث النفاق»(٢).

بخلاف ترتيل القرآن وتجويده وتفسيره و... فإنَّها أسباب داعية إلى الذِّكر، فإنَّ النَّبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله عندما كان يقرأ القرآن حين نزوله، فإنَّ قلوب رؤوس أئمَّة الكفر وفراعنة الأُمَّة أمثال أبي جهل وأبي سفيان وشيبة وربيعة والوليد بن المغيرة وعتبة و... إلخ تصغي إلى القرآن الكريم ولا يمتلكون أنفسهم وقلوبهم فهي تهوي وتصغي إليه، فإنَّ صوت ونغمة وترنيمة النَّبيّ صلى الله عليه وآله وترتيله للقرآن كان بنغمة ذكريَّة، وليست بنغمة مجونيَّة لهوية، ولا شعرية ولا خطابية ولا فوضويَّة خلطيَّة، ومن هنا تبيَّن دقَّة معنى الذِّكر وأنَّه من الصِّفات

---

(١) بحار الانوار، ج٧٩، ص٢٤٧، ح٢٦.

(٢) المصدر السابق، ص٢٤٩، ح٧.

الكيفية أيضاً، وهكذا الحال بالنسبة إلى باقي أئمَّة أهل البيت عليهم السلام، إذا قرأوا القرآن يحدث لدى السامع موعظة وخشوع يجذب القلب.

ولذا وردت روايات تقول: «نزل القرآن بحزن فاقرؤه بحزن»، أيّ النغمة التي يُقرأ فيها هي أقرب إلى الحزن وأقرب إلى ترتيل القرآن من النغمة التي فيها ابتهاج وسرور، فإنَّ نغمة الحزن تثير الذِّكر.

ولذا ورد عن عبد الرحمن بن سائب قال: قد مرَّ علينا سعد بن أبي وقَّاص فأتيته مُسلِّماً عليه فقال: مرحباً بابن أخي بلغني أنَّك حسن الصوت بالقرآن قلت: نعم والحمد لله، قال: فإنِّي سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «إنَّ القرآن نزل بالحزن فإذا قرأتموه فابكوا، فإنْ لم تبكوا فتباكوا، وتغنّوا به، فمن لم يتغنَّ بالقرآن فليس منَّا»[(١)].

بتقريب: إنَّ القراءة بصوتٍ حزين ليست فقط بخصوص قراءة القرآن، بل حتى باقي الكتب السماويَّة، كما في قول الصادق عليه السلام: «إنَّ الله تبارك وتعالى أوحى إلى موسى وإذا وقفت بين يديَّ فقف وقف الذليل الفقير، وإذا قرأت التوراة فاسمعنيها بصوتٍ حزين» وكان موسى عليه السلام إذا قرأ كانت قراءته حُزناً وكأنَّما يخاطب إنساناً»[(٢)].

إذن الذكر صفة للقرآن على معاني ومدارج كثيرة؛ ولذا هناك فرق بين الألفاظ والكلمات المستعملة في الغناء وألحانها وأطوارها، وبين مفردات ألفاظ القرآن، فإنَّ معاني ألفاظ ومفردات الغناء مجونية حتى لو لم تُقرأ بأطوارها وألحانها الخاصَّة بها، وإنَّما مجرَّد ألفاظ وكلمات يُردِّدها القارئ، وإن لم تكن بتنغيم حاذق ـ والعياذ بالله ـ توجب المجون والخفَّة والطرب،

(١) بحار الأنوار، ج٨٩، ب٢١ من أبواب كتاب القرآن، ص١٩١، ح٢.

(٢) المصدر السابق، ح٣.

وبالتالي فهي مُحرَّمة في بحوث الفقهاء كما في الشَّريعة الإسلاميَّة المقدَّسة، بخلاف معاني مفردات الآيات القرآنيَّة فإنَّها توجب حصول الخوف وحصول الركادة التؤودة والوقار والسكينة في نفس القارئ لها.

وعليه فإنَّ كُلّ شيء في القرآن وبكُل مراتبه وأبْعاده وزواياه يُحدِثُ ذكراً.

والخلاصة: إنَّ قاعدة الذِّكر في القرآن الكريم لها أبعاد عديدة كما سوف يتّضح خلال البحث، فمثلاً أحد أبعادها حتى في طريقة قراءة القرآن الكريم فإنَّها ليست كطريقة قراءة الشعر أو النثر؛ ولذا وردت توصية خاصَّة ـ كما تقدَّمَ ـ في قراءة القرآن الكريم ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤].

بتقريب: إنَّ الترتيل وإن كان له معاني عديدة، بخلاف النثر فإنَّه لا يُرتّل به، وإنَّما يرتجز به وله هزائز، وعليه نفس طريقة قراءة القرآن سواء كانت تجويد أو ترتيل هي بالحقيقة ذات صلة بكون القرآن الكريم ذكر وأنَّ طابع وقاعدة الذِّكر تأخذ شكلاً وإطاراً وقالباً في كُلِّ صعيد بنحو خاص به، كما ورد في روايات أهل البيت عليهم السلام في معنى الترتيل مثلاً، والمراد في هذا الصعيد هو الترتيب اللفظي لوجود قرينة في المقام قال عليه السلام: «بيِّنه تبياناً، لا تهذه هذَّ الشعر ولا تنثره نثر الرمل»(١).

بتقريب: إنَّ الشعر فيه نغمات وأصوات صاعدة ونازلة ممَّا تُحدث هزهزة، ومثل هذا ينبغي تركه في قراءة القرآن، واقرأ القرآن على وتيرة واحدة مبيّنة، فإنَّ طور الأداء الصوتي للقرآن يختلف من زوايا عديدة مع الشعر ومع

---

(١) الكافي، ج٢، ص٥٧٨، ترتيل القرآن بالصوت الحسن، بيّنه تبياناً: دلَّ على أنَّ الترتيب هو إخراج الحروف من مخارجها، والهزّ هو سرعة القطع، والرمل عند نثره يقع متباعد الحبَّات أراد التنبيه على أنَّ الترتيل هو إخراج الحروف من مخارجها بحيث تظهره متميزة عن بعضها البعض.

النثر ومع... إلخ، ولكن اقرأ القرآن بترتيل فإنَّ هذا الطور الأدائي الصوتي يؤثِّر في القلوب القاسية، وبالتالي يُسبّب لها الذكر.

حتى معارف القرآن ليست كالمعارف الفلسفية فإنَّها أفكار تجريدية ونثر وانتشار للأفكار وتشتّتها بخلاف المعارف القرآنية، فإنَّها نوع من نسق الأفكار بنحو يُؤدِّي بالإنسان إلى الذِّكر، فحتى في باب العقائد والمعارف، فقد يكون الإنسان متشاغلاً بها ولكن هذا التشاغل ليس كشاكلة المنظومة القرآنية أيّ بما يُحدث لَهُ ذكراً، وهكذا العابد قد يتشاغل في عبادته، ولكن أيضاً في بعض حالات الإنسان وهو متلبس بالعبادة إلَّا أنَّها ليست ذكراً، ولذلك آخر ما استقرَّت عليه سُنَّة النَّبيّ صلى الله عليه وآله كما في روايات أهل البيت عليهم السلام في استحباب صوميّ الاثنين والخميس، وكان صلى الله عليه وآله يصومها أو يصوم أيام البيض أو كُلّ أربعاء و... إلَّا أنَّه صلى الله عليه وآله عندما يصومها كعبادة يُحدِث له ذكراً، بخلاف ما إذا صام الإنسان أيام شهر رجب أو شعبان، فإنَّهُ يستحب صيامها إلَّا أنَّه يُقطع صيامه ولا بُدَّ أن يستثمر ويتحسَّس حالة الذِّكر حينما يتقطّع خلال الصوم، أمَّا إذا لم يحدث له الذِّكر فحينئذٍ يصبح الأمر عادة اعتادها خاصَّة إذا تعوَّد أن يصوم يوماً ويفطر آخر، وهذا بالتالي يكون أكثر شائكة على الإرادة.

وهكذا مثل صلاة اللَّيل، فإنَّ النَّبي الأكرم صلى الله عليه وآله لم يصلّها في مجلس وورد واحد، وإنَّما يُقطّعها إلى ركعتين ركعتين حتى يستثمرها ويجني منها ثمرة الذِّكر والتوجُّه والانقطاع إليه تعالى، وإلَّا إذا لم تحدث له حالة الذِّكر يصبح الأمر أن ينام الإنسان ثم يقوم ثم ينام، وهكذا لا يستفاد منه شيءً.

ومن باب الكلام يجرُّ الكلام نذكر: إنَّ مسألة تقطيع وتفريق صلاة الليل هو أمر شاقّ على الإنسان، وفي رواية عن الإمام الرضا عليه السلام: «إنَّما على المؤمن أن يأتي بالصلاة ولو في وردٍ واحدٍ ثم يذهب حيثُ يشاء» وإن كان هذا

أدنى درجات الفضيلة، إلَّا أنَّه إذا أراد أن يستوحي من الصلاة الذكر فعليه بالتفريق بين ركعاتها حتى تُحدث له حالة الذِّكر.

وهناك رواية مضمونها: إنَّ زرارة بن أعين قال للإمام الصادق عليه السلام: صليتُ نوافل الظهر وفريضتها ونوافل العصر وفريضتها دفعة واحدة وبلا فاصل، وكنت صائماً ولمَّا خرجتُ ومررتُ من بعض مساجد المدينة وجدتُ أنَّهم لم يصلّوا الظهر بعدُ، فقال له الإمام الصادق عليه السلام: «إيَّاك أن تعود لمثل هذا».

بتقريب: إنَّه ما الثمرة في أداء هكذا مستحبات ونوافل وواجبات بلا إحداث حالة الذكر وإن كان الذي يأتي بها أفضل ممَّن لا يأتي بها أصلاً، إلَّا أنَّ الذي يأتي بها إذا أراد أن يستوحي من الصلاة حالة الذِّكر والتوجُّه فعليه بالفصل بين ركعاتها ـ كُلّ اثنين على حِدَة مع الفاصل ـ مع مراعاة عدم خروج وقت الفضيلة.

وعليه، فحتى الطقس العبادي له نمط بوصف القرآن يمكن أن يؤدِّي إلى حالة الذِّكر القلبي والرُّوحي والأخلاقي، ولذا فإنَّ كُلّ صعيد من الأصعدة لَهُ نمط خاصّ من الممارسة[1].

سرّ القرآن في إحداث التكامل:

ورد في بعض الروايات من الفريقين قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «من انهمك في طلب النحو سُلِبَ الخشوع»[2].

بتقريب: إنَّ من تعمَّق في طلب النحو سلب الخشوع في الصلاة أو قراءة

---

(١) تفسير أمومة الولاية والمُحكمات، ج٢، ص٢٦٥ ـ ٢٧٨.

(٢) بحار الأنوار، ج١، ص٢١٨، كتاب العلم.

القرآن أو الأذكار، مع أنَّ ما في الصلاة وقراءة القُرآن يوجد إعجاز وتعمّق نحوي في تدبُّر القُرآن وتفسيره لا يسلب الخشوع، بل يوجد الخشوع والذكر، فإنَّ طبيعة حقيقة القرآن أنَّه يُفعِّل كُلّ علم في مسير الوصول إلى القمة والكمال وإلى الذكر، فمثلاً النظام النحوي في القرآن ليس نظاماً يسير ويصبّ إلى الردى أو إلى اللاهدف كلا، وإنَّما يستخدمه القرآن وبنحو إعجازي، إلَّا أنَّ هذا الإعجاز لا يكون عائقاً ومكبلاً للإنسان ومُقعِداً له عن المسير، بل بالعكس دافعاً له بقوَّة إلى المسير للأمام، أمَّا أنَّه كيف يمكن أن يستخدم القرآن هذه العلوم بنمط ذكري ويخدم بنحو يدفع الإنسان في مسيره نحو الكمال والتكامل، فذاك بحث يتّضح من خلال المباحث الآتية، وهنا يكمن سِّر إعجاز القُرآن.

ما معنى الذِّكر

لا يمكن لأحدٍ أن يفهم ويفقه معنى الذكر إلَّا أن يكون نفس الإنسان متذكر، وأعظم متذكر هو النَّبي الأكرم محمَّد ﷺ، بدليل أنَّ القُرآن لا ينعِت أحداً بأنَّه ذِكر أو جَسَّدَ الذِّكر إلَّا سيِّد الأنبياء ﷺ دون بقيَّة الأنبياء والأوصياء، كما في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۞ رَّسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[الطلاق: ١٠ ـ ١١].

كما أنَّ القُرآن الكريم لم ينعت أحداً بأنَّه كتلةَ وحيّ مُجَسَّدة، ووحيٌ بتمام وجوده إلَّا سيِّد الأنبياء ﷺ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٤] فإنَّ بعض المُفسِّرين فسَّرَه في خصوص نطق النَّبيّ ﷺ، وفي خصوص ما يبلغه عن الوحي فقط دون سائر نطقِ النَّبيّ ﷺ، فضلاً عن بقيَّة أفعاله وسائر شؤونه وحالاته ومقاماته ومراتب ذاته، أيّ دون تمام حقيقة النَّبيّ ﷺ وهذا غير صحيح.

وإنَّما الصحيح هو أنَّ الضمير (هُـوَ) في الآية يعني به تمام حقيقة النَّبيّ ﷺ فبدنُه وحيٌ، وهَدْيَهُ وحيٌ، وجلوسُه وحيٌ، وقيامُه وحيٌ، وعلمه وحيٌ، ونورُه وحيٌ و... إلخ ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

وهكذا هناك وصفاً للنبي ﷺ في القرآن لتمام وجوده ﷺ ﴿وَمَا عَلَّمْنَهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ [يس: ٦٩].

بتقريب: إنَّ النعت الأوَّل للقرآن هو الذكر، فإنَّ هذا النعت (الذكر) كما هو نعت للقرآن كذلك هو نعتٌ للنبي ﷺ، وهذا يُوضِّح لنا أنَّ القاعدة الشريفة ـ قاعدة أنَّ القرآن ذِكْرٌ ـ يعني فيما تعنيه، أنَّ علم التفسير ليس علمٌ بقواعد وعلوم نظرية فقط، وأنَّ علم التفسير يحتاج من المفسِّر أن يكون متذكراً بقدر ما عنده من ذاكرة، وأن يكون ذكره لله عزَّ وجلَّ حتى يستوعب من حقائق ومعاني القرآن أكثر فأكثر.

وأنَّ هناك من قواعد علم التفسير برنامجٌ عمليٌّ، وليس فقط برنامجاً نظرياً وفكرياً، وعليه فإنَّ المنهج التفسيري الأمثل والمتكامل هو ما كان فيه جناحان وبرنامجان: أحدهما نظري فكري، والآخر منهاج عملي، والبرنامج العملي متمثِّل بأن تكون أيُّها المفسِّر مّتذكراً غير مفتتن بالنزوات، فحينئذٍ تستطيع أن تستوعب من معاني وحقائق القرآن أكثر فأكثر.

وعليه، فهذه وصيَّة متكررة من القرآن في سوره وآياته: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧]، وإنَّ كُلَّ من يريد أن يتذكّر ويصير ذكرياً فلا بُدَّ أن يحيط ويلِمُّ بكُلِّ ما هو مرتبط بالذكر، فإنَّه مرتبط بمعرفة القرآن وعلوم القرآن.

شروط التذكّر:

إذن أهم ما تتميز به قاعدة كون القرآن ذكر هو أنَّها ليست فقط برامجاً أو قاعدة فكرية وتنظيريةً بحتةً، بل لها جنبة ومسحةٌ عمليّة، وهذا يلزم مراعاته في كُلِّ قاعدة من قواعد تفسير القرآن الكريم، وهذه الجنبة العملية في قاعدة

الذكر ترتبط بعمل الإنسان، وعمل نفس الذات النفسانية في الإنسان بغضِّ النظر عن القرآن والتفسير، فإنَّ التذكر والمتذكر من شرائط قراءة القرآن الكريم المستحبة،وكذا من الشرائط المستحبة أن يكون الإنسان مُتطهراً في غير الأوقات التي تُؤدِّي بها العبادات المشروطة بالطهارة.

وعليه، لأجل أن يؤسس المُفسِّرُ في كيان نفسه وفي مساره العلمي جنبة تطبيقية لقاعدة الذكر، وقبل أن يَرِدَ ويخوض في بحر أنوار القرآن الكريم، عليه أن يُراعي تأسيس الجانب العلمي والتطبيقي.

واستفادة هذه التوصية والقاعدة قد تمَّتْ من فحوى قوله تعالى:﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ [الواقعة: ٧٩] فهي وإن كانت هذه الآية المباركة خاصَّة بأهل آية التطهير، إلَّا فحواها للمراتب النازلة عامَّة تشير إلى معادلة التناسب الطردي بين طهارة الإنسان وقَدَرَ نيله من درجات بواطن القرآن.

العلم والعمل:

ولأجل أن يُؤَسِّس المفسِّرُ في كيان نفسه وفي مساره العلمي جنبة تطبيقية لقاعدة الذكر، وقبل أن يَرُدَّ ويخوض في بحر انوار القرآن الكريم، لا بُدَّ أن يُراعي تأسيس الجانب العملي والتطبيقي عنده إلى حدٍّ ما شبيه ما يُقال، أو يقتبسه الفلاسفة على مدرسة الإشراق، أو على العرفاء في مدرستهم العرفانيَّة، إنَّ أحد القنوات الموصلة للمعرفة ليس قناة الفكر، وإن كان صحيح أَنَّهُ ورد ما مضمونه ـ تفكّر ساعة خير من عبادة سبعين سنة ـ وأنَّ أحد نوافذ المعرفة هو الفكر إلَّا أنَّه لِمنْ كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

وعليه، فالذكر عبارة عن نظام من علوم مختلفة يختلف عن الأنظمة بالعلوم، فمثلاً لعلم النحو أو الشعر، أو الصرف أو غيرها قواعد وتفصيلات

وأوزان خاصَّة كذلك القرآن فإنَّه ذكر له أوزان في بُعده اللفظي من الذكر، فضلاً عن قواعد الذكر في تركيب المعنى بدءاً من الطبقة الأولى من المعنى وتصاعداً إلى الدرجات التي لا تنفذ من طبقات المعنى، فضلاً عن أوزان وقواعد الذكر في حقائق القرآن العينيَّة، وارتباط حقيقة الإنسان بتلك الحقيقة في قلبه وروحه.

التقوى والورع:

من الواضح أنَّ الحقيقة والصواب لا يقتنص بالتنظير فقط، بل لا بُدَّ أنْ يقترن ورعٌ وزهد وجانب عملي وطيران عن حضيض الغرائز[(١)] وعليه فالعلم بمفرده أيّ القوَّة الفكريَّة لوحدها لا تؤمِن لك إصابة الحقيقة والصواب، وعليه فلا بُدَّ أن يقترن العلم والقوى الفكرية بجانب العمل، حتى يُؤَمَّن لك بعض الحقيقة؛ لأنَّ «العلم يهتف بالعمل فإنَّه صدقة وإلَّا ارتحل» هكذا جاء في كلمات المعصومين عليهم السلام[(٢)].

فإنَّ هذا المنظِّر حتى لو كان عبقرياً في أيّ علم من العلوم، فإنَّه إذا نحى جانب العلم والقوى الفكرية التنظيرية فقط فيمكن أن يُسيّس ذلك العلم والعالِم سواءٌ في علم الفيزياء او الكيمياء أو الأحياء أو الجغرافية أو التاريخ أو المال أو ...إلخ وتنتج بعد ذلك نتائج فيزيائية مسيّسة، أو كيمائية مسيّسة أو تاريخ مسيّس أو سياسية ماليَّة، ولذا نسمع بين الآونة والأخرى الأكذوبات

---

(١) ومنه لُقِّبَ جعفر بن أبي طالب عليه السلام لأنَّه طار وتخَلَّصَ من حضيض الغرائز وجذباتها وطار عن حبس الذات؛ ولذا يطير مع الملائكة في الجنَّة، وهكذا أبو الفضل عليه السلام العباس ابن علي بن أبي طالب عليه السلام حصل على مقام الطيران فضلاً عن المعصومين عليهم السلام فإنَّهم حصلوا على هذا المقام السَّامي.

(٢) عوالي اللئالي، ج٤، ص٦٦، ح٢٦.

العلميَّة في مختلف العلوم، لأنَّها سُيّسَتْ ونحت جانب التنظير فقط، ولذا وقعت في الخلط والخبط والحيص بيص.

وعليه، فالعلوم بشتَّى أنحائها لا يمكنها أن تصفِق وتطير بجناح واحد وهو جانب القوى الفكرية النظرية والتنظيرية، وإنَّما لا بُدَّ من ضميمة جناح آخر وهو الجانب العملي الذي يشكّل أزمة بين حضارة الدِّين الإسلامي وبالذات حضارة منهاج أهل البيت عليهم السلام والأُطروحات البشرية، أو حتى في المذاهب الإسلامية الأخرى في أُطروحات أهل البيت عليهم السلام، فلا يمكن رفع اليد عن أُطروحات أهل البيت عليهم السلام التي تمثِّل العدل والعدالة المتمثِّل بالجنبة العمليَّة.

وهكذا الحال في علم التفسير، فإنَّهُ وعلوم القرآن الأخرى كعلم ونور لا يمكن الظن بالوصول من خلالها إلى حقائق بمجرَّد التنظير.

وإذا أردت أيُّها المفسِّر الكريم أن تصبح مفَسِّراً ناجحاً وقديراً وتخرج بدورة تفسيرية قديرة عليك أن تتطهر أيُّها المُفسِّر في أخلاقك وعملك وذاتك حتى تحصل على نتائج تفسيرية طيِّبة بقدر ما يتطهر كما بيَّنا ذلك سابقاً، ولذا يشترط في الفقيه في مدرسة أهل البيت عليهم السلام أن يكون عادلاً، وهكذا تشترط العدالة في القاضي.

العدالة:

صحيحٌ أنَّ القضاء مهنةٌ علميّةٌ واحتراف مهني، ولكن ما ربط تأكيد الآيات والروايات على العدالة والورع مع الجنبة العلميَّة، وهكذا الحكم عبارة عن السياسي الذي لَهُ القدرة والمراس في فن إدارة المتغيِّرات وتناسقها مع المصالح، وعليه فما ربط اشتراط العدالة والورع بمنصب الحاكم وأدائه؟

وفي معرض الجواب عن ذلك، بأنَّ القرآن ذكر هذا الربط بقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]، بتقريب: إنَّنا إذا أردنا نتاج سديد وسليم فلا بُدَّ من اشتراط العدالة والورع بالفقيه والقاضي والحاكم وغيرهم، فإنَّ النتيجة العمليَّة من اشتراط ذلك هو الهداية للمتقين ممزوجة بالجانب العملي ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ * فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ * لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٧ - ٧٩]، فإنَّ القرآن لَهُ مقامات غيبيَّة ودرجات من الطهارة خاصّة «وإقرأ وارق». فإنَّ الإنسان له نافذةٌ للعلم غير الفكر ولا بُدَّ من جمعها مع الفكر، ألا وهي نافذة الطهارة، والرياضة الرُّوحيَّة والنفسانيَّة في الرُّوح والنفس.

هذا وقد بنى «الشهيد الثاني قدس سره» على إنَّ ملكة الاجتهاد ملكةٌ قُدسيَّة لا فكريَّة بحتة، بل طهارة الرُّوح مؤثرةٌ فيها.

وقد أشكل عليه من تأخَّر عنه: بأنَّ الملكة العلمية ملكةٌ فكريةٌ، لا ربط ولا صلة لها بآليات العمليّة في النفس، سواء كانت الهيئة النفسانيَّة المتولِّدة من العمل نورانيَّة أو ظلمانيَّة.

إلَّا أنَّ الصحيح هو ما ذهب إليه «الشهيد الثاني قدس سره» إجمالاً، فإنَّ صفاء وشفافيَّة الرُّوحي بالغة التأثير في جودة وطهارة صفاء مرآة الفكر لإدراك المطالب، بل المحكي عن كثير من أصحاب النبوغ والاختراع أنَّهم لا يُوفّقون إلى اكتشاف الاختراعات إلَّا بعد صفاء وتشفف الرُّوح وشفافيَّة خُلُقية تعتوره.

ارتباط العلم والعمل

وحاصل ما أشكله من تأخَّر عن الشهيد الثاني قدِّس سرُّه: إنَّه إذا اعتمد على الجنبة الفكرية، يمكن الحصول على نتائج طيِّبة، ولا يشترط وجود الجانب العملي في الحصول على النتائج الطيبة، وإن كان لا تنكر أهمية

الجانب العملي إلَّا أنَّه ليس شرطاً في ذلك! ويُؤيِّد ذلك ما في حقيقة زيارة المعصومين عليهم السلام فإنَّ البعض يدّعي أنَّ الزيارة هي محضُ جنبة عملية وعمل فقط، وأنَّ الزائر الكريم ترك العلم لجانب العمل، إلَّا أنَّ هذه الدعوى مدفوعةٌ: من قال بأنَّ الزيارة كُلَّها عملٌ محض وأنَّه تُرِك العلْم لجنبة العمل؟! كلا ليس كُلَّهُ كذلك، فإنَّ الزيارة صحيح فيها جنبة عملٍ، إلَّا أنَّه ينبغي عدم الغفلة عن بعض الجهات والبنود العلمية المذكورة في فقرات الزيارة، فإنَّ الزيارة عبارة عن ترويض علمي ودورةٌ ومنظومةٌ معروفية عقائديَّة مُتكاملة، ولا بُدَّ من تطهير القلب وتنويره، فحينئذٍ تزداد قابليتك كُلَّما ازدادت طهارتك النفسيّة والرُّوحيَّة، ولذا فإنَّ الإخفاقات الكثيرة التي نلاحظها في المعارف أو العقائد ما هي إلَّا نتيجة ضعف القوى الفكرية للباحث الكريم، وهذا ما يُشير إليه قوله تعالى: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ [ص: ٧٥].

بتقريب: إنَّه تعالى أعزى وأسند أخفاق إبليس لعنة الله عليه في الإيمان والمعرفة إلى استكباره، وهو هيئة عملية من أفعال القلب، والنفس تؤثِّر سلباً على القوى الفكرية والقلبية الإدراكية لذات الإنسان.

وعليه فالجانب العملي لوحده لا يوصلنا إلى نتائج طيِّبة، واتّباعه لوحده مُشْكِلٍ ولا النظر وحده، ولذا إبليس عندما حُجِب بسبب استكباره، مؤشراً على أنَّه ليس الخطأ سببه في التصور والفكر فقط، ولذا فمن لطافة منهجنا التفسيري «أمومة الولاية على المُحكمات في القرآن» بتفسير سديد في حمل الأطراف والآفاق والمراحل، إلَّا إذا كان عنده تولِّي لأولياء الله، والتولي والولاية لأولياء الله ليس فيه جنبة نظرية فقط، وإنَّما فيه جنبة وسلوكٍ عملي نفساني وقلبي كذلك.

وإلَّا يكن هناك في البين ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ

غِشَٰوَةٌ ﴾[البقرة: ٧]، نتيجة أعمالهم، بخلاف ما أشارت إليه الآية الكريمة ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾ [الكهف: ١٣].

بتقريب: إنَّ زيادة الهُدَى هي زيادة في الإيمان والمعرفة، وهذا حاصل نتيجة شيئين وهما: الفكر والعمل، لا أحدهما من دون الآخر.

ومن هذا البحث ينفتح المجال أمام بحوث منها:

البكاء على سيد الشهداء عليه السلام:

لعَلَّ الكثير يتساءل عن مسألة البكاء على الحسين عليه السلام وغير البكاء، فلماذا العاطفة الشديدة؟ ولعَلَّ أيسر ما يُجاب عن هذا:

بأنَّ الجانب النظري والأمور الفكريَّة لا تكفي لوحدها لفهم ما قام به الحسين عليه السلام، وعليه فإذا كان السائل متوحِّل ببراثن المعصية، فلا يمكنه أنْ يفهم، ولو ببعض ما قام به الإمام الحسين عليه السلام ما لم يتطهَّر ويتنظَّف من تلك المعاصي، وهذا يحتاج إلى جنبة عملية وهو ترك تلك المعاصي عملاً وخارجاً.

فالعاطفة لها دورٌ مهم في صقل الفكر وقوَّة إدراكه، إذ من دونها لا يستعد فكر الإنسان لإدراك جملةٍ من حقائق المعاني، فضلاً عن قصور الفكر لتناول الحقائق العينيَّة، فضلاً عن تأثير العاطفة على تصديق وتسليم القلب والنفس للحقائق، والإذعان بالعلم المطابق للحقائق العينية؛ فإنَّ الجانب الفكري مهما تضخّم وتكاثر فإنَّه لا يوجب إرعواء النفس للإخبات للحقائق وعدم التمرُّد عليها، كما تشير إليه الآية المباركة ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ﴾ [النمل: ١٤].

فإنَّ بعض الأمور الفكريَّة ليس مقدّمتها الفكر فقط، وإنَّما مقدمتها الرياضة الرُّوحيَّة السليمة.

والخلاصة: من كُلّ ما تقَدَّمَ أنَّه تحصَّل ما يلي: إنَّ على المفسِّر بالإضافة إلى جانب إلمامه بقواعد عديدة معيَّنة أن يخوض بينه وبين نفسه حالة التطهير والرياضة الرُّوحيَّة حتى تنفتح له الآيات أكثر فأكثر، وإلَّا فلا تنفتح أمامه، وهذا جانب عملي يجب أن يلتفت إليه المُفسِّر وهو أحد أبعاد قواعد موازين الفكر وتوازنه.

أهم مميزات قاعدة الذكر

إنَّ ما تتميَّز به قاعدة الذكر عن سائر القواعد الأخرى هو:

الربط بين الذكر والترتيل والتلاوة:

أوَّلاً: إنَّ قاعدة الذكر تتأطَّر وتتقولب وتتشكَّل في كُلِّ صعيد بنحو خاص به، كما ورد في روايات أهل البيت عليهم السلام في معنى الترتيل للقرآن، وأحد المعاني المُرادة من الترتيل في هذا الصعيد هو الترتيل اللفظي.

كما في رواية عبد الله بن سليمان، قال: سألت أبي عبد الله عليه السلام عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤]، قال: أمير المؤمنين عليه السلام «بيِّنه تبياناً[١] ولا تهذَّه هذَّ الشعر[٢] ولا تنثره نثر الرَّمْل[٣]

(١) دلَّ على أنَّ الترتيل هو إخراج الحروف من مخارجها، بحيث تظهر متميّزة بعضها عن بعض عند السامع؛ ولذا يُقال ترتيل وترسيل.

(٢) الهَذ: سرعة القطع، وهذَّ القُرآن هذّاً إذا أسرع في قراءته كما يسرع في قراءة الشعر.

(٣) الرَّمل عند نثره يقع على الأرض متباعِدَة حبَّاتهُن وكأنَّه أراد بذلك التنبيه على المطلوب من الترتيل إخراج الحروف من مخارجها بحيث تظهر متميّزة بعضها عن بعض، ولكن ليس بحيث تخرج الحروف متقطّعة منفصلاً بعضها عن بعض كحبَّات الرَّمل عند نثرها، وذلك لطول الفواصل بينها.

ولكن أفزعوا قلوبكم القاسية[١] ولا يكن همَّ أحدكم آخر السورة»[٢][٣].

نعم لقاعدة الذكر وارتباطها بالتلاوة مراتب أخرى من تلاوة المعاني في مواطنها المنطبقة عليها وتنزيلها في الموارد المستحقّة لها فضلاً عن مرتبة قاعدة الذكر في الحقائق المرتبطة بترتيل رَتْل الحقائق وتلاوة وبعضها تلو بَعْض،وحيث إنَّنا في مقام بيان قواعد النظام اللفظي، فالتعرُّض متمركِزٌ في قاعدة الذكر في بُعدِها اللفظي.

ثانياً: إنَّها موجودةٌ في منهج «أمومة الولاية على المُحكمات» دون باقي المناهج التفسيرية الأخرى ولو نسبياً.

ثالثاً: إنَّها تتميَّز بأنَّ لها جنبتان نظرية وعملية كما تقَدَّم.

رابعاً: لأجل الغور إلى أعماق القرآن لا بُدَّ أن يكون المتدبر مُتطهّراً بطهارة في عقله، وفي عقيدته ومعرفته وحالاته الخُلُقية، وأنَّه لا يستطيع أحدٌ أن يلج إلى أعماق القُرآن إلَّا بقدر ما أُوتي من درجة الطهارة.

خامساً: لا تُستعمل قاعدة الذكر على صعيد النظام الاستعمالي فحسب، بل تستعمل على صعيد أنظمة قرآنيَّة مُتعدِّدة، كنظام معاني القرآن الكريم، ونظام الحقائق القرآنية وغيرها، فإنَّ قاعدة الذكر لها ألوان ووجوه ودرجات، فمثلاً هناك فرقٌ الندبة بالذكر، فإنَّ الندبة بالنياحة الذي هو كيفية صوتيّة

---

(١) أي أضيعوا قلوبكم الغليظة بالتدبُّر في آياته وما ورد فيها من أخبار الأُمم السالفة وكيف كفرت بالله فأخذها سبحانه أخذ عزيز مُقتدر، ولا ريب أنَّ التدبُّر لا يمكن أن يتأتى إلَّا لمن يقرأ القرآن بهدوء مترسِلاً فاهماً مقاصده ومراميه.

(٢) أي أهميته أن يصل إلى آخر السور فيسرع في قراءته كسرعته في قراءة الشعر فلا يلتفت إلى معانيه ولا يدرك مغازيه.

(٣) الكافي للشيخ الكليني، ج٢، ص٥٧٨، ب٢٧٨، ترتيل القُرآن بالصوت الحسن.

يختلف عن الندبة بالذكر، فإنَّ الندبة بالذكر أعظمُ تأثيراً من الندبة بالنياحة، وإن كانت النياحة بالحق على أئمَّة المسلمين عليهم السلام أمرٌ راجحٌ، ولكن الندبة لمصابهم عليهم السلام بطور الذكر أعظم تأثير من الندبة بالنوح، وعليه فإنَّ قاعدة الذكر حتى في علم الأداء الصوتي النغمي للقرآن يختلف عن النياحة كذكر.

سادساً: تختلف قاعدة الذكر في بُعدها وضوابطها اللفظية عن الشعر، ولذلك إلى الآن القرآن الكريم يتحدَّى الشعراء وعلماء الموسيقى وعلماء الغناء وعلماء التجويد في اكتشاف حقيقة القواعد اللفظية للذكر.

إذن قاعدة الذكر تمثِّل تحدياً ماثلاً أمام البشرية منذ أربعة عشر قرناً، والقرآن يُنادي ويتحدَّى فن هندسة الصوت وعلماء الموسيقى و... إلخ.

إنْ استطعتم أن تأتوا بنغمة صوتية لا تثير الغرائز الحيوانية ولا توجب خِفَّة العقل ولا تجعل الإنسان نزوي، فهاتوا ما عندكم إن استطعتم، فإنَّ قاعدة الذكر تمثِّل تحدِّي إلهي، إلى الآن علماء كُلّ الفنون ومعاهد الموسيقى في العالم عاجزون عن أن يأتوا بمثل نغمة الذكر، بل أكثر من ذلك فإنَّ الندبة القرآنية هي نوع من الذكر، فإنَّ القرآن الكريم يندب مظلومين كثيرين كالأنبياء والذين قُتِلوا كهابيل وأصحاب الأخدود وغيرهم فإنَّ ندبة القرآن لهم توجب واقعاً تعاطف الإنسان بشكل شديد مع هؤلاء المظلومين، ولكن هل يندبهم القُرآن بنوح ونياحة؟ كلا مع أنَّ النياحة مشروعة وسائغة في الحقّ، وإنَّما يحرم النوح بالباطل.

والخلاصة: إنَّ القرآن الكريم لم يستعمل الندبة بالنوح، وإنَّما استخدم الندبة بالذكر، فمثلاً دعاء الندبة لصاحب العصر والزمان الإمام الحجَّة ابن الحسن عليهما السلام [1] إذا قرأه الإنسان بترتيل وتركيز يتصدَّع قلبه وتتفجَّر دموعه،

(١) فيه روايتان: أحدهما أنَّه صادر من نفس الإمام الحجَّة عليه السلام من جهة الناحية المقدَّسة والآخر: إنَّه صادر عن الإمام الصادق عليه السلام.

لكنَّ لا بنغمة صوتيَّة ونياحة، وإنَّما بنمط آخر وجانب ومعنى فقط من دون أن يستخدم أطواراً متكلفةً يُفجِّر بها الدمعة وإنَّما يتفجَّر بها جيشان القلب بذكر طريقة الذِّكْر.

سابعاً: إنَّ قاعدة الذكر التي نحن بصددها غير مكتشفة الأبعاد، وإنَّما خوضنا فيها من باب التنويه والتنبيه رجاء ان تنكشف جملة من جهات قاعدة الذكر.

ثامناً: تمتاز قاعدة الذكر بأنَّها قاعدة عظيمة تمثِّل شموخ نتاج القرآن وعظمة أثر القرآن في كُلِّ صعيد من أصعدة القرآن، وأنَّ زرارة عندما سأل الإمام الباقر عليه السلام: سيِّدي بِمَ عرف رسول الله صلى الله عليه وآله إنَّ الذي يأتيه ملك من الله هو جبرائيل لا الشيطان؟ قال عليه السلام: «عرِفَ أنَّ الآتي من الله عزَّ وجلَّ بالسَّكينة والوقار» يعني الذكر، انظر إلى دقَّة سؤال زرارة، والإمام عليه السلام أجابه بأنَّ صمَّام أمان نبوَّة النَّبيّ صلى الله عليه وآله هو الذِّكر.

تاسعاً: الذكر هو نظام في العلوم يوظِّفها إلى الكمال، وللذكر قواعد وأوزان لم تكتشف إلى الآن.

عاشراً: إنَّ فرق قاعدة الذكر عن سائر العلوم الأخرى كالنحو والصرف والاشتقاق واللُّغة والبلاغة و...إلخ، هو أنَّ قاعدة الذكر توظِّف هذه العلوم بشكل معادلي مُتوازن يصب في الذكر، وهو بالتالي يرجع إلى كيفية بناء شخصية المُفسِّر العلميَّة وتوفر العناصر المطلوبة في المُفسِّر من الفطنة والالتفات وطهارة النفس و...إلخ، فإذا توفَّرت هذه العناصر وغيرها في المفسِّر وصل إلى نتائج طيِّبة تصبّ في قاعدة الذكر وتوجب ذكراً للمؤمنين وللبشرية، لا أنَّه يتوسَّع في التفسير تجريداً عن الحقائق والعروج فيها ووغولاً في بحر التنظير الفكري بعيداً عن الحقائق العينية.

الحادي عشر: إنَّ قاعدة الذكر قاعدة منهجية خطيرة في علوم التفسير تُبعِدُ عنَّا الحشو والفضول إلى ما هو بنيوي وأساسي في علم التفسير وكشف أركان دعائم القرآن.

الثاني عشر: قاعدة الذكر علامة بوصليَّة لسلامة المنهاج التفسيري، فما دام التفسير يحدث ذكراً فهو في المسير الصائب والسديد.

الثالث عشر: إنَّها قاعدة منهجية راسمة لمختلف علوم تفسير القرآن الكريم ومهيمنة على كُلّ بحوث التفسير في أيِّ مجال من مجالات الآيات الكريمة وعلى مختلف الأصعدة، سواء على صعيد المفهوم والمعنى، أو على صعيد المنهج الأكمل الذي يرسمه لنا القرآن الكريم في الذكر، وفي أيِّ مجال مفهومي يؤدِّي إلى الذكر والتذكُّر، وأوبة وتوبة الإنسان، لا أن يمارسه كيف ما شاء، فإنَّه سوف يصبح مجموع تراكمي من المفاهيم والمعلومات بلا توظيف لها بالصورة الصحيحة والمطلوبة، بل حتى على الفضائل والرذائل الأخلاقية، ففي الرعاية الأخلاقية إذا أردت أن تلزم نفسك وتطبعها على فضيلة معيَّنة أو تقلعها عن رذيلة معيَّنة ليس معناه أنَّه هذا هو كُلّ شيء، كلا، وإنَّما يكون هذا كُلّ شيء عندما تكون عندك منظومة ومجموعة من بنود الرعاية الأخلاقية التي توصلك إلى الذِّكر، وإلَّا ـ والعياذ بالله ـ وقد يكون غرورك أو ابتهاجك وسرورك بفضيلة يغرّك ويحجبك الإقلاع المزبور عن رذائل أخرى فما الفائدة فيه؟

أهم الشرائط المعتبرة في المفسِّر للقرآن الكريم

إنَّ أهم ما يعتبر كشرط أساسي في المُفسِّر الناجح هو ما يلي:

أوَّلاً: أن يكون الإنسان مُتطَهِّراً من جوانب عديدة كالجانب الأخلاقي والعقائدي والمعرفي والسلوكي و...إلخ.

فإنَّ القرآن الكريم كتابٌ محبوكٌ ـ إن صحَّ التعبير ـ وأُوجِدَ من قِبَل الله عزَّ وجلَّ بإيجاد وبناء ونظام لا يستطيع أحدٌ أن يقتحم أعماق هذه القلعة القرآنية إلَّا بقدر من درجة الطهارة التي أوتيها الإنسان من طهارة عقله وعقيدته ومعرفته وحالاته الخُلُقية، فلاحظ قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٠٠].

بتقريب: القصور في عقل الإنسان بنحو يوجب الظلم والسقوط في غمرتها هو مرتبة من مراتب الرجاسة.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾ [التوبة: ٢٨].

بتقريب: إنَّ الشِّرك في العقيدة ورجاسة الرذائل تُحدِثُ رجاسة ونجاسة

في القلب، ورجاسةً في صفات النفس، وخواطر وأحوال جوامح النفس، وممَّا يُؤيِّد ذلك ما ورد عندنا في الروايات الواردة عن أئمَّة أهل البيت عليهم السلام، كما في رواية عبد الله بن موسى بن جعفر، عن أبيه عليه السلام فقال: «ريحُ الكنيف والطيب سواءٌ؟! قلتُ: لا، قال: إنَّ العبد إذا همَّ بالحسنة خرج نفسه طيِّب الريح، فقال صاحب اليمين لصاحب الشمال، قم فأثبتها له، وإذا هَمَّ بالسيِّئة خرج نفسه منتن الريح، فيقول صاحب الشمال لصاحب اليمين: قف، فإنَّه قد همَّ بالسيِّئة، فإذا هو فعلها كان لسانُه قلَمُه وريقُهُ مداده فأثبتها عليه»[1].

ومن هذا يُعرَف أنَّ الطهارة والرجاسة على درجات فإنَّ آيات وسور القرآن فيها من الحقائق والخزائن والكنوز لا تفتح لأيِّ شخص إلَّا بقدر ما أُوتي من المعرفة أيّ الطهارة، كما بيَّنها القرآن الكريم ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٩].

بتقريب: إنَّ آية التطهير وإن كانت خاصّةً بأهل البيت عليهم السلام، إلَّا أنَّ لها مداليلها الالتزاميَّة والاقتضائية على درجات، كما ذكره القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢].

بتقريب: إنَّ درجات الهداية والاستهداء والتقوى في القرآن الكريم مختلفة.

والقرآن الكريم دائماً يربط بين العمل الصالح والهداية ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ [الشورى: ٢٦] وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩] وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢] وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣].

---

(١) وسائل الشيعة، ج١، أبواب مقدمات العبادات، ب٧، ص٥٨، ح٣.

فهناك ترابط ما بين استخراج الهداية ومعاني حقائق القرآن بالعمل الصالح والهداية، هذا مضافاً إلى أنَّه تقَدَّم في القاعدة السابقة ـ الجري والتطبيق أو التعبير ـ إنَّه يمكن العبور والتعريض بالآية ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ [الواقعة: ٧٩] لغير المعصومين عليهم السلام من أئمَّة أهل البيت عليهم السلام، وأنَّ الآيات القرآنية تجري في غير أهل آية التطهير من عادي البشر بشكل مخفف ويمكنه أنْ يمس القرآن بقدر ما أوتي من طهارة وتطهير في الأخلاق والعقائد والنفس و...إلخ.

فإنَّ أحد قواعد علم التفسير هو طهارة الأخلاق، فإذا أردت أن تُبصِر مفاد الآيات جيِّداً فيجب عليك أن تُطهِّر أخلاقك، وكُلَّما تُطهر أخلاقك أكثر فأكثر في يوميات الإنسان ينفتح له فهم وإدراك من باطن القرآن أمطارٌ مُنعِشة من الإدراك والتعقُّل، فمثلما نزول الأمطار يحيي الأرض بعد موتها كذلك القلب الذي هو أرض الرُّوح، وأنَّ أرض العقل الإنساني لا تستطيع أن تستمطر من السماء إلَّا بقدر طهارته، هكذا ذكر الأكابر من ذوي القدم الراسخ في تهذيب النفس وعلم الأخلاق والتقوى، فإنَّهم ذكروا ذلك انطلاقاً من هذه البيانات في الآيات والروايات وتجربة عملٍ مُصدِّقة لهذه الحقائق الوحيانيّة في يوميات الإنسان، فإنَّه تتنزل عليه الخيرات بقدر طهارته.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٦].

بتقريب: إنَّه تفتح البركات من سماء القرآن عندما تكون هناك تقوى وطهارة روحية ونفسية، بخلاف ما إذا عصوا وعتوا فإنَّ الأرض تجدب والسماء تمنع قطرها، وهذا ليس من فرط الخيال والشِّعر، وإنَّما حقائق يُبيِّنها

القرآن الكريم، فإنَّ علم تفسير القرآن علم فريد من نوعه وليس كباقي العلوم كعلم الفيزياء والكيمياء و...إلخ.

إذن قاعدة الذكر المباركة بهذا المعنى والتفسير كمنهج أمومة الولاية على المُحكمات هي تولِّي وسير علمي وعملي وتبيِّن كيف للولاية دورٌ، بقدر ما تتطهّر يشتدّ ولاؤك لله ورسوله ولأهل البيت عليهم السلام فستمطر حينئذٍ عليك أنوار البرهان أكثر فأكثر.

ثانياً: أن يكون المُفسِّر ذا رياضة روحية خاصَّة، فإنَّ شرط معرفة بعض أسرار القرآن أن يمتلك المُفسِّر رياضة روحيَّة متميِّزة، فإنَّ القرآن الكريم كثيراً ما يُشارط ويُراهن في معرفة القرآن أو في معرفة مغازي بيان كلام الله تعالى في كتابه على ان يكون عند المُفسِّر أو الباحث رياضات روحيَّة على أوسمة ومقامات في السلوك النفسي والرُّوحي.

ثالثاً: من الشرائط الأساسية التي يجب توفّرها عند المُفسِّر هو طهارة النفس، وأن يكون كُلّ مُفسِّر عنده برنامج تطهير نفساني وتطهير معرفي وعقائدي، وتطهير أحوال نيَّات النفس، ومن ثم يُقدم على التدبُّر في القرآن ـ ولذا أفردنا هذا الشرط عن الأول لأهمية تأثير الأخير على المُفسِّر وإن كان بينهما أوجه شبه ـ.

ولذلك أصحاب التقوى والعلم يُوصون بالتدبُّر في القرآن الكريم في أوقات صفاء أعمال الإنسان وصفاء نيَّاته، ولذا ورد عن أهل البيت عليهم السلام من التأكيد على قراءة القرآن أوَّل الصباح خاصَّة بعد صلاة الصبح وبعد الطلوعين، فإنَّ هذا الوقت له مغزى باعتبار الصباح ابتداء أوَّل اليوم وصفاء النفس بعدُ لم يتلوَّث، فإنَّ القرآن الكريم يمطر حينئذٍ على أرض النفس بمعلومات نوريَّة مُضيئة لظلمات النفس، وما للقرآن من أثر ووقع خاص في تربية وصقل النفس

والالتفات إلى أسرار القرآن الشيء الكثير خاصَّة في وقت ما بين الطلوعين، وإن كان القرآن مأدبة الله في أيِّ وقت تستطرق للقانع والمعتر، ولكن تلك الأفراد أكثر تأثيراً.

وعليه، فإنَّ أحد معاني قاعدة أنَّ القرآن ذكر هو أن يكون نفس المُفسِّر متذكّر، وكأنَّما يقول القرآن الكريم لنا: إنَّ الصاحب المطلق والمعلِّم الأكبر للقرآن هو الطاهر المعصوم، ويعتبر هذا أحد براهين ضرورة وجود مُعلِّمين للقرآن الكريم، وإنَّ صاحب القرآن هو المطهّر لأنَّ القرآن كتاب هداية للمتقين لا للفاسقين، فإنَّ من بديع وعظمة ومعجزة القرآن الكريم الذي هو خزينة مملوءة بالجواهر، ولكنَّها لا تفتح الرقم السِّري لِكُلِّ باب من أبواب هذه الخزانة إلَّا لباب الطهارة والتزكية والذِّكر والتذكُّر، فإنَّ الله تعالى يضنّ ويمسك بها على غير ذلك ـ أيّ لا تفتح لغير الطاهر المُطهّر ـ.

ولذا يُعتبر هذا الشرط القرآني المهم أحد براهين ضرورة العصمة ووجود المعصومين فيما إذا كان القرآن كتاب هدى للمتقين، وعليه كُلَّما ازداد الإنسان تقوى ازداد هدايةً، فكيف إذن يدّعي البعض ويقول حسبنا كتاب الله، أو بعضهم يدّعي أنَّه أتقى المتقين، وإذا كنت أتقى المتقين فحينئذٍ تكون مُعلِّم القرآن.

وإلى هذا المعنى يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٧].

ونفس سورة البقرة تُفسِّر من هم الراسخون في العلم ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢].

بتقريب: هم ذو التقوى، وإنَّ الإنسان كُلَّما ازداد تقوى وصار راسخاً في

العلم، وفي القرآن إلى أن يبلغ ما يبلغ، وحيث أنَّ هداية القرآن غير محدودة ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ﴾ [الكهف: ١٠٩]. وعليه فلا بُدَّ من مدى غير محدود في التقوى، أي لا بُدَّ من استمرار إبقائه على التقوى، وليس ذلك فحسب بل لا بُدَّ أيضاً من الترقي طولاً وارتفاعاً في الدرجات، وإلَّا سوف تكون معاني القرآن وحقائقه معطّلة ومُجمَّدة، وحاشا لكتاب من ذلك لأنَّه أُنزل من ربّ العزَّة يكون مُجمَّداً، وإنَّما لا بُدَّ أن يكون مُفعَّلاً، والذي يصل إلى ما لا نهاية وما لا محدوديَّة في القرآن الكريم لا بُدَّ وأن تكون تقواه غير متناهية ولا تقف عند حدٍّ، وهذا هو معنى العصمة الذي يُنادي القرآن بوجودها وبوجود المعصوم الذي هو صاحب القرآن وعدله وهو الثقل الثاني ومن دونه يُعطّل الكتاب، ومن الواضح أنَّ القرآن كتاب مختلف عن بقيَّة الكتب وليس كتاب علوم أخرى، إنَّما القرآن كتابٌ يشترط تواجد صفات عمليّة خاصّة في المُعلِم والمُتعَلِّم، وإذا أردنا أن ننقب في الحقائق أكثر نستطيع أن نلتفت إلى أصحاب العلوم الأخرى حتى التجريبيَّة منها كعلوم الفيزياء والكيمياء والأحياء و...إلخ والعلوم الإنسانية، بل وأيّ علم من العلوم التي يتداولونها ويتعاطاها النوابغ من البشر فهم يذكرون في مذكَّرات تراجم حياتهم أنَّهم لا يصلون إلى اكتشاف علمي إلَّا أن يتطهّروا خُلُقياً وروحياً وطهارة خاصّة، وتكون اكتشافاتهم على قدر ما لهم من طهارة ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧].

فإنَّ هذه الاكتشافات تحتاج إلى شفافيَّة نفسانيَّة وصفاء روحي لذيذ جدّاً لم نعايشه في حياتنا إلَّا في تلك اللحظة.

وبالتالي هذا يدلّل على أنَّ الباري تعالى في كُلِّ علم من العلوم يُمطِرُ سماء الفيض فيها مع درجة خاصّة من الطهارة.

وهذا ما صرَّح به برفسور مسلم باكستاني تلميذ أحد النوابغ في علم الفيزياء، وكتابه موجود يجمع به كلمات النوابغ.

لو لاحظنا ما يصدر الآن من العرفاء أو الصوفيَّة أو أصحاب السير والسلوك وما يطفح منهم من شذوذات ونشوزات وعجرفات فهذه ليست ذكراً، وسببها أنَّهم لم يكتشفوا قواعد نظام الذِّكر؛ فإنَّ الذِّكر نظام خُلُقي معيَّن ونظام اعتقادي مُعيَّن لم يكتشف من قبل أكثر مشارب بحوث المتكلمين في مدارس إسلاميَّة عديدة، ولذا أمثال الخوارج وغيرهم صاروا أشبه بالقدريَّة والمرجئة بسبب عدم التفاتهم لمثل نظام الذِّكر وباقي الالتفاتات العلميّة الدقيقة؛ ولذا وقعوا في هذا التخبُّط والانحراف؛ لأنَّ النظام العقائدي نظام ذكر خاص له درجات معيَّنة، وبناء هذا النظام العقائدي الذي طرف منه عند الناس وطرف منه عند الله، فإنَّه يتدخّل في أغلب العلوم إن لم نقل كُلّها، فإنَّه يتدخَّل في علم الأخلاق والعقائد والاقتصاد والتجارة و...إلخ، ولأجل أن تكون نتائج ذلك العلم متينة ومنضبطة لا بُدَّ من أعمال قواعد الذِّكر، ولعلَّهُ أحد تفاسير الآية المباركة ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٣٧].

بتقريب: أمَّا الإمام عليه السلام أجابهم برواية: لا أنَّهم لا يُتاجرون ولا يتبايعون، عن أسباط بن سالم قال: دخلتُ على أبي عبد الله عليه السلام ... يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٣٧] إلى آخر الآية إنَّ القوم لم يكونوا يتجرون كذبوا، ولكنَّهم لم يكونوا يدعون الصَّلاة في ميقاتها، وهو أفضل ممَّن حضر ولم يتجر[1]، قال روي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام: «إنَّهم قومٌ إذا حضرت الصَّلاة، تركوا التِّجارة وانطلقوا إلى الصلاة، وهم أعظم

(١) الكافي، ج٥، ص٧٥، ح٨، عنه تفسير البرهان للسيِّد هاشم البحراني، ج٥، ص٣٩٦، ح٥؛ الطبرسي في معنى الآية.

أجراً ممَّن يتّجرُ»[١]، ولكن هناك تجارة لها نظام ذكر خاصّ؛ لأنَّ هناك نوع من التجارة يكون لهويّاً ورأسماليّاً، وهناك تجارة فرضيّة مافوية، وبنفس الوقت هناك تجارة ذكر؛ لأنَّ الذِّكر يدخل في كُلِّ شيء فهناك ـ أكلٌ ذكر، وشرب ذكر، نكاح ذكر، وسياحة ذكر، أمَّا أنَّه كيف يصب هذا في الذِّكر وكيف يصبّ الذِّكر في كُلّ هذه القنوات، فهذا معلم آخر يأتي توضيحه[٢].

(١) مجمع البيان للطبرسي، ج٧، ص٢٥٤.

(٢) تفسير أُمومة الولاية والمحكمات، ج٢، ص٢٦٥ ـ ٣٣٩.

الصلاة على محمّد وآل محمّد[1]

من مميِّزات أوصاف النَّبيّ الأكرم ﷺ وأهل بيته عليهم السلام هو أنَّه دائماً ذكرهما مقترن مع ذكر الله تعالى، فإنَّ البعض ـ والعياذ بالله ـ من السلفيَّة والوهابيَّة وأضرابهم أصحاب الأفكار والآراء المُتطرِّفة والناصبيّ العداء لأئمَّة أهل البيت عليهم السلام ولشيعتهم، بل وحتى للصوفيّة وغيرهم، تنطلي عليه شبهةٌ يُثيرها هؤلاء، وهي: لماذا تغرقون في ذكر النَّبيّ ﷺ؟

أوَّلاً: إنَّ القرآن الكريم نصَّ على هذا الاقتران بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

بتقريب: إنَّ القرآن الكريم يريد دائماً وأبداً وفي كُلِّ وقت هذه العبادة، حتى في وقت الصلاة المفروضة في الأوقات الخمسة فإنَّها ـ الصلاة المفروضة ـ وهي ذكر لله، فاذكروا الله ذكراً كثيراً، فلاحظ التطابق بين ذكر الله تعالى وبين ذكر النَّبيّ ﷺ.

وعليه فإنَّ أحد مقامات النُّبوَّة هي مقام ـ إنَّ الله وملائكته يصلون على

---

(١) تفسير أمومة الولاية والمحكمات ج٢ ص٣٣٤.

النَّبيّ يا أيُّها الذين آمنوا صلُّوا عليه وسلِّموا تسليماً ـ مُطلقاً ليلاً ونهاراً في حال الصّحة والسقم، وحال الاحتضار للموت، وأنَّه من الراجح عند احتضار الموت وغرغرة الرُّوح في الحلقوم وأنت يُساقُ بك إلى عالم البرزخ أن تذكر الله، ومن ثم بيَّن أمير المؤمنين عليه السلام أنَّ هذا المقام الذي بيَّنته الآية لسيِّد الأنبياء صلى الله عليه وآله هو أعظمُ من مقام آدم عليه السلام في قوله: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ ﴾ [البقرة: ٣٤].

والرواية هي: الحسن بن أبي الحسن الديلمي في إرشاد القلوب: بإسناده عن موسى بن جعفر عن آبائه عليهم السلام، عن أمير المؤمنين عليه السلام أنَّه قال في جواب اليهودي، الذي سأل عن فضل النَّبيّ صلى الله عليه وآله على سائر الانبياء عليهم السلام فذكر اليهودي أنَّ الله أسجد ملائكته لآدم عليه السلام فقال عليه السلام: «وقد أعطى مُحمَّد صلى الله عليه وآله أفضل من ذلك، وهو أنَّ الله صلَّى عليه، وأمر ملائكته أن يصلّوا عليه، وتعَبَّد جميع خلقه بالصلاة عليه إلى يوم القيامة، فقال جلَّ ثناؤه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦] فلا يُصلِّي عليه أحدٌ في حياته ولا بعد وفاته، إلَّا صلَّى الله عليه بذلك عشراً، وأعطاه من الحسنات عشراً، بكُلِّ صلاة صلَّى عليه، ولا يُصلِّي عليه أحدٌ بعد وفاته، إلَّا وهو يعلم بذلك، ويَردُّ على المصلي السَّلام مثل ذلك، لأنَّ الله جلَّ وعزَّ جعل دعاء أُمَّته فيما يسألون ربَّهم جلَّ ثناؤه، موقوفاً على الإجابة حتى يصلّوا عليه صلى الله عليه وآله، فهذا أكبر وأعظم ممَّا أعطى الله آدم عليه السلام»، ثم ذكر عليه السلام في بيان ما فضَّل الله به أُمَّته صلى الله عليه وآله، ومنها: إنَّ الله جعل لمن صلَّى على نبيّه، عشر حسنات ومحا عنه عشر سيِّئات، وردَّ الله سبحانه عليه صلاته على النَّبيّ صلى الله عليه وآله[1].

(١) مستدرك الوسائل للمحدث النوري قدّس سرُّه، ج٥، ص٣٣٢ ـ ٣٣٣، ح١١/ ٦٠٢٠.

بتقريب: إنَّ الآية والرواية بيّنتا امتياز مقام النَّبيّ الأعظم الخاتم ﷺ من مقام آدم عليه السلام من جهات عدَّة:

الجهة الأولى: أنَّ صلاة الله تعالى وملائكته في أعلى ملكوته، بينما سجود الملائكة لآدم في الأرض، أيّ في سلطان الملكوت مُقررٌ لخاتم الأنبياء، بخلاف سلطان الناسوت الأرضي.

الجهة الثانية: أنَّ في فضيلة النَّبيّ ﷺ المختصَّة قد جعل الله عزَّ وجلَّ شؤون نفسه أوَّل المُصلِّين على نبيّه، وأين هذا من فعل الملائكة، وهو تعظيم لشأن سيِّد الأنبياء ﷺ وما فوقه من تعظيم، وذلك لكونه ﷺ باب أبواب ربِّ العالمين.

الجهة الثالثة: إنَّه جُعلت الصلاة بصيغة الفعل المضارع المستمر (يصلّون)، بينما في السجود لآدم جُعل السجود بصيغة الفعل الماضي والمُنصَرِم والمنقضي (فسجدوا) وغير ذلك من الفوارق، مع أنَّ مقام الخلافة مُقرَّرٌ للنبي ﷺ بالأصالة، ولآدم عليه السلام بالتبع.

ثانياً: هناك نصوص قرآنيَّة أكَّدت ونصَّت على أنَّ النَّبيّ ﷺ مجسِّم الذكر لله تعالى، وكُلّما ذكرت النَّبيّ ﷺ ذكرت الله تعالى، وهكذا كُلَّما صلّيت على النَّبيّ ﷺ فإنَّه ﷺ في تمام وجوده ذكرٌ، وفي تمام وجوده وحيٌ، فإذا ابتعدت عن النَّبيّ ﷺ فإنَّك ابتعدت عن ذكر الله تعالى، وإذا أردت أن تقترب من ذكر الله اقترب من ذكر النَّبيّ ﷺ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ [المنافقون: ٥].

وعليه فإنَّ باب التوبة والأوبة إلى الله تعالى تمامه ذكرٌ ووحيٌ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤].

بتقريب: أنَّ أوّل وأهم شيء يقومون به هو الإتيان إلى النبيّ ﷺ لأنَّ المجيء إلى النَّبيّ ﷺ هو مجيء إلى الله بنصّ القرآن (جاؤوك) فاستغفروا الله بعد ذلك، ثم تأتي شفاعة النَّبيّ ﷺ واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توَّاباً رحيماً فإنَّ النَّبيّ ﷺ تمامه ذكرٌ، والإغراق في ذكر النَّبيّ ﷺ هو إغراقٌ في ذكر الله تعالى وإغراق في وحي الله، ومن ثم قرن الله ذكر النَّبيّ ﷺ بذكره تعالى كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤] الآية.

بتقريب: إنَّه قرن ذكره ﷺ بذكر الله تعالى أينما ذكر الله تعالى.

ثالثاً: الإغراق في آل النَّبيّ ﷺ هو أيضاً إغراقٌ في النَّبيّ ﷺ وبالتالي هو إغراق في الله تعالى، وهؤلاء السلفية يقولون: هو إغراق في الصنمية ـ والعياذ بالله ـ وإغراقٌ في ذكر الحسين عليه السلام، ونحن نقول لهؤلاء: إنَّ الإغراق في ذكر الحسين هو إغراق في ذكر النَّبيّ ﷺ والإغراق في ذكر النَّبيّ ﷺ هو إغراق في ذكر الله تعالى، وإنَّما الصنميَّة في الابتعاد عن ذكر الحسين عليه السلام، وأن تنوء عن ذكر النَّبيّ ﷺ وذكر علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وعليه فمن تمام التوحيد والعبودية أن تداوم على ذكر النَّبيّ ﷺ وآله الأطهار. وأنَّ الصلاة على النَّبيّ وآله هي تهليل وتسبيح وتحميد.

وهناك رواية مضمونها: «إنَّه أُجلس مؤمنٌ من قِبَلَ منكر ونكير، وأرادوا أن يسألوه من ربّك ومن نبيّك ومن إمامك؟ قال: اللَّهمَّ صلِّ على محمَّد وآل محمَّد، قالا ـ الملكان ـ كفى».

بتقريب: أنَّ سؤال منكر ونكير كُلَّهُ في القبر يكتفى بالصلاة على محمَّد وآل محمَّد، وسواء في سكرات الموت أو في البرزخ، أو على الصراط فإنَّه ذكرٌ دائمٌ، وعليه إذا كان الحال كذلك حرم السلفيون وغيرهم أنفسهم من

رحمة الله الواسعة. وأُبلسوا من رحمة الله بنأيهم عن ذكر النَّبيّ ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وبالتالي نـأوا بأنفسهم عن رحمة الله الواسعة، ـ أعاذنا الله وإيَّاكم ـ من هذا الخط والخط الأوكس[1].

(١) المصدر السابق، ص٣٣٤.

دور الصلاة في التكامل الرُّوحي

المحاور: ما هو معنى ما ورد في الأحاديث الشريفة إنَّ «الصلاة معراج المؤمن» هل أنَّ في ذلك إشارة إلى أثر الصلاة في السير والسلوك إلى الله تبارك وتعالى؟

جواب الشيخ السند: بالطبع أنَّ البيان النبوي يقول: إنَّ الصلاة معراج المؤمن بيان لغايات والثمار التي تنتجها الصلاة، وفي الحقيقة أنَّ في الصلاة يتمّ عروج روحي عظيم وكبير وشامخ، وربما لا يستشعره المُصلِّي، نفترض حلم يراه أو أمور بصرية تمرُّ عليه، ولكن هذه الشحنة الرُّوحيَّة والجرعات المعنوية هي تتفتق له في أنحاء من المعارف بأنحاء من الانضباط السلوكي في الإرادة، في الحقيقة هذه كلها من غنائم العروج الرُّوحي الذي يتمّ في الصلاة، أحد مشايخنا العظام رحمة الله عليه وهو الميرزا «هاشم الأريجاني الآملي» من الأساتذة الكبار الذين توفّوا رحمة الله عليه، يقول: «إنَّ هناك عدَّة من كبار أهل المعنى والتقوى والقرب الإلهي قد وصلوا إلى مقامات عبر برنامج الصلاة»، الصلاة المفروض من المكلّف والمؤمن أن يتخذها برنامج وهندسة رقي ويراقب النتائج المستثمرة من هذه الصلاة بلحاظ كل يوم وكل شهر، أو فيما لو وردت بعض الأعداد من ختومات الصلاة مثلاً ليلة القدر مئة ركعة

طبعاً هي من المستحبات، مثلاً النوافل اليومية التي هي أربعة وثلاثون ركعة تنظم إلى الفرائض اليومية السبعة عشر ركعة فتكون ٥١ ركعة والتي هي من علامات المؤمن كما في حديث الإمام الحسن العسكري عليه السلام، من علامات المؤمن خمس منها صلاة ٥١ وهي مثلاً نوافل الظهر الثمانية قبل صلاة الظهر تُسمَّى بصلاة الأوَّابين، وصلاة اللَّيل التي أكَّد عليها كثيراً.

في الحقيقة الصلاة برنامج عظيم ضخم وهو أمان للمؤمن وللمسلم وللمكلَّف وللسالك المُتَّقي عن الزلل، كما ورد التأكيد على ذلك على هذا المعنى أنَّ آخر صلة بين الله وعبده هي الصلاة فإذا قطعها انقطعت، وإذا وصل هذا الحبل خشي منه الشيطان وجنود إبليس، فالواقع الخشية لما يستثمره المُصلِّي من هيئات نوريَّة رادعة عن خروقات الشياطين ووسوستهم وميولاتهم وربما العياذ بالله يسيطرون بها [على شهوة الإنسان وهوى الإنسان وأحاديث خادعة للإنسان] تسقطه في الهاوية، ففي الحقيقة الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر هناك هيئة نفسانية تحدث لدى الإنسان هيئة نورانيَّة تكون بمثابة القوَّة التي تشدّد على إرادة الإنسان في قدرته على مناعته عن المعاصي والمنكرات.

ففوائد الصلاة أمور جمَّة كما يقول أحد أهل المعنى: «متى غنمنا من غنائم الصلاة كي نبحث عن غنائم أو مشاهدات أو مكاشفات أخرى»، ففي الحقيقة الصلاة أمر عظيم جداً نفق ودهليز يطل بالمصلي على عوالم غيبية وعلى فيوضات كثيرة قد لا يتحسَّسها في بداية الطريق المصلي، ولكنَّه إذا أدمن في شأن نتائجها، وكفى بقول الإمام الحسن العسكري عليه السلام: «إنَّ الطريق إلى الله بعيد أو طويل وخير مطية له صلاة الليل»، أكَّد على ذلك الإمام عليه السلام في مضمون الحديث، فالصلاة أمر عظيم على أية حال.

ما خُدم الله بشيء في الأرض بمثل الصلاة، مع أنَّ الله مستغني عن عباده،

ولكن المراد منه أنَّ هذا نوع من الزلفى المؤثرة جداً بالقرب الإلهي الصلاة، فالصلاة أمر عظيم وشأن كبير وفيها يتم الذكر الأكبر، ولذكر الله أكبر، وفَّقنا الله وجميع المؤمنين للتعالي إلى معارج أكثر فأكثر بتوسط الصلاة وبرنامج الصلاة[١].

(١) التشريع والتكليف.

الأدعية والزيارات

سند الأدعية والزيارات:

المحاور: في هجمة عنيفة على معتقداتنا وموروثاتنا والتشكيك فيها من قِبَل السلفيين والنواصب وأخرى من قِبَل بعض من يدّعي التشيُّع، فالشيعي وخصوصاً في بلاد الغربة لا يستطيع مقاومة ذلك أوّلاً: لعدم توفّر المصادر التي يستقي منها معلوماته. وثانيا: لضخامة الهجمة التي تواجهه. خصوصاً وانَّ خطورة الذين يدّعون التشيُّع أكبر من خطورة السلفيين والنواصب. لأنَّ هؤلاء يقومون بين فترة وأخرى بزيارات لهذه البلاد ويحاضرون في الحسينيات والمساجد والمراكز الشيعية أو يأتي من ينوب عنهم ليقوم بدور التشكيك بكُلِّ شيء بلغة شيعية وبروايات عن أئمَّة أهل البيت عليهم السلام، ومن أبرز هذه الإشكالات التشكيك بالزيارات والأدعية، لذا نرجو من سماحتكم توضيح فيما إذا كانت روايات كل من:

١ ـ زيارة عاشوراء. ٢ ـ زيارة الجامعة الكبيرة. ٣ ـ زيارة الناحية المقدَّسة. ٤ ـ زيارة وارث. ٥ ـ دعاء التوسُّل. ٦ ـ دعاء السمات. ٧ ـ دعاء الندبة. ٨ ـ دعاء العهد. ٩ ـ دعاء الفرج.

هل أنَّ مسانيد هذه الزيارات والادعية تصل إلى المعصومين عليهم السلام؟

وهل أنَّ في سندها ضعف؟ نرجو إن أمكنكم التعرُّض لكُلِّ زيارة ودعاء بشكل منفصل وذكر أسانيدها، وهل هناك تواتر أم ضعف في سندها؟

الشيخ السند: قبل الخوض في الإجابة عن السؤال لا بُدَّ أن يلتفت الإخوة إلى النقاط التالية:

الأولى: إنَّ الزيارات والأدعية المدرجة في السؤال لا يقتصر ورود مضمونها على تلك الزيارات والأدعية، فهناك العديد من الزيارات الأخرى والأدعية الأخرى بأسانيد أخرى قريبة المضمون معنى ولفظاً لقطعات من الأولى، كما أنَّ هذه الزيارات والأدعية قد ورد كثير من مضامينها في الروايات الواردة في المعارف، وهي في كثير من طوائفها مستفيضة بل بعضها متواتر معنوي أو إجمالي، وعلى هذا الدغدغة في أسانيد هذه الزيارة أو تلك أو هذا الدُّعاء وذلك تنطوي على عدم إلمام بهذه الحقيقة العلمية المرتبطة بعلم الحديث والرواية.

الثانية: إنَّ الزيارات والأدعية ليست معلماً عبادياً بحتاً، بل هي معلماً علمياً ومعرفياً هاماً للدِّين، فهي عبادة علمية، ومن ثم تنطوي على معارف جمَّة وتكون بمثابة تربية علمية في ثوب العبادة، ومن المعلوم أنَّ أفضل العبادات هي عبادة العالم، والعبادة العلمية أي المندمجة مع العلم، وهكذا الحال في هذه الزيارات والأدعية، وبذلك يتبيَّن أنَّ ما وراء التشكيك والمواجهة للزيارات والأدعية هو تشكيك ومواجهة للمعارف.

الثالثة: إنَّ هذه الزيارات والأدعية كفى بها اعتماداً مواظبة أكابر علماء الطائفة الإمامية على إتيانها في القرون المتلاحقة، وهذا بمجرده كافٍ للبصير بحقانية المذهب وعلمائه في توثيق هذه الزيارات والأدعية.

١ . **أمَّا زيارة عاشوراء**، فقد رواها الشيخ الطوسي شيخ الطائفة في كتابه المعتمد لدى الطائفة الإمامية وعلمائها «مصباح المتهجد».

عن محمد بن إسماعيل بن بزيع الذي هو من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام الأجلَّاء الفقهاء وعيون أصحابه، وطريق الشيخ إلى ابن بزيع صحيح كما ذكر ذلك في الفهرست والتهذيب، والذي يروي الزيارة عن عدَّة طرق عن الإمامين الصادق والباقر عليهما السلام، فقد رواها عن صالح بن عقبة عن أبيه عن الإمام الباقر عليه السلام، وعن سيف بن عميرة عن علقمة بن محمد الحضرمي عن الإمام الباقر عليه السلام وعن سيف بن عميرة الذي هو من الثقات الأجلَّاء، عن صفوان بن مهران الجمَّال والذي هو من الثقات الأجلَّاء المعروف، عن الإمام الصادق عليه السلام، وعن محمد بن خالد الطيالسي. فإسناد الشيخ إليهيا صحيح.

وقد رواها قبل الشيخ الطوسي، شيخ الطائفة ابن قولويه أُستاذ الشيخ المفيد في كتابه المعتمد لدى علماء الإمامية «كامل الزيارات» بإسنادين معتبرين عن كل من محمد بن خالد الطيالسي وابن بزيع عن الجماعة المتقدمة فإسناده صحيح، كما قد رواها الشيخ محمد بن المشهدي في كتابه المعروف «المزار الكبير» وهو من أعلام الطائفة الإمامية في القرن السادس بسنده.

وقد رواها السيد ابن طاووس في كتابه «مصباح الزائر» بإسناده وهو من أعلام القرن السابع.

وقد رواها أيضاً الكفعمي في كتابه «المصباح» وهو من أعلام القرن العاشر.

٢. **أمَّا زيارة الجامعة الكبيرة**، فقد رواها الشيخ الصدوق في كتابه

المشهور «من لا يحضره الفقيه»[١]، و«عيون أخبار الرضا عليه السلام»[٢] بأسانيد فيها المعتبر عن محمد بن إسماعيل البرمكي الثقة الجليل عن موسى بن عمران النخعي وهو قرابة الحسين بن يزيد النوفلي وهو ممَّن وقع كثيراً في طريق رواية المعارف عن الأئمَّة التي أوردها الكليني في أُصول الكافي، والصدوق في كتبه كالتوحيد وإكمال الدِّين والعيون وغيرها، وكُلّها ممَّا اشتمل على دقائق وأُصول معارف مدرسة أهل البيت، فيُستفاد من ذلك علوِّ مقام هذا الراوي، وتوجد لديَّ رسالة مستقلة في أحواله وأساتذته وتلاميذه وتوثيقه وجلالته ليس المقام مجالاً لذكرها.

وقد روى الشيخ الطوسي في كتابه المعتمد «التهذيب»[٣]، هذه الزيارة بإسناده الصحيح عن الصدوق أيضاً.

كما قد روى هذه الزيارة الشيخ محمد بن المشهدي في كتابه المعتمد «المزار الكبير» بإسناده الصحيح عن الصدوق وهو من أعلام الإمامية في القرن السادس.

وقد رواها أيضاً الكفعمي في «البلد الأمين» وكذا المجلسي في «البحار»، ثم إنَّ مضامين هذه الزيارة قد وردت به الروايات المستفيضة والمتواترة عن أهل البيت عليهم السلام الواردة في فضائلهم ومناقبهم، وكذلك في روايات العامة الواردة في فضائلهم فلاحظ وتدبَّر.

٣. أمَّا زيارة الناحية المقدَّسة: فتوجد زيارتان عن الناحية المقدَّسة، الأُولى المذكور فيها التسليم على أسماء الشُّهداء رضوان الله تعالى عليهم وقد

---

(١) من لا يحضره الفقيه، ج٢، ص٣٧٠، ح١٦٢٥.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج٢، ص٢٧٢.

(٣) التهذيب، ج٦، ص٩٥، ح١٧٧.

رواها المفيد في مزاره والشيخ محمد بن المشهدي الذي هو من أعلام القرن السادس بإسناده عن الشيخ الطوسي بإسناده عن وكلاء الناحية المقدَّسة في الغيبة الصغرى، ورواها أيضاً السيِّد ابن طاووس في «مصباح الزائر» وفي «الإقبال»[1]، بإسناده إلى جدِّه الشيخ الطوسي بإسناده إلى الناحية المقدَّسة ورواها في البحار المجلسي.

أمَّا الثانية وهي المعروفة، فقد رواها الشيخ المفيد في مزاره، والشيخ ابن المشهدي في المزار الكبير، والمجلسي في بحاره، والفيض الكاشاني في كتابه «الصحيفة المهدوية» وهي وإن كانت مرسلة الإسناد إلَّا أنَّه اعتمدها كل من الشيخ المفيد وابن المشهدي.

٤. **أمَّا زيارة وارث:** فقد رواها الشيخ الطوسي في «مصباح المتهجد» بسند صحيح عن ابن قضاعة عن أبيه عن جدِّه صفوان بن مهران الجمَّال عن الإمام الصادق عليه السلام فالسند صحيح، وهناك مصادر أخرى اكتفيت بالإشارة إلى أحدها.

٥. **أمَّا دعاء التوسل:** فقد أخرجه العلَّامة المجلسي عن بعض الكتب وقد وصفها بالمعتبرة، وقد روى صاحب ذلك الكتاب الدُّعاء عن الصدوق قدِّس سرُّه وقال: «ما توسلت لأمر من الأمور إلَّا ووجدت أثر الإجابة سريعاً»، ثم إنَّ مضمونه يندرج في عموم قوله تعالى: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[غافر: ٦٠]، وقوله تعالى: ﴿وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥]، وقوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[الشورى: ٢٣]، وقال: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾[سبأ: ٤٧]، وقال: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٥٧]، فبضمّ هذه الآيات إلى بعضها البعض يُعلم

---

(١) الإقبال لابن طاووس، ج٣، ص٨٠؛ بحار الأنوار، ج٩٨، ص٢٧٣ ـ ٢٧٤.

أنَّهم عليهم السلام السبيل والمسلك والوسيلة إلى رضوانه تعالى، بل قد وقفت مؤخراً على أنَّه مقارب مضمون رواية، وإن غاب عنِّي مصدرها في الوقت الراهن.

٦ ـ **أمّا دعاء السمات**: فقد رواه الشيخ الطوسي شيخ الطائفة الإمامية في كتابه المعتمد لدى علماء المذهب «مصباح المتهجد» عن العمري النائب الخاص للحجَّة عليه السلام، وذكر السيِّد ابن طاووس في «جمال الأسبوع» قبل أن يورد الدُّعاء أنَّ الشيخ روى الدُّعاء في مصباحه بروايتين وإسنادين وظاهر كلامه عن نسخة «المصباح» التي لديه إنَّ هذا الدُّعاء معطوف إسناده على الدُّعاء السابق، وقد رواه الشيخ بسند صحيح عالٍ وهو محتمل بحسب النسخ التي لدينا، بل إنَّ ابن طاوس كل نسخة مسندة مصححة لقرب عهده بالشيخ الطوسي الذي هو جدّه قدِّس سرّهما، ومن ثم عبَّر الشيخ عباس القمي قدس سره في «مفاتيح الجنان» عن الدُّعاء أنَّه مروي بإسناد معتبر، وهو كذلك، لأنَّ ابن طاوس أشار أيضاً إلى وجود أسانيد أخرى سيشير إليها في كتبه الأخرى. وكما قال غير واحد قد واظب عليه أكثر علماء السلف.

٧ ـ **أمّا دعاء الندبة والعهد والفرج**: فقد رواها السيِّد ابن طاوس في «مصباح الزائر» عن بعض الأصحاب ورواه قبله ـ بما يزيد على القرن ـ الشيخ ابن المشهدي في كتابه «المزار الكبير» بإسناده عن محمد بن أبي قرة عن محمد بن الحسين البزوفري.

وقد رواه ابن طاوس في «الإقبال» أيضاً ورواه المجلسي في «البحار» و«زاد المعاد» والميرزا النوري في «تحفة الزائر» والفيض الكاشاني في «الصحيفة المهدوية».

المحاور: ما مدى صحة دعاء «**القدح**»؟

الشيخ السند: لم ترد به رواية حسب ما تتبعنا في الكتب المعتبرة.

المحاور: أريد أن أعرف مدى صحة وقوَّة سند كل من زيارة «عاشوراء والزيارة الجامعة» وثانياً كيف نوجّه بعض المقاطع مثل: «لعن الله بني أمية قاطبة» أما يحتمل خروج صالح منهم ولو بعد حين، ومثل: وعبيد الله بن زياد وابن مرجانة أليس ابن مرجانة هو عبيد الله أم (الواو) من تصحيف النساخ؟

الشيخ السند: قد ذكرنا في جواب سابق عدد الطرق والأسانيد لرواية زيارة عاشوراء وأنَّها مجموعها مستفيضة مضافاً إلى اعتبار بعضها، كما ذكرنا اعتبار طريق الزيارة الجامعة من وجهين من ناحية صحة الرواة لها إلى موسى بن عمران النخعي الراوي لها عن الإمام الهادي عليه السلام، كما ذكر ذلك الصدوق في «من لا يحضره الفقيه» أحد الكتب الأربعة، وأنِّي كتبت رسالة مخطوطة في شرح حال موسى بن عمران النخعي الذي هو من أرحام النوفلي الشهير، وهو كثير الرواية في باب المعارف، وقد استخرجت مشايخه وتلاميذه الراوين عنه وموارد رواياته ممَّا يعطي اعتباره ووثاقته.

أمَّا المُراد من «قاطبة» في اللعن فهو للدلالة على أنَّ غالبيتهم ممَّن يستحق اللعن أو للتعميم لمن يكون هواه معهم، فينسب إليهم بلحاظ أنَّ نهجه هو من نهج بني أُميَّة، وإلَّا فإنَّ المؤمن الصالح خارج من اللعن كما أوضح ذلك في رواية، كما هو الحال في خالد بن سعيد بن العاص وأخيه حيث كانا من أنصار أمير المؤمنين في الاعتراض على بيعة السقيفة، أمَّا (الواو) فيمكن أن تكون عاطفة تفسيرية.

المحاور: سؤالنا عن الدُّعاء «**السيفي الصغير**» أو دعاء «**القاموس**» الوارد ذكره في «مفاتيح الجنان» هل بالإمكان أن تتكرموا علينا بأيِّ معلومات عن هذا الدُّعاء وما هي فضائله وعن مَن نُقل؟ وغيرها من الأسئلة المتعلقة بالدُّعاء؟

الشيخ السند:

١. قال المحدّث النوري في الصحيفة الثانية العلوية: «إنَّ لهذا الدُّعاء ـ السيفي الصغير ـ في كلمات أرباب الطلسمات والتسخيرات شرح غريب وقد ذكروا له آثاراً عجيبة ولم أروِ ما ذكروه لعدم اعتمادي عليه» أي على ما ذكروه من روايته من طرقهم ـ ولكن أورد أصل الدُّعاء تسامحاً في أدلَّة السُّنن وتأسياً بالعلماء الأعلام.

ويتحصَّل من كلامه عدم ورود الدُّعاء في الكتب المعتبرة المعتمدة، إلَّا أنَّ الأمر في الدُّعاء سهل لعموم أمره تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[غافر: ٦٠]، نعم حيث إنَّ الدُّعاء في مذهب أهل البيت عليهم السلام مدرسة لتعليم المعارف الدِّينيَّة والآداب والأحكام الشرعية كان الراجح التوخّي الصحيح من الدُّعاء المأثور عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام أو المذكور في القرآن الكريم، مضافاً إلى أنَّ للأدعية والأسماء الإلهية والتركيبات في الأذكار خواص لا يطلع عليها بتمامها إلَّا المعصومين عليهم السلام، نعم لا بأس ولا حرج شرعاً في الإتيان بسائر الأدعية غير الواصلة عبر الكتب والمصادر المعتبرة، من باب قاعدة «من بلغه ثواب عمل فعمله رجاء ذلك الثواب كُتب له ذلك».

٢. ومنه يظهر الحال في دعاء القاموس.

المحاور: ورد في زيارة أُمّ القائم عليها السلام في «مفاتيح الجنان»: (السلام عليكِ أيّتها المنعوتة في الإنجيل، المخطوبة من روح الله الأمين ومن رغب في وصلتها محمَّد سيِّد المرسلين والمستودعة أسرار ربّ العالمين)، ما معنى هذه العبارات ولماذا رغب الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله في وصلتها عليها السلام؟ وما مدى موثوقية الزيارات والأدعية الواردة في كتاب مفاتيح الجنان؟

الشيخ السند: لا يخفى أنَّ نرجس خاتون عليها السلام هي من نسل وصي النبي

عيسى عليه السلام وقد قام النَّبي صلى الله عليه وآله بخطبتها في عالم البرزخ والأرواح من وصي النبي عيسى عليه السلام بتوسط النبي عيسى عليه السلام في قصة يطول سردها. ذكرها الشيخ الطوسي والنعماني في كتابيهما «الغيبة»، والشيخ الصدوق في «إكمال الدِّين» وروح الله إشارة إلى النبي عيسى عليه السلام، واستيداعها أسرار ربّ العالمين هو حملها للإمام المنتظر الموعود به في كُلِّ الكتب السَّماويَّة والذي يظهر الله به الدِّين كُلّه على أرجاء تمام الأرض ولو كره المشركون، ولا يخفى أنَّ أُمَّهات الأئمَّة عليهم السلام كُلهن مطهرات مصطفيات لحمل نطفهم عليهم السلام.

وأمَّا كتاب «مفاتيح الجنان» فيكفي أنَّ مراجع الطائفة يعتمدونه في أعمالهم المستحبة وزياراتهم كما هو منقول معروف، مضافاً إلى أنَّه يدمن ذكر المصادر التي ينقل منها الأدعية والزيارات من الكتب الشهيرة القديمة لدى علماء الإمامية.

المحاور: إنَّ زيارة الناحية المقدَّسة للإمام أبي عبد الله الحسين (روحي فداه) موضوعة لورود مسألة نشر شعورهن أمام الرجال الأجانب وأعداء أهل البيت عليهم الصلاة والسلام وهذا أمر لا يصدر من أهل بيت الحسين عليهم السلام، فما هي إجابتكم؟

الشيخ السند:

أوَّلاً: هذه الزيارة وإن لم تكن متصلة النسد إلى الناحية المقدَّسة إلَّا أنَّ جملة من مضامينها ليس إلَّا تصويراً حقيقياً لهول الفظائع والفجائع التي ارتكبها القوم في هتك حرمة آل المصطفى (صلوات الله عليهم)، فالمفروض على صاحب الاعتراض المزكور بدل أن ينظر بعين واحدة، فلينظر بعين ثانية إلى جريمة قتلة سبط النبي صلى الله عليه وآله، فإنَّهم أخذوا عيالات النبي صلى الله عليه وآله وبناته أُسارى سبايا من بلد إلى بلد يتصفح وجوههن الأعداء، فهل راعوا حرمة

رسول الله ﷺ في ذلك؟ وهل يتوقع صاحب الاعتراض ذو الوجدان النابض بالحسّ الدِّيني أنَّ سبي معسكر الحسين عليه السلام والغارة على خيمه كان بالمشاعر المفعمة بالإنسانية والالتزام بالإسلام؟! إذا كان من شيمة قتلة الحسين عليه السلام أن وطأوا الخيل صدره الشريف بعد أن قتلوه، فماذا يتوقع هذا المعترض الذي يريد أن يبيِّض قتلة ريحانة النبي ﷺ من حيث يبصر أو لا يبصر، فماذا يتوقع من هؤلاء الجناة الجفاة في تعاملهم في سبي حرم الحسين عليه السلام، هل أبقوا لهم خدراً وجلباباً أو خماراً؟ فالمعترض يسند الفعل إلى أهل بيت سيِّد الشُّهداء، ولا يسند الجريمة إلى معسكربني أُميَّة وابن زياد وعمر بن سعد.

ثانياً: إنَّ معنى نشر الشعر لدى نساء العرب ليس كشف الشعر، بل هو هدله بدون فتله جمة أو قصة أو جدايل فلا يكون زينة للمرأة، فهدل الشعر وإرساله تحت الخمار والجلباب هيئة للمرأة ذات المصاب.

المحاور: أرجو من سماحتكم التكرُّم بإعطائي أو إرشادي إلى الأسانيد الصحيحة والمعتبرة لزيارة «عاشوراء»؟

الشيخ السند:

أوّلاً: ما ذكره الشيخ الطوسي في كتابه مصباح المتهجد بسنده الصحيح طبق ما ذكره في المشيخة والفهرست إلى محمد بن إسماعيل بن بزيع وهو من أجلَّاء وكبار أصحاب الإمام الرضا عليه السلام عن صالح بن عقبة عن أبيه عن الإمام الباقر عليه السلام وصالح بن عقبة بن قيس بن سمعان بن أبي ربيعة ويمكن الوصول إلى وثاقته بعد كونه إمامياً، حيث إنَّ النجاشي ذكر أنَّ كتابه رواه عنه جماعة منهم محمد بن إسماعيل بن بزيع، وهذا مؤشر إلى اعتماد ابن بزيع عليه، وكذلك يروي عنه يونس بن عبد الرحمن، وهو من أصحاب الإجماع الكبار،

وكذلك يروي عنه محمد بن سنان ويروي عنه أحمد بن محمد بن عيسى الأشعري بواسطة، وكذلك محمد بن عيسى وغيرهم من الثقات الأجلَّاء.

ثانياً: ما رواه الشيخ أيضاً في المصباح بنفس السند السابق عن صالح بن عقبة عن علقمة بن محمد الحضرمي عن الإمام الباقر عليه السلام، وعلقمة بن محمد الحضرمي أخي أبي بكر الحضرمي عبد الله بن محمد الكوفي، وقد ذكر بعض الرجاليين نفاذ بصيرة الأخوين في الاعتقاد وحسن حالهما، بل إنَّ أبا بكر الحضرمي ممَّن يوثق لكثرة رواية الكبار الأجلَّاء عنه ومتانة ما يرويه.

ثالثاً: ما رواه الشيخ في المصباح بنفس السند السابق عن سيف بن عميرة (الثقة) عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام.

وروى سيف بن عمير عن صفوان بن مهران الجمَّال (الثقة) عن علقمة بن محمد الحضرمي عن الإمام الباقر عليه السلام.

رابعاً: ما رواه الشيخ في المصباح أيضاً بسند صحيح عن محمد بن خالد الخيالي: ـ الذي حسَّن حاله جملة من الرجاليين وقد يوثق على بعض المباني كما هو الصحيح ـ، عن سيف بن عميرة (الثقة) عن أبي عبد الله عليه السلام.

وروى سيف بن عمير عن صفوان بن مهران الجمَّال (الثقة) عن الإمام الصادق عليه السلام، هذا وقد أورد ابن قولويه في «كامل الزيارة» الزيادة بطرقه أيضاً المنتهية إلى الرواة المتقدمين، إلَّا أنَّه زاد سنداً خامساً.

خامساً: ما اختصَّ به ابن قولويه بإسناده عن محمد بن إسماعيل عن صالح بن عقبة عن مالك الجهني عن الإمام الباقر عليه السلام، وهذا المقدار جملة من الطرق، وهناك كتب لم يتم فحصها كمزار المفيد وغيره، ومع ذلك فنرى

أنَّ الطرق مستفيضة، وقليل من الزيارات التي وريت بهذا القدر من تعدُّد الطرق، مع أنَّ في بعض طبقات الطريق هناك استفاضة عالية جداً.

المحاور: ما معنى (الأعـراف) الـواردة في دعاء القنوت: (يا خفي الألطاف، يا ولي الأعراف...)؟

الشيخ السند: على تقدير ورود اللفظة في الدُّعاء فإنَّه يحتمل أن يكون بمعنى المجازي، أي يا ولي الجزاء، ويحتمل معنى أهل الجنَّة والنار أي ولي وصاحب الجنَّة والنار، ويحتمل معناه المقرِّين بالذُّنوب ويحتمل الطيّب والبركة.

المحاور: ما هي شروط استجابة الدُّعاء؟

الشيخ السند: هناك جملة شروط، منها: الاستغفار من الذُّنوب، وأداء الطاعات، وانقطاع الأمل عن ما سواه تعالى.

المحاور: هل إنَّ الأوامر المقدور عليها تحتاج إلى دعاء؟

الشيخ السند: نعم، لأنَّ القدرة منه تعالى، لا تكفي لإنجاز الشيء حتى تتوافق الظروف والأسباب وتنتفي الموانع، وليكون العبد يعيش حالة خضوع لربّه تمثل حقيقة واقع العبد[١].

---

(١) خلاصة معرفية، ص٢٢٩ ـ ٣٣٩.

علم العدد

المحاور: إنَّ الله خلق سبع سماوات وسبعة أراضين ونطوف حول الكعبة سبع مرَّات ونسعى بين الصفا والمروة سبع مرَّات ونرمي سبع جمرات، السؤال: ما هو السرُّ الإلهي في العدد سبعة؟

الشيخ السند: قال بعض علماء الرياضيات إنَّ الكون والخلقة الإلهيَّة كلها قائمة على الحساب العددي والمعادلات العددية المقدارية، كما أنَّ علوماً عديدة مرتبطة بالرُّوحانيَّات كعلم الجفر والتنجيم والحروف وغيرها قائمة على حساب العدد، ومثل العدد سبعة، العدد اثنا عشر، والعدد أربعين[١].

(١) المصدر نفسه، ص٢٦٣.

النيابة في الأعمال

المحاور: ما يقوم به الإنسان من أعمال خير يهديها إلى الموتى من صالحي المؤمنين عموماً أو من أرحامه، هل يمكن أن تهدى هذه الأعمال لأكثر من شخص واحد، وهل تنفع هذه الأعمال في رفع درجات الموتى المؤمنين أم أنَّها ترفع عنهم بعض العذاب أو تزيد في نعيمهم فقط؟

الشيخ السند: نعم قد وردت النصوص الشرعية الكثيرة عن النبي وأهل بيته عليهم السلام أنَّه يسوغ إهداء الثواب لأكثر من ميت، ولو أهداها لجميع المؤمنين الأولين والآخرين لصحَّ ذلك.

المحاور: يعني تصلهم بنسب متساوية؟

الشيخ السند: هذا يعود طبعاً لفضل الله الكريم ونيَّة العامل في عمله، بل إنَّه قد ورد عمَّا يزيد في ذلك في النيابة في الموارد المشروعة كالحج مثلاً لأنَّ إهداء الثواب تختلف صيغته الفقهية والكلامية عن النيابة، النيابة ليس فقط إهداء ثواب بل ذات العمل من الأصل يكون بنية تنزيل صدوره عن الميت، فورد أنَّه في الحج النيابي هو أن يستنيب عن ميت أو اثنين أو ثلاثة أو أكثر أو عموم المؤمنين، أقول: المؤمنين من محبي أهل البيت عليهم السلام فهذا إذاً سائغ.

والحاصل أنَّ النيابة في العبادات أمر غير إهداء الثواب، وإهداء الثواب صيغته أسهل مؤونة وأخف وطأة وسائغ لكُلِّ عدد.

وتحضرني لفتة من أحد أهل المعنى يقول بين أحد المؤمنين والمؤمن الآخر دين من الحقوق الأخوية الذي كان الأخ الآخر مكبَّل بها، هذا الأخ الآخر المديون لتلك الحقوق التي ربما ما راعاها لأخيه المؤمن، كان يطوف في البيت الحرام نيابة عن شيعة أمير المؤمنين عليه السلام، فسبحان الله هذا الأخ الآخر رأى فيما يرى الرائي، إنَّه هناك شخص نوراني يتصرّف في إرادته وفي قلبه من حيث لا يريد عفا عن ذلك الأخ المؤمن، ولمّا رجع من سفر الحج أخبره بذلك، قال له: كنت حينها أطوف نيابة عن شيعة أمير المؤمنين عليه السلام[١].

(١) عوالم الإنسان، ص٧٢.

رؤية الميت

المحاور: يسأل البعض أنَّه أرغب كثيراً أن أرى والدي في المنام في رؤيا صادقة، وقد دعوت الله مراراً ولكنِّي لم أُوفّق لذلك رغم أنَّهما كانا من الصالحين، فما هو سِّر ذلك؟

الشيخ السند: هناك بعض الروايات قد وردت ذكرها المحدث الشيخ عباس القمي (رحمة الله عليه) في مفاتيح الجنان: «عن الكفعمي في المصباح والمحدث الفيض، في خلاصة الأذكار، وجدت في بعض كتب الإمامية أنَّ من أراد أن يرى في منامه أحد الأنبياء والأئمَّة عليهم السلام أو أحد الناس أو والديه فليقرأ: سورة الشمس والليل والقدر وسورة الكافرون وسورة الأخلاص والمعوذتين، ثم يقرأ سورة الإخلاص مائة مرة، ويصلي على النبي وآله مائة مرة، ولينم على وضوء، وعلى جانبه الأيمن، فإنَّه يرى في المنام من شاء إن شاء الله، ويتكلم معه إن شاء الله، ما شاء»، ووجدت في نسخة أخرى أنَّه يعمل ما ذكر سبع ليالي بعدما يدعو بهذا الدُّعاء:

«اللَّهمَّ أنت الحيّ الذي لا يوصف، والإيمان يعرف منه، منك بدت الأشياء وإليك تعود، فما أقبل منها كنت ملجأه ومنجاه، وما أدبر منها لم يكن له ملجأ ولا منجىً منك إلَّا إليك، فأسألك بلا إله إلَّا أنت وأسألك ببسم الله

الرحمن الرحيم، وبحقِّ حبيبك محمَّد ﷺ سيِّد النبيين، وبحقِّ علي خير الوصيين، وبحقِّ فاطمة سيِّدة نساء العالمين، وبحقِّ الحسن والحسين الذين جعلتهما سيِّدي شباب أهل الجنَّة عليهم أجمعين السلام، أن تصلي على محمد وآل محمد، وأن تُريني ميتي في الحال التي هو فيها»[(١)].

ولا بُدَّ من التنويه بنقطة يجدر الالتفات إليها، وهي أنَّ الرؤيا الصادقة فضلاً عن أقسام الرؤيا الأخرى لا يُعوّل عليها كمنبع ومصدر شرعي يُستند إليه ولا حجَّة شرعية، وإنَّما الرؤيا الصادقة كما ورد في الروايات دورها كمنبّه إلى تطبيق نفس الموازين التي يتلقاها الإنسان من الكتاب وسُنَّة المعصومين، وعلى ضوء الكتاب وسُنَّة النبي وأهل بيته عليهم السلام يستهدي الإنسان في طريقه، والرؤيا تنبهه إلى البيئات الموضوعية التي ربما يكون غافل عنها، سيتنبه إلى آليات وأدوات هي في نفسها حجَّة شرعية يلتفت إلى الموضوع المناسب والحجَّة المناسبة، فإنَّ الرؤيا مؤدَّاها فقط تنبيه، وهذا لا بُدَّ للأخوة المؤمنين أن يلتفتوا إليه[(٢)].

---

(١) مفاتيح الجنان، ص٤٨٤، الباقيات الصالحات.

(٢) المصدر نفسه، ص٧٧.

الاسم الأعظم

إنَّ المتحصِّل من الروايات في معنى اسم (الله) واسم (الرحمن) وإن لم يكن نافٍ للعملية، إلَّا أنَّ كون اسم الجلالة علم لا ينفي أنَّه في أصل الوضع ملحوظ فيه المعنى الاشتقاقي، فاسم الجلالة وإن فرض في أوَّل وضعه أنَّه علم للذات الجامعة لجميع الكمالات، إلَّا أنَّ ذلك لا يستلزم عدم المعنى الوصفي في اللفظ دعاء الإمام علي عليه السلام «وبالاسم الذي شققت منه».

وعلى ضوء هذه الإشارة، بل اللطيفة الرقيقة يتنبَّه إلى ملاحظة المعنى الوصفي في هذا الاسم الشريف، مضافاً إلى معنى العملية، كما أنَّه على ذلك لا يتقرَّر ممَّا هو عند كثير من الباحثين في علم الأسماء من أنَّ هذا الاسم الشريف هو أعظم الأسماء الإلهية. فإنَّ رتبة هذا الاسم الشريف كانت في الطبقة الأولى من الأسماء، إلَّا أنَّ اسم (هو) ونحوه أعلى مرتبة، كما سيأتي في الروايات الآتية في البحث المعرفي، وكذلك الحال في اسم (الرحمن)، فإنَّه وإن بني فيه على العملية، إلَّا أنَّ ذلك لا ينفي المعنى الوصفي في الاسم، بل سيتّضح ممَّا سيأتي أنَّ هذا الاسم الشريف متفرّع رتبة على اسم الجلالة أو الله[1].

---

(١) تفسير ملاحم المحكمات، ص٣٦.

حوار

المحاور: ماهي التجربة العملية لتحصيل حالة الخشوع في الصلاة؟

الشيخ السند: استحضار مواقع الضعف في النفس، وما فيها من التقصير والذُّنوب،.. وتذكر نعم الله تعالى وقدرته... وهذا هو مفاد الروايات الشريفة.

المحاور: ما هي خلاصة تجربتكم في الحياة؟

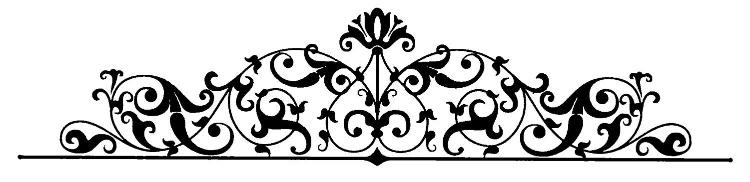
الشيخ السند: الإدمان على قراءة روايات العقائد... فهذا عمل مهم في الارتقاء الرُّوحي للإنسان.

المحاور: هل التساؤل عن الغوامض والأسرار ممدوح؟

الشيخ السند: نعم، وما ورد من النهي عن المعرفة هو خاص ببعض الأشخاص الذين لا عمق لديهم.. كمن هو في مرحلة الابتدائية، فلا يصلح أن يتعرف على المراحل الثانوية لعدم استيعابه.

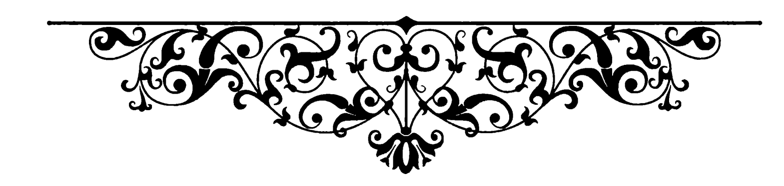
المحاور: ما هي الحكمة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها للناس؟

الشيخ السند: الحكمة تنزل الكليات إلى الاتقان في التطبيق... وبتعبير آخر: تدبير تطبيق الكليات على المصاديق.



الفصل الثالث

معرفة النفس



معرفة النفس

المحاور: ما هي ملامح أو علامات الرؤية الشاملة للنفس (أي متى يمكن للإنسان أن يقول: إنَّ لديه رؤية شاملة حول نفسه)؟

الشيخ السند: قد ورد في القرآن الكريم: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡ﴾ [الحشر: ١٩]، أي أنَّ ذكر الله بذكر أحوال النفس كما ورد مستفيضاً عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام أنَّ: «من عرف نفسه فقد عرف ربّه»[١].

ومعرفة النفس لا تتيسر إلَّا بتهذيب النفس وتزكيتها وتطهيرها من رذائل الأخلاق الذي هو الجهاد الأكبر كما في الحديث النبوي، ثم تحليتها بالعلوم النافعة، وباب أبواب رياضة النفس ومراقبتها وهو المعبّر عنه بالمحاسبة، ولكن يقظة برج المراقبة في الإنسان يطلعه على كثير من زوايا وبيوتات قوى النفس، كما أنَّ كثرة قراءة الكتب الأخلاقية يطلع الفرد على كثير من الأمراض النفسانية وطريقة علاجها، ولا سيَّما مراجعة أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام مثل كتاب «العِشرة» في كتاب الكافي و«باب العشرة» و«جهاد النفس» في كتاب الوسائل للحر

---

(١) البحار، ج٢، ص٣٢، باب ٩، ح٢٢؛ تفسير الآلوسي، ج١، ص١٤٨.

العاملي وغيرها من الكتب، هذا بعد تقيُّد الفرد بالحلال وتجنُّب الحرام والمعاصي.

وقالوا: إنَّ في النفس مفاتيح لكنوز كثيرة وطاقات وقدرات خارقة لا تظهر إلَّا بمخالفة الهوى والشهوة والغضب والرذائل: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩ ـ ١٠].

الفرق بين الروح والنفس:

المحاور: ما الفرق بين الرُّوح والنفس البشرية؟

الشيخ السند: الرُّوح والنفس قد يطلق ويستعمل كل منهما بمعنى، وفي موضع الآخر، وفي كثير من الموارد كما في الآيات والروايات يستعملان بمعنى متغاير، فالنفس تُطلق على القوى والغرائز النازلة في ذات الإنسان، بينما الرُّوح تطلق على القوى العالية في ذاته، كما أنَّ النفس تُطلق على ذات الإنسان ما دامت متعلقة بالبدن، بخلاف الرُّوح فإنَّها أعم من فترة حياة البدن ومماته، كما أنَّ الرُّوح تُطلق على الأرواح الكلية غير المتعلقة بالمادة والأبدان بخلاف النفس، وإن كان الفلاسفة قد يمزجون في الاستعمال في هذا المقام، كما أنَّ النفس تُبيِّن الجانب التعلُّقي من ذات الإنسان بالبدن بخلاف الرُّوح فإنَّها تُبيِّن جانب الاستقلال في تذوّت ذات الإنسان بعيداً عن البدن، كما أنَّ الرُّوح تطلق على المخلوق والمبدع من عالم الملكوت وعالم الأمر الذي يُعبّر عنه عند الفلاسفة بعالم العقل، بخلاف النفس فإنَّها بلحاظ الجانب التعلُّقي بالبدن والمادة، وبعبارة أخرى إنَّ الرُّوح تُبيِّن جانب الهيمنة والسعة في الذات الملكوتية بخلاف النفس فإنَّها تُبيِّن جانب الضيق والجزئية في الذوات.

أهمية العقائد في السلوك العملي:

المحاور: هل يجوز القول: بأنَّ الناس فئتان، فئة محبوبة من الناس حتى لو لم تعمل خيراً، وفئة غير محبوبة من الناس حتى لو عملت جميع الأعمال الصالحة؟

الشيخ السند: الاعتقاد الحق من أعظم الأعمال، وبقية الفروع هي دونه في المرتبة، والسبب في ذلك: أنَّ الاعتقاد لا محالة يجنّد صاحب الاعتقاد في السلوك العملي والسياسي والاجتماعي في تيار جماعة الحق والهدى وإن كان الفرد الذي يعتقد الحق قد يكون مرتكباً للمعاصي الفردية فيما بينه وبين باريه تعالى ولكنَّه يطيعه في أحبّ الأشياء له[١].

(١) خلاصة معرفية، ص٢١٢ ـ ٢١٤.

الإخلاص والنيَّة

في تعليقه على قصة «تبوك» وبقاء الإمام علي عليه السلام في المدينة بأمر من رسول الله صلى الله عليه وآله قال حفظه الله:

«إنَّ بعض أهل المعنى يفسّرون الخلوص بهذه الطريقة، أي أحد معالم الخلوص أن يبادر الإنسان إلى عمل ليس فيه رغبة منه أو من الآخرين ولكن لرؤيته أنَّ ذلك العمل ضروري ولا بُدَّ منه، فمن ثم يبادر إليه، وواضح في خلوصه لأنَّه لم يكن المُحرّك هو الغريزة أو ميول طبعيه وإنَّما المُحرّك هو صرف كونه وظيفية ومسؤولية، فهناك الخلوص يكون أكثر، باعتبار أنَّه ليس هناك نوازع ودوافع ذاتية»[1].

محاسبة النفس وخطرات الشيطان:

الإنسان أخطر وأخطر من إعادة تشغيل الحاسوب وتصفيته، أصلاً (محاسبة الإنسان لنفسه ليس محاسبة أعمال أكثر ممَّا هي محاسبة قناعات وخواطر وأفكار، وهي ندوة فكرية يعقدها الإنسان دائماً مع نفسه، في مجالات عديدة وأكثر ممَّا هي محاسبة قناعات وخواطر ممَّا هي محاكمة

(١) بحوث حول نبوة سيِّد الأنبياء صلى الله عليه وآله، ص٢٤٦.

ومجابهة، إذا كان هذا الجهاز في الإنسان وهو جهاز محاسبة الأفكار، محاسبة الذاكرة، محاسبة الخواطر النوايا، يحاسبها أي يوزنها، إذا كان الإنسان فاعل بحيوية لترشيد نفسه، أما إذا كان الإنسان متغافل عن ذلك فيجيء لك في أنترنت المعلومات الفكرية ويدخلون لك ببرامج تحرق الذاكرة كصور الفاحشة وغير ذلك قضايا تؤدِّي إلى حرق كل البرامج التي عندك، الشياطين والجن هكذا يصنعون في البريد الألكتروني في الإنسان، حتى في النوم وفي الرؤيا التي يريك إيَّاها فيها قناعات خاطئة، ربما يستغيظك ويختزن فيك عداوة على أخيك أو على زوجتك أو على ابنك أو على رحمك أو على قريبك أو على صديقك، حتى في حلم المنام يخزن فيك معلومات خاطئة، أنت إذا قمت في الصباح ولم تشغل برنامج ضد الفيروسات مرة واحدة تحدث لك حالة نفرة من الطرف الآخر، وقد ذكرنا سابقاً بحث السحر وبحث العزائم وهذه الأمور الغريبة والجن والشياطين وغيرها كلها في الواقع ترتبط بالأفكار. فيقول: أنا مسحور أوأنا مضروب بعين، وأنا محسود أو أنا.. أنا... وليكن جهاز التحكم في نفسك من قبل إرادتك ومراقبة ذاتك للأفكار والحالات، لا من قبل الآخرين ولا من قبل أي واحد؟! بل من قبل أفكارك خواطرك نواياك، إذا أصبح لديك قدرة تحكم وقدرة فاحص وبرنامج فحص للأفكار والخواطر لا يستطيع أحد أن يؤثر فيك أو يؤثر عليك.

كما أنَّ هناك عملية اختيار لضغط الدم فكذلك الفحص للنفس، إذا أردت أن تفحص كثير من الأمور في ملفات عقل الإنسان أو في روح الإنسان أو في قلب الإنسان هذه الملفات موجودة ومخزونة في ملفات الخواطر والأفكار، حينما يصدر منك فعل معيَّن تقول: كيف صدر منِّي هذا الفعل؟ هو في الواقع العجب ليس من صدور ذلك الفعل، بل العجيب من عدم التفات

الإنسان وفحصه عن هذا الملف في خزانة نفسه الذي أولد هذا الفعل. هذا الملف ماذا به من أفكار ماذا به من خواطر.

إذا استطاع الإنسان أن يفحص الفيروس الموجود في هذه الخواطر والأفكار المخزونة في الملفات؛ في ذهنه؛ في أعماق نفسه، وفي قلبه حينئذٍ يصل إلى المعالجة، ودوماً هي بالأفكار لحالات النفس، ودوماً بأن تكسر قناعات النفس الخاطئة إلى قناعة أخرى صائبة تزيل وتبيد الإذعان والتمسك والتشدد بفكرة معيَّنة خاطئة تصدم النفس، مثل الفرس التي لا تُروّض، تجمح دائماً وتتمرَّد وتمسكها لتقول لها لا خطأ، لا تجزمين ولا تتمسكين ولا تتشددين في هذه القناعة الخاطئة.

هي كالدابة، ولا يخفى أنَّ النساء أيضاً لهم نفوس كالرجال؛ فالنفس كالدابة الطائشة، القناعات هي التي تُسيّر الإنسان، والخواطر والأفكار هي التي تولّد القناعات، فبالحوار العقلي مع النفس تكرر الخطاب معها إلى أن تكسر قناعتها الخاطئة، وإذا استطعت أن تكسر قناعتها الخاطئة سوف تكبحها وتسيطر عليها وتروضها بيسر.

أنت عندما تخاصم واحد آخر تحسّ أنَّ عنده فكرة خاطئة، قناعته بشكل آخر لا بُدَّ أن تزلزلها باستدلال وببرهان وببيان بليونة وبعذوبة إلى أن يلين من تشدده في القناعة الخاطئة، النفس هكذا لا بُدَّ أن تحادثها وتخاطبها وتراوغها وتأخذ وتعطي معها حتى بالكاد تتنازل عن قناعتها وعن تشددها وإلَّا هي دائماً متمسكة وتقول: لي وأنّي وكذا.. وهلمّ جرّا[١].

---

(١) النيات والخواطر، ص٩٣.

تأديب النفس

لِمَ الإنسان يطلب من الله التأديب بالعقوبة؟

الإنسان يمكن أن يؤدّب نفسه بطريقة أخرى، (وأدِّب اللَّهمَّ نزق الخرق منِّي) الأدب الذي يطلبه أمير المؤمنين ماذا؟ هل بالعقوبة؟ كلا.. قال: (وأدِّب اللَّهمَّ نزق الخرق منِّي بأزّمة القنوع) بإصلاح الخواطر، يعني بإصلاح الأفكار بإصلاح النوايا، هذا التأديب جيد ونافع كثيراً، ولا بُدَّ ندعوا الله عزَّ وجلَّ دائماً ونطلب صدق النيَّة وإخلاص النيَّة وحسن السريرة ﴿فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى﴾ [طه: ٧]، إذن هذا رأس مال خطير، المهم أصله في سريرة نفسه وخاطرته، هذا طريق سليم ووقائي ليس فيه مهالك، سهل عجيب بالأفكار فقط ومجاني لا تحتاج إلى أي مؤونة ولا تحتاج إلى مكابدة بدنية وجهد نفساني في الغرائز.

هذه التي نستسهلها ونحن نستصغرها هي أخطر شيء، هي قدرة التحكم في مصير الإنسان المستقبلي في العوالم الأخرى (تفكُّر ساعة خير من عبادة سبعين سنة)(١)، أنت حتى لو تريد أن تروّض عضلاتك وبدنك على العبادات، وبطنك على الصوم، وبدنك على الحج وغيره وغيره هو لأجل إصلاح الأفكار، يعني الأفكار التي هي تصدر الأعمال.

فالذي لديه برنامج مهم فاحص في الكمبيوتر، برنامج متفحص يفحص عن الفيروس يفحص عن البرامج ويفحص عن اشياء أخرى إذا صار عند الإنسان برنامج فاحص في أفكاره وقناعته حينئذٍ يؤدّب بطريقة جداً سليمة وسالمة.

أما إذا يُـؤدّب الإنسان بالعقوبة ـ الله هو المعين إذا كانت العقوبة

---

(١) رياض السالكين، ج٣، ص٥٨٨.

أخروية ـ يوجد من يؤدب بالعقوبة الأخروية وينجو من النار فيما بعد أحقاب. الناجين من النار يعني يتأدبون بها مدة من المكوث المرير فيها، وبعبارة أخرى مرضهم الذي حصل لهم بالأعمال السيئة لا يشفون منه إلَّا بذلك ويخرجون من النار، لكن عولجوا بماذا؟ أُدِّبوا بماذا؟. بالعقوبة الأخروية ـ أعوذ بالله ـ. حتى العقوبة الدنيوية إذا استطاع الإنسان أن لا يكون برنامج الله معه التأديب يتوسط العقوبة الدنيوية فهذا الإنسان ذو حظ عظيم، أدب بماذا؟

بالأفكار بالخواطر: (وأدِّب اللَّهمَّ نزق الخرق منِّي بأزمة القنوع) أما: (إلهي لا تؤدبني بعقوبتك) فالحيوان الذي ليس لديه تفكير يُروّض ويؤدّب بالضرب؛ أما الإنسان المفروض أنَّه في القمّة، فالميزة المهمة الممتاز فيها الإنسان عن بقية الكائنات هو التفكير أو عقله، ولذلك فإنَّ قدرة التحكم في الإنسان هي هذه النوايا والخواطر، وهو أمر جداً مهم[1].

ترويض النفس:

السؤال:

الرسول وأهل البيت عليهم السلام أمروا بأن تُحمّل النفس على النوافل إذا أقبلت، وعلى الفرائض إذا أدبرت.

فإذا نفس إنسان ما دائماً مدبرة أو أغلب الأوقات مدبرة وقليلاً ما مقبلة فهل يبقى فقط على الواجبات أم يجبرها على التنفل؟ أم يؤدِّي ذلك إلى ضرر نفسي أو نفور؟ كيف العمل وهو يخاف ويرجو الآخرة والدُّنيا أي عين على الدُّنيا ومتاعها وأخرى على الآخرة ودرجاتها؟

---

(١) المصدر نفسه، ص٨٩.

الجواب: ينبغي الترويض برفق وتدريج على النوافل من دون الاندفاع بقسرية، والإنسان مجبول على العادة، فكلَّما عوّد نفسه ولو ببطأ يسهل عليه العمل، ولو بتطميع النفس بتعويضها بما هو حلال ترغب فيه.

المعصية والتوبة

المحاور: هل أنَّ مغفرة الذنب تشمل إزالة الآثار التكوينية للذنب كما هو الحال في شرب الخمر مثلاً ـ والعياذ بالله ـ تزول آثاره التكوينية بمغفرة الله تبارك وتعالى أم لا؟

الشيخ السند: إزالة التوبة للآثار التكوينية للذنب يظهر من الأدلة والآيات أنَّها بحسب درجة التوبة ودرجة الاستقامة على التوبة ودرجة التعالي في الكمال بعد ذلك على حسب درجة التوبة...

المحاور: حبذا لو تكون الإجابة من خلال مثال توضيحي في صدق التوبة، هل المقصود منها التوبة النصوح أم أنَّ التائب يطلب من الله تبارك وتعالى أن يزيل آثار ذنوبه السابقة أم شيء آخر؟

الشيخ السند: التوبة هي من الرجوع، والرجوع إلى الباري تعالى على مدارج ودرجات من القُرب والبُعد، وربما التائب يستغفر ويندم ويقلع عن ما ارتكبه من ذنب، وهذا المقدار أدنى شرائط صحة التوبة، وربما يمضي التائب قدماً متعالياً في درجات الخير وأضداد المعصية التي كان عليها فلا ريب أنَّ هذه التوبة رجوع أشد إلى درجة قريبة أعلى من ذلك، وهلمّ جرّا.

المحاور: في هذه الحالة تكون للتائب أثار أكثر من مجرَّد رفع العقاب الاخروي عنه؟

الشيخ السند: نعم.

المحاور: يعني يكون رفع العقاب إلى جانب العقاب الأخروي إزالة الآثار التكوينية باعتبار أنَّ بعض الذُّنوب لها آثار تكوينية في الآخرة؟

الشيخ السند: نعم إلَّا في بعض الآثار للمعصية كما في الحديث النبوي: «من ارتكب كبيرة فارقه عقل لا يرجع أبداً»، حتى بعد التوبة حتى بعد الآخرة، يعني شعبة من شعب العقل تفارقه ولا ترجع إليه أبداً، وهذا حرمان، وفي الآية الكريمة إشارة إلى مثل هذا الاختلاف في الآثار إلى قدرة وقوَّة التوبة على التغيير، رغم ذلك تشير الآية الكريمة: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١]. ممَّا يدلل على أنَّ ارتكاب المعاصي والسيئات ولو يستغفر الإنسان ويتوب ينجو بالتالي من سوء العاقبة وينجو من العذاب والعقوبة، إلَّا أنَّه لا ريب أنَّ امتيازات المتقي الموقن والمحافظ على الاستقامة وغير الملوث نفسه ولو بدرجة من الذنب لا ريب أنَّه يكون أوفر حظاً في الآخرة وفي الدُّنيا من المعاصي التائب...

المحاور: ولكن يبقى الباب مفتوحاً، يعني التائب من الذنب كمن لا ذنب له؟

الشيخ السند: طبعاً التائب ينتشل نفسه من الحضيض وينتشل نفسه من الهوان وما شابه ذلك ويرتقي، ولكن لا ريب أنَّ الاستقامة والحيطة تلك أكثر تعالياً من التوبة.

المحاور: فما معنى إبدال الله تبارك وتعالى سيئات التائبين إلى حسنات؟ وهل يمكن القول بأنَّ هذه مرتبة عالية من مراتب إزالة الآثار التكوينية للذنوب؟

الشيخ السند: نعم، هذا لطف إلهي عظيم، وربما تفسيره في الجانب والبعد الفلسفي والمعنوي يحتاج إلى مؤونة واقتدار، وربما يقرب مفاد هذه الآية ما في بعض الروايات بأنَّ أصحاب الجنَّة يرون مواضعهم في النار لو عصوا، وأهل النار بحسب دركاتهم يرون مواضعهم في الجنَّة لو كانوا قد أطاعوا، ومن الواضح أنَّ كل من توغّل شدة في الدركات لو كان قد عصى كان قد تعالى سموّاً في الدرجات. وبعبارة أخرى أنَّ الملكات والقدرات في المخلوق يمكن أن يوظفها في طريق الخير ويمكن أن يوظفها في طريق الشر، فبالتالي تلك الملكات إذا فرض تحلَّى الإنسان بها ثم وظّفها في طريق الخير، كما إذا افترضنا أنَّ عالماً في الذرة النووية ولكنَّه يوظف هذا العلم الخطير في سفك دماء الشعوب وما شابه ذلك، فهذه درجة شديدة من الشر في آثار عمله ولكن لو بدل اتجاه عمله إلى نفع البشرية وفي الموارد السلمية، الصحة والبيئة الزراعية وتوليد الطاقة الكهربائية فنفس الملكة التي كانت في طريق الشر تكون متلألئة نورانية في جانب الخير، إذاً الملكة بما لها من صفات عملية وعلمية، وكما لو افترضنا ضابط جيش كان في دولة الجور والظلم ولكن بعد ذلك تحول إلى ضابط في دولة الحق وسبل السلام واستفاد من تلك المهارة التي لديه.

المحاور: فهذا نوع من اللطف الخاص والهداية الخاصة؟

الشيخ السند: نعم يستطيع أن يوظّف ملكاته في طريق الخير وتتبدل من سيئات إلى حسنات.

المحاور: كيف لا يعد تكرار التوبة والاستغفار من عمل المكروهات

والمباحات استخفافاً بالله عزَّ وجلَّ؟ ومن المعلوم أنَّ كثيراً من الناس يصعب عليهم الاستغناء عن المباحات، ولكن إذا كرّروا توبتهم كل يوم، ألا يُعدّ هذا استهتاراً واستهزاءً بالله عزَّ وجلَّ؟!

الشيخ السند: التوبة والاستغفار ليسا استهتاراً أبداً، إنَّما الاستهتار والاستهزاء العودة للذنب وتكرار الذنب نفسه والرجوع إليه وتكراره وعدم رفع اليد عنه والاستمرار فيه، وأما تكرار الإقلاع عنه فهو قطع للاستهتار وإزالة للاستهزاء.

المحاور: المذنب المرتكب للكبائر، نعلم أنَّ الله عزَّ وجلَّ يغفر ذنبه، ومن جانب آخر قول: «إنَّ الله يتقبل من عباده المتقين»، نرجو توضيح هذه المسألة.

الشيخ السند: غفران الذنب يغاير قبول الطاعات كالصلاة ونحوها، هذا من جهة، ومن جهة أخرى لو عمَّمنا القبول لكل ذلك فالغفران للذنب إنَّما يتم بعد التوبة الصادقة أو النصوح، وهي نمط من التقوى، والتوقي من المعاودة للذنب فيشمله عنوان المتقين.

المحاور: ما هو رأيكم في الرواية المروية عند العامة وهي: «لولا أنَّكم تذنبون لجاء الله بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر الله لهم»، والغريب أنَّ بعض علمائنا قال بأولوية التوبة من الذنب من ترك الذنب رأساً، لأنَّ الله مدح التائبين؟؟

الشيخ السند: نظير هذا المفاد من الحديث ما ورد في بعض الأدعية ما مضمونه «إلهي إنَّك إن تعفو عنِّي فإنَّك تجد من تعذّبه غيري».

فإنَّ ذلك لا يعني أنَّ العقاب من الله تعالى فرض إجبار وظلم قاهر،

وكذلك في ضرورة العفو والغفران، فإنَّه ليس بمعنى إلجاءه تعالى العباد على الذنب لكي يظهر غفرانه فيسلب اختيار العباد للطاعة لذلك.

كل ذلك ليس هو المعنى المراد، بل المراد أنَّ الكمالات الإلهية والأسماء الإلهية لها فيوضات تتكامل المخلوقات بها وأنَّ المخلوقات لا محالة متفاوتة الكمال والنقص، وبهذا اللحاظ أنَّ بعض طبقات المخلوقات لا محالة تحتاج إلى فيوضات اسم «الغافر»، وبعضها تحتاج إلى هيمنة ورعاية اسم «المعاقب القهَّار الجبَّار» فإنَّ العباد المعاندين لا يتكاملون إلَّا بتربية أسماء الجلال.

والعناد هو باختيار المخلوق نفسه لا بإلجاء منه تعالى.

وأمَّا أنَّ التوبة من الذنب أولى من ترك الذنب رأساً فتسويل باطل وإغراء لارتكاب العصيان والتمرد، بل الوارد هو أن تذلل التائب من الذنب أحبُّ إلى الله من دلال الطائع، وهذا معنى حق لأنَّ المدلي بطاعته على الله يرى استقلالية نفسه وغنى نفسه وأنَّه يمنّ على ربّه وافتقار ربّه لطاعته، وهذه معاني شركية وكفرية.

بينما الانكسار من العبد استشعار بالفقر والافتقار إلى الغنى الذاتي الأزلي للرب، وهذا المعنى توحيدي خالص.

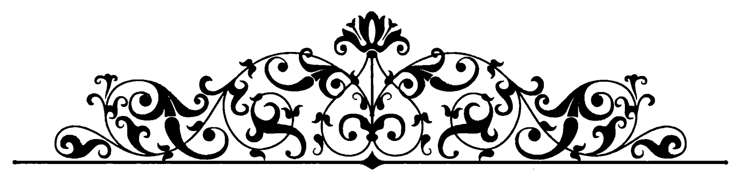
وإيضاً فالطائع الذي لا يبتلى بكبر الطاعة ودلالها هو أعظم من التائب كما في قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١].

فوائد روحية وأخلاقية

قال سماحة المرجع في إحدى محاضراته:

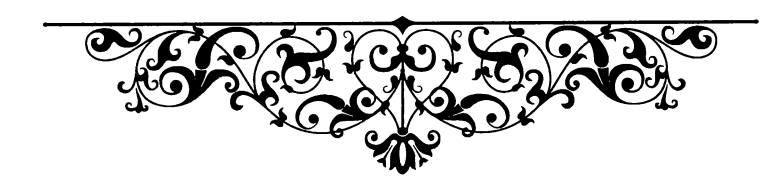
كتاب «منهج الرشاد» للشيخ جعفر كاشف الغطاء قدِّس سرُّه: هو كتاب عرفاني بامتياز... وفيه أهم ممَّا أثر عن العلَّامة القاضي والسيِّد الطباطبائي... لما يحتويه من أفكار معنوية لم توجد في كتب السيِّد الطباطبائي قدِّس سرُّه.

وقال: «لكُلِّ إنسان شاكلة خاصة تناسبه... فمن أراد التدرج في عالم الكمالات عليه أن يعرف ما يناسبه من الأعمال... ولكُلٍّ درجات ممَّا عملوا... فسلمان المحمدي كان في الدرجة العاشرة ودونه المقداد، ومع ذلك ورد أنَّ «صلابة إيمان المقداد أقوى من سلمان» ممَّا يعني أنَّ من يكون في درجة أدنى قد يتصف بشيء يتميَّز به عمَّن هو أعلى درجة منه.



الفصل الرابع

علم الروحانيات



علم الروحانيات

المحاور: ما هو علم الروحانيات، هل هذا العلم متداول صحيح وكيف يمكن الحصول عليه؟

الشيخ السند: هذا الاصطلاح وهو علم الروحانيات قد يُطلق على علوم عديدة، منها علم العرفان، ومنها علم الفلسفة، وعلوم المعارف، وربما يطلق على بعض العلوم ما قد تُسمَّى بالعلوم الغريبة، ربما علم التسخير وعلم الطلسمات وعلم الجفر، عموماً العلوم التي تبحث حول القضايا الأثيرية منه علم مُحرّم كالسحر وبعض أقسام التسخير، فهذه كما يُقال لفظة أو اسم واصطلاح لعلوم عديدة، ولا يطق على علم واحد.

المحاور: حبذا لو تُبيِّنون يعني الصحيح منها والذي لا إشكال فيه، والنافع منه ولو على نحو الإجمال.

الشيخ السند: منها علوم محرمة مثل علم السحر وعلم العزائم، وبعض أقسام الطلسمات، وبعض أقسام علم النيرنجات والشعبذة، هذه علوم يُطلق عليها اسم الروحانيات، ولكن قد ذكر الفقهاء قائمة بأسمائها المحرمة، ويُطلق عليها في الواقع علم الروحانيات، يعني ما يرتبط بعالم ما وراء المادة ممَّا تتدخل فيه الأمور الرُّوحيَّة، سواء روحيات الجنّ أو

روحيات الملائكة أو روحيات الإنس هذه مصطلحات عامة ما وراء علم المادة.

ومنها ما هو ربما مكروه مثل علم الرمل، أو راجح مثل علم الجفر وما شابه ذلك، ومنه ما هو راجح بالإجمال وتعلمه لأجل كسب المعارف الشرعية مثل الفلسفة الصحيحة وعلم العرفان الصحيح المطابق للمعارف الدِّينيَّة وشبه ذلك، وهذه أيضاً من علم الروحانيات باعتبار فيها ذكر نظم وبرامج مرتبطة بعالم الرُّوح، وعالم ما وراء المادة.

المحاور: بالنسبة للعلوم التي أشرتم إلى تحريم الفقهاء لها، هل أنَّ لهذه العلوم آثار حقيقية، أم أنَّها مجرَّد أوهام مثل بعض العلوم الغريبة أو بعض علم السحر وغيره؟

الشيخ السند: في الحقيقة هذه العلوم لا يمكن أن يُقال إنَّها أوهام مجردة، بل في هذه العلوم الوهم والخيال نفسه له تأثيرات تكوينية، وبعبارة أخرى يشير إلى ذلك القرآن الكريم إلى تأثير السحر ﴿مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾[البقرة: ١٠٢]. وفي الحقيقة هي تسويلات الوهم وتخيلات الوهم وبدورها لها تأثيرات على المتوهم وعلى طرف المتوهم، فبالتالي لها تأثيرات في النُّفوس وإن لم تكن تأثيراتها في المادة، وبالتالي في المادة عبر النُّفوس، فأقلّ ما يمكن أن يُقال فيها ذلك، ولكن لها تأثيرات ربما على إعاقة الأشخاص أيضاً عبر الوهم والتخيل والإرهاب والخوف والقلق والشؤم واليأس، وما هي من حالات السقوط وحالات الانزلاق والانحدار وما شابه ذلك، هذه كلها تشاهد في تلك العلوم وآثارها وإن كان يُراد منها حالات إيجابية، ولكن تظل هذه العلوم محرمة حتى في سياق الغايات الإيجابية لأنَّه طريق مُحرّم فلا تسوغ شرعاً.

المحاور: الأقسام التي ذكرتموها من علوم الرُّوحانيَّات التي يكون نفعها مضمون وضررها مأمون، ما هي هذه العلوم؟

الشيخ السند: طبعاً عموم علوم المعارف والعقائد، من معارف القرآن ومعارف الحديث الشريف سواء بلغة عرفانية أو بلغة فلسفية أو لغة كلامية أو بلغة أدبية، هذه كلها تصب في صقل آفاق الرُّوح سواء من الجانب العملي أو من جانب بعد الإدراك للعوالم والمعارف، ولا ريب أنَّ هذه توسّع الرُّوح أُفقاً وسعة، وتصعد بها درجة، مضافاً إلى برنامج تهذيب السلوكيات وما شابه ذلك من البرنامج العملي، هذا أيضاً يصقل الرُّوح والأخلاق كُلّها ترتبط بالرُّوح، فبالحقيقة التعرُّف على قضايا الرُّوح أمر بالغ الثمرة وبالغ النتيجة، وحتى أنَّ العلوم الغريبة أو ما يصطلح عليه بالعلوم الغريبة أي غير المتداولة وغير المأنوسة، مقصود المُحلّل منها مثل علم الجفر بأقسامه، وعلم الرمل، وعلم الحروف، علم المعاني، علم الحساب والاشتقاقات المختلفة هذه كلها تفيد الإنسان.

الاطلاع على علم التخاطر الرُّوحي والسمعي والبصري وعلم الأثير والوقوف عليها لا ريب أنَّه يوجب اطلاع السعة للإنسان، وأقل ما فيها أن توقي الإنسان من الانغرار والانزلاق أمام أهل الحيل والنصب والدجل في القضايا الرُّوحيَّة، فالاطلاع عليها يكوّن لدى الإنسان بصيرة مميَّزة فاصلة بين ما هو كرامة حق وبين ما هو دجل وحيل ونصب وما شابه ذلك.

نحن نشاهد القرآن الكريم يسطِّر لنا بعض الأمثلة أنَّ عفريتاً من الشيطان يستطيع أن يأتي بعرش بلقيس من اليمن إلى فلسطين ملك النبي سليمان على نبيّنا وآله السلام في ظرف زماني بمدّة يستغرق الجلوس في مجلس حسب ما هو مضمون الآية: ﴿قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾[النمل: ٣٩].

فمثل هذه الأمور مثلاً يمكن أن يأتي بها قوى غير خيّرة، فاطلاع الإنسان عموماً على مثل هذه الأمور يزيده بصيرة ويزيده تمييزاً بين ما هو صحيح وصدق، وما هو خطأ وكذب، وما هو الخير وما هو الشر.

تحضير الأرواح:

المجاور: بالنسبة إلى تحضير أرواح الموتى، هل هو أمر ممكن حقاً؟ والإجابات التي تعطيها الأرواح عند تحضيرها، هل هي إجابات صحيحة يعتمد عليها أم لا؟

الشيخ السند: غالب من يدّعي تحضير الأرواح والقدرة على تحضير الأرواح ـ حسب بعض التجارب وحسب بعض المتضلعين من أهل المعنى والعلم ـ هو من تحضير الجنّ، والمُحضِّر يحسب أنَّه أحضر أرواح المؤمنين، وربما يحضر من الجنّ من يعلم الصغيرة والكبيرة عن الميت، وبالتالي يظنُّ المستمع الجالس في تلك الجلسة التي يتم فيها التحضير أنَّ إجابات ذلك المجيب ربما دقيقة وصحيحة، وبالتالي فهي صادرة من روح المتوفاة لأنَّها تفيد كل الخصائص الخفية للمُتوفَّى، وليس هناك عامل جسمي وحسِّي يجزم به وإن كان بعض متضلعي أهل المعنى يصرّ على صدقيته في بعض الموارد نظير ما يحكيه العلّامة الطباطبائي لبعض تلاميذه من أساتذتنا، أنَّ أخاه السيِّد حسن رحمة الله عليه كانت لديه القدرة على تحضير الأرواح أو الارتباط بأرواح العظماء من العلماء وما شابه ذلك.

على أية حال هذا ليس ممتنعاً، والارتباط بأرواح الموتى يثبته علماء الغرب أيضاً بأنَّه عبر التخاطر ونوع من الارتباط الموجي بالذبذبات الشفَّافة الرُّوحيَّة بين روح الحي وروح الميت، وهذا ليس مستنكراً وقابلاً للتصوير،

نظير ما نقرأه نحن في زيارة الرسول وزيارة أهل بيته، «وإنَّك حجبت عن سمعي كلامهم، وفتحت باب فهمي بلذيذ مناجاتهم»[١].

فهناك نوع من الارتباط بين أرواح الأحياء وأرواح الموتى ولكن من هو الذي يستطيع أن يُحضِّر ويرتبط؟ هذا هو أمر آخر، وكثيرون من أهل النصب والحيل والدجل وكثير ممَّن يدّعون أنَّهم أحضروا الموتى يكون قد أحضر الجنّ.

المحاور: يعني الذي يُحضِّر يحتاج إلى قوَّة روحية معيَّنة؟

الشيخ السند: لا ريب في ذلك، الرُّوح المُحضَّرة أيضاً لا بُدَّ وأن تكون لها درجة وما شابه ذلك، والحضور نوع من الصلاحية لروح الميت والمكنة لا تعطى لكُلِّ أحد، ومن ثم هذه الإمكانية من الارتباط بأهل البرزخ لا ريب أنَّها لا تعطى إلَّا لذوي القدم الراسخ من أهل التقوى واليقين، وأمَّا آحاد الناس ممَّن هم في سلوك اعتيادي والتزام ديني هابط فلا ريب أنَّه ليست لديه القدرة والمكنة على تحضير الأرواح، وإنَّما هو تحضير جن.

المحاور: يعني هنا يكون مُسخَّر للجن من حيث لا يشعر؟

الشيخ السند: قد لا يكون لديه اطلاع والتفات، إلَّا أنَّ الجنّ المُحضَر ربما يكون قرين الميت ممَّا يعرف خفايا كثيرة عن الميت ويجيب بإجابات دقيقة ومتقنة أو على اتصال بالقرين، وهذا المقدار لا يدلُّ على أنَّ الذي حضر هو روح الميت وإنَّما هو قرينه من الجنّ، بل بعض الجنّ ممَّن لديهم قدرات تكوينية أخرى قد يطّلعون على ما يطّلع عليه القرين، وبالتالي يخبرون به.

المحاور: بالنسبة لتحضير الأرواح، هل هو أمر نتركه في بقعة الإمكان،

---

(١) المصباح للكفعمي، ص٦٠٥.

يعني هو أمر ممكن لا ننفيه، أم لا؟ فإنَّه يوجد هناك من يثبته يعني إمكانية ان تستحضر روح انتقلت من هذه الدار إلى الدار الآخرة تعيش في البرزخ نستحضرها ونحاورها هذا المدّعي لدى الذين يحضرون الأرواح.

الشيخ السند: نعم المقصود من الحضور لَيس هي تنشأها نشأة دنيوية وإنَّما نوع من ارتباطها بأهل الحياة في هذه النشأة في موضع معيَّن وما شابه ذلك.

المحاور: إذا توفرت شرائط الصدق ولما يبعث على الاطمئنان بشخص الذي يحضر الأرواح، فهل تكون الأجوبة التي يحصل عليها من الأرواح تكون لها نوع من المصداقية أو يمكن الاطمئنان إليها؟

الشيخ السند: في الحقيقة أنَّ هذا الارتباط: هذه القناة ليس فيها حجية بتاتاً، بل إنَّ نفس الميت على أية حال مهما تصاعد شأنه ليس يعني الارتباط به أيضاً هو ذو موقعية بحيث يؤخذ بأقواله، وإن كان الميت في البرزخ، ومهما وصل في مقامات العدالة والتقوى فإنَّها تغاير الحجيَّة.

المحاور: ولكن تكشف له أشياء قد لا تكشف للأحياء؟

الشيخ السند: لكن ليس في مداليل كلامه وفيما يدلي به حجية بقول مطلق، وإنَّما هو نوع من البشائر والنذارة، ولا يعوّل عليه كحجية، بل إنَّ الارتباط الرُّوحي في الرؤيا ونحوها بالمعصوم مع أنَّه معصوم، هذا الارتباط لا يُعوّل عليه كحُجّية لأنَّ ارتباط غير المعصوم به عبر قناة الرؤيا وعبر قناة المشاهدة، تلك القناة باعتبارنا نحن غير معصومين ولا طريقة تلقّينا تلقّي المعصومين عليهم السلام فلا يُعوّل عليها وإنَّما يكون قيمتها قيمة منبّه ومبشّر ومنذر، وعلى أية حال هذا منبّه إلى نفس ما لدى الإنسان من إدراك عن الواقع من حقيقة يتعامل ويلمس ويتعاطى معه بما له من حدود وحقيقة.

المحاور: يعني هي تورث اليقين ولكن استناداً إلى أمور أخرى؟

الشيخ السند: يُرجع للموازين العامة التي يستند إليها الإنسان في كُلِّ أموره من الكتاب والسُّنَّة والعقل وما شابه ذلك.

عالم الجنّ:

المحاور: فهل الجنّ أيضاً يمرون بهذه العوالم، وهل المرور بها مرتبط بشأن التكليف أم لا، لكي يشمل المخلوقات الأخرى غير الجنّ والإنس؟

الشيخ السند: هناك من النصوص الدِّينيَّة والقرآنية والنبوية ما يدلل على أنَّ الجنّ لا ريب يمرون بمراحل يمرُّ بها الإنس، غاية الأمر أنَّه ورد في بعض الروايات أنَّ جنّة الجنَّ هي دون جنّة الإنس، لأنَّ الطبيعة العقلية المتكاملة عند الإنس ترتفع على الجنّ، ومن ثم فإنَّ جنّة الإنس تعلو جنّة الجنّ، ممَّا يدلل أنَّ الجنّ أيضاً لديهم عالم برزخ، لديهم حياة وممات، لديهم محاسبة، لديهم تلك النشأة البرزخية بنمط آخر، ولديهم أيضاً الأشياء الأخروية وسيُبعثون، والمراحل شاملة أيضاً للجنّ ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن: ٣١] هذه التعابير القرآنية واردة كثيراً ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] هذا يدلل على وحدة الشريعة والتكليف، والشريعة والتكليف هي عبارة عن صورة في دار الدُّنيا بمنظومة تشريعية وحقيقتها تكوينية يمرُّ بها كلا الثقلين، هذا بالنسبة إلى الجنّ، وهناك من الشواهد الكثيرة على هذا المطلب في خضم النصوص القرآنية.

وأمَّا بالنسبة إلى بقية الكائنات فأيضاً يُستشعر من بقية النصوص أنَّ لها حالة برزخية، ولها نوع من الحالة الأخروية أيضاً، وورد في نصوص أهل البيت أنَّه لا يدخل الجنَّة من الحيوانات إلَّا أربع، ناقة صالح، والذئب الذي

قُتل في قصة يوسف، والخروف الذي ذُبح فداءً عن إسماعيل، وكلب أصحاب الكهف أو حمارة بلعم بن باعورا، ممَّا يدلل على أنَّ جنَّة الإنس لا يدخلها سائر الحيوانات ممَّا يدلل على أنَّ الحيوانات، لها نوع من النشأة الأخروية هي دون الإنس ودون الجنّ، لكنَّها نوع من النشأة، والبحوث الحكمية تتشاهد مع تلك النصوص الوحيانية(١).

عالم الشيطان:

المحاور: هناك من يسأل عن حقيقة الشيطان وكيف يحاول سلب الإيمان من الإنسان عند موته، هل يتمثّل له بصورة معيَّنة أم ماذا؟

الشيخ السند: في الحقيقة قد شرح القرآن الكريم أنواع أفاعيل وأفعال الشيطان والشياطين بالنسبة للإنسان، وفي عمومها كـ«الأزّ والمسّ والوسوسة» وما شابه ذلك، فهي تتخذ على كلام ربما قد بيَّنها القرآن الكريم إلى ثمانية أو أكثر من الأفعال التي يمارسها الشيطان مع بني آدم، وعموماً من أخطر ما يمارسه هو إيحاءاته الجحودية والكفرانية والتمرُّدية لأنعم الله والرِّضا بقضاء الله وقدره.

فيثير السخط لدى الإنسان ـ والعياذ بالله ـ والنقمة وعدم الرضى وحالة الانزعاج عن مقادير الله عزَّ وجلَّ ومن هذا القبيل، يعني بعبارة أوضح، خلق علاقة في العداوة بين الإنسان وبين الباري تعالى عبر سلسلة من الخواطر وسلسلة من المعاني وسلسلة من مساوئ الظنّ وسلسلة من اليأس، ولذلك كما يعبّر القرآن الكريم ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ﴾ [البقرة: ٢٦٨]، دائماً حالة التشاؤم وحالة اليأس، وحالة الشَّر، والتركيز بها والسخط، وبالتالي تثير لدى

---

(١) عوالم الإنسان، ص٨٩.

الإنسان السخط والنقمة وعدم الرضى بقضاء الله وقدره، وبالتالي يصبح لدى الإنسان حالة تمرُّد وحالة رعونة اتجاه الباري بدل أن تكون حالة ليونة وحالة طوعانية وخضوع وانقياد، شبيه بما لو مرَّ الإنسان بحالة مرض عصيبة جداً ولا تظن حالة موت حالة مرض عصيبة أو ابتلاءات شديدة جداً، هنا تتزلزل اتزان والتزام النفس، وربما تعرض على نفسه خواطر شيطانية شديدة هي باعثة على سوء الظنّ بالله (عزَّ وجلَّ) والعياذ بالله، وبالتالي على خراب العلاقة التي بين قلب الإنسان وروحه وبين الباري تعالى.

المحاور: أنا أريد أن أقف عند هذه النقطة بالذات وما ذكرتموه من عبارة خواطر شيطانية، يعني هل يمكن القول: إنَّ حديث النفس هي أفكار معيَّنة تمرُّ على الذهن بحيث يكون منشأها الشيطان في الواقع، يعني الشيطان الذي يجري من بني آدم أو من ابن آدم مجرى الدم في العروق كما وردت في الأحاديث النبوية، هل المقصود هو هذا، يعني أنَّه يوجد خواطر وأفكار معيَّنة عند الإنسان؟

الشيخ السند: في الحقيقة كثير ما نسميه خواطر وأفكار هي ليست معاني وأفكار، هي ليست معاني ولا أفكار، وإنَّما هي كلام أثيري نسمعه نحن بأُذننا الحسِّية من الشيطان.

المحاور: يعني بالحس مثلما نسمع باقي الأصوات؟

الشيخ السند: يعني المقصود كما نسمع الصوت بالأُذن البدنية الجسمانية التي توصل ذلك إلى الأُذن الحسِّيَّة التي هي الحسّ المشترك في الرُّوح، بل لا ريب أنَّ بين الصوت الشديد في الذبذبة الموجبة والصوت الخفيف موجباً هناك فارق، مثل ما لو كان الإنسان يقرأ قراءته بالجهر غير قراءته بالإخفات وغير قراءته بالقلب، فهذه قراءات لكن على مستويات ودرجات متعدِّدة.

المحاور: كذلك وسوسة الشيطان؟

الشيخ السند: نعم، في وساوس الشيطان صحيح ليس هو صوت وجهاز وذبذبات هوائية وما شابه ذلك، ولكن هي أثيرية كما هو الحال في الطاقة الخفية، فبالتالي ذلك الكلام والخواطر نحسبها نحن ربما خواطر أو أفكار أو معاني منبعثة من ذهننا أو من ذاكرتنا أو من تجاربنا العلمية أو غير العلمية أو ما شابه ذلك، لكن هي في الحقيقة مجرَّد كلام، معانيها في أذهاننا وهو يرانا من حيث لا نراه ربما يرى نقاط ضعف صفاتنا النفسانية وما شابه ذلك، فمن ثم يحرّك جوانب أو يضغط على جانب ضعف صفاتنا في قوانا النفسانية، وبالتالي تهيج تلك وتصبح حالة تمرُّد في عموم مملكة النفس

المحاور: إذن هذا قانون (يرانا من حيث لا نراه) وإنَّما يبثُّ فينا بعض الأفكار والوساوس تصدق على حالة العديلة أو سلب الإيمان من الإنسان عند الموت، يعني لا يتمثَّل للإنسان بصورة معيَّنة؟

الشيخ السند: قد يتمثَّل، فهو يتخذ كما ذكرت أفعال من أنماط ثمانية ذكرت في القرآن الكريم.

فمنها: الهمز كما في قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ ٱلشَّيَاطِينِ﴾ [المؤمنون: ٩٧].

ومنها: النزول على الأفّاك (أي الكذَّاب المفتري) الآثم كما في قوله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَاطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٢].

ومنها: الاستهواء كما في قوله تعالى: ﴿كَالَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَاطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾ [الأنعام: ٧١].

ومنها: النزع كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ﴾[الأعراف: ٢٠٠].

ومنها: المسّ كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

ومنها: الأزّ كما في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ [مريم: ٨٣].

ومنها: الإلقاء كما في قوله تعالى: ﴿ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ [الحج: ٥٣].

ومنها: الإيحاء كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢١].

وربما هي أكثر من ذلك، فهو يتخذ أشكال وألوان مختلفة ولكن تصبُّ في النهاية إلى إثارة معاني وأفكار وإذعانات مغلوطة كاذبة تجاه علاقة العبد مع ربّه في زعزعتها وإثارة السخط والرعونة ـ والعياذ بالله ـ تجاه الله(١).

وساوس الشيطان:

إنَّ أحد مصادر خواطر السوء هو حديث الجنّ يعني إبليس، فإنَّ الجنّ والشياطين موجود لطيف لا نسمعه بهذه الأُذن اللحمية، له طبيعة ذبذباته لطيفة ـ خفية ـ، فالخاطر الذي يأتي إلى مخيلة النفس ليس هو تمثال مرسوم. بل الخاطر الذي يأتي في صفحة النفس كثيراً ما هو إلّا عبارة عن ذبذبات لأصوات لطيفة ـ خفية ـ تسمعها الرُّوح، أو بعبارة أخرى يسمعها البدن الرُّوحي لا البدن اللحمي، مثلاً: تأثير السحر، لماذا الساحر يستطيع أن يُؤثّر

(١) عوالم الإنسان، ص٤٧.

بين المرء وزوجه؟ أو بين المرء وأرحامه؟ وتلهب صراعات ونيران، ويلهب الكثير من العداوات والأحقاد، وأكثر السحر يكون بتوسط تسخير الجنّ والشياطين، فماذا يصنعون؟

يزرقون ويضخون خاطر السوء، يسمعوك خاطر السوء وأنت تأخذه كبديهة، وأنت غافل تأخذه كمسلّمة وحقيقة واقعية، وهو كذب، فيدخل عليك رحمك أو صديقك أو زوجتك أو الزوجة يدخل عليها الزوج فينفث الشيطان عليها أو على قلبها أو على أُذنها معنى معيَّن كأن يذكّرها الإساءة التي صدرت من الطرف الآخر اتجاهها، أو قباحة معيَّنة فيه فيشغل ويوغر صدرها بالكراهية لا سيَّما مع التركيز وتكرار ذلك المعنى، فأنت لا تحسّ أنَّ هذا ليس من ذاتك، بينما هو موجود آخر يكلِّمك، يلقّنك، يزرقك، وأنت تظن من ذلك أنَّ روحك هي التي تملي عليك هذه الحقائق في حين هي أكاذيب وزوائف. ولذلك الذين عندهم مراقبة شديدة للنفس يمكنهم أن لا يؤثر فيهم السحر، ولا يؤثر فيهم وساوس الشياطين، لأنَّهم متحكمين في الخاطر بقوَّة. وقد يأتيك خاطر معيَّن فيقول: هذا عمل معك هذا الفعل كي يهينك، فيسيء لك الظن بالطرف الآخر، وأنت تأخذها بأنَّها مسلّمة، وهذه خاطرة، ولكن هذه الخاطرة تلهب نيران قد تسيل بسببها دماء ـ لا سامح الله ـ ولذا الشيطان اللعين والجنّ يسيطر على الإنسان من خلال نافذة الخواطر. فإذا كان الإنسان يستطيع أن يروِّض نفسه ويكون لديه برنامج مراقبة للنفس ويلتفت إلى مصدر كل خاطرة تمرّ في صفحة النفس، من أين أتت؟ ومن أيِّ جهة؟ وما طبيعتها سوداء أو بيضاء؟ وغير ذلك، فحينئذٍ لا يكترث بها، فيكون حليم ويكون عنده حسن ظن بالآخرين، ويكون عنده حسن الظن بالله، فالخاطر والنيّة إذن أمرهما عصيب جداً[1].

(١) النيات والخواطر، ص٢٣.

تصرفات الشياطين والتوقي منهم:

السؤال: هل صحيح أنَّ الجنّ يتلبَّس في الإنسان؟ وإذا كان صحيحاً فهل هناك آيات قرآنية أو دعاء لإخراجه؟

ج: قد أثبت القرآن جملة من تأثيرات الشيطان على الإنسان وكيفية التوقي منها وتفاديها وعلاجاتها:

١. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾[البقرة: ٢٧٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

وقال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ١٠٠].

وقال تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء: ٥٣].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [مريم: ٨٣].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾[الأنعام: ١٢١].

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ٦٦] حيث إنَّ معظم السحر بتصرف من الشياطين.

٢. وأمَّا العلاج: فقد ذكرته جملة من الآيات المتقدمة، وقد نشرنا جملة من التوصيات العملية الفقيهة للعلاج فلتلحظ.

صدور الخوارق من غير المؤمنين

سؤال: سلام عليكم شيخنا العزيز أدام الله بركاتكم وخيركم وأفاديكم علينا، كيف تفسر بعض الحالات التي يتوسل فيها غير المسلم بغير الله ويُستجاب له؟ مثلاً إحداهن لا تنجب وتوسلت ببوذا ورُزقت ولداً في العام القابل.

الجواب:

ج١. قد ورد في الحديث القدسي المروي عن الفريقين: «لأعطينّ الحكمة لمن زهد في الدُّنيا ولو كان كافراً».

وورد أنَّ هذا الحديث قاله الله تعالى لموسى عليه السلام واستفسر عن ذلك فأجيب: أنَّ الحكمة للمؤمن حُجَّة، وحُجَّة على الكافر، والمُراد بها الملكوت النازل السفلي، وهي قدرة تكوينية.

٢. وإليه أشار قوله تعالى: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ [النمل: ٣٩] فرغم كونه عفريت من الشياطين المسخرة للنبي سليمان لكن لديه القدرة على طيِّ الأرض وحمل ثقل لأطنان لمسافة تزيد على ألفين كيلومتر في دقائق، ولكن ذلك لا يعني أنَّ العفريت على حق ولا على هداية.

٣. قد بيَّن القرآن أنَّ الله تعالى أعطى إبليس قدراتٍ جزاء سجوده قبل خلق آدم. وهذه القدرات في الملكوت النازل لا يمتلكها جملة من الأنبياء، بل في الملكوت الأقل هو يصول ويجول عدا قدرة سيِّد الأنبياء ﷺ ـ وأهل بيته عليهم السلام ـ والملائكة المقرَّبين، لكن ذلك لا يعني أنَّ إبليس على حق ولا على هداية.

٤. إنَّ للجنّ والشياطين قدرات كثيرة متنوعة في الملكوت النازل لا سيَّما عالم الخيال، ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارّين به من أحد إلَّا بإذن الله، ذكرها القرآن في سُوَر وآيات عديدة، وحذّر من الانغرار بها أو الافتتان بها، بل قال تعالى: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ٦٦].

وهذا التخييل لنبي من الأنبياء من أولي العزم من دون أن ينافي عصمته ولا تسلطهم على عقله ولا على قلبه ولا على نبوَّته.

٥. إنَّ من المقرر في أنواع علوم الطب قديماً وحديثاً أنواعاً من الطب الرُّوحاني، وهو من جانب الملكوت السفلي للنُّفوس والأرواح وله تأثير بالغ في علاجات كثيرة لأمراض عديدة، لكن لا يعني ذلك أنَّ القوى المؤثرة هي حقانية وهي من الملكوت الأعلى، كما هو الحال في مهارة ونبوغ أطباء ملاحدة متفوقين، وكما هو الحال في بقية العلوم والتقنيات.

لكن كل ذلك ليس خارجاً عن قدرة الله تعالى، وما هم بضارّين به من أحد إلَّا بإذن الله تعالى.

المكاشفات

في موضوع عصمة الأنبياء عليهم السلام والأئمَّة عليهم السلام من مكايدة الشيطان قال الشيخ حفظه الله:

«فلا يمكن للشياطين أن يدخلوا قناة الوحي ولا يستطيعون الوصول إليها. وكي يتّضح الأمر فلا بأس بشيء من التفصيل.

إنَّ هناك قنوات ما ورائية غيبية يمكن أن يدخل إليها الشياطين وهو ما عبَّرت عنها الآية: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ﴾ [الأنعام: ١٢١]. لكنَّ قنوات الاتصال بالغيب التي يرتبط من خلالها الأنبياء بالله تعالى ويتنزَّل بها الوحي فتلك قنوات تعجز الشياطين من التقرُّب منها فضلاً عن أن تدخل فيها وتخترقها، بل يعجز عن الدخول إليها موجودات عظيمة مُقدَّسة كبعض الملائكة المقربين، فتكليم الله تعالى لموسى عليه السلام لم يسمعه ما حول موسى، بل ولم تسمعه الملائكة الكروبيين، كماورد في دعاء السمات: «وأسألك بمجدك الذي كلَّمت به عبدك ورسولك موسى بن عمران عليه السلام في المُقدّسين فوق إحساس الكُروبيّين فوق غمائم النُّور فوق تابوت الشهادة»[١] فتلك القناة التي كلَّم الله بها موسى لم يكن لقدرة الكُروبيّين وإحساسهم أن

(١) مصباح المتهجّد، ص٤١٧.

يرتبط بها، وبهذه القناة الوحيانية يفترق المعصوم عن غيره، كما يُستفاد ذلك من عدَّة آيات وروايات وأدلة عقلية، فقناة المعصوم قناة معصومة وآمنة من الخرق، أمَّا غير المعصوم فقناة تلقيه القلبية الماورائية من الغيب، ليست قناة معصومة فيمكن للشيطان أن يدخل ويؤثر فيها.

فقد ورد في بعض الروايات أنَّ بعض أصحاب الأئمَّة عليهم السلام من أهل الأسرار والمعارف الذين وصلوا إلى مقامات عالية ولم يكونوا تلاميذاً عاديين قد تسلّط عليهم الشيطان وتراءى لهم وأضلّهم نظير أبي الخطَّاب محمد بن أبي زينب ومغيرة بن سعيد وغيرهما[1] فمثلهم مثل بلعم بن باعورا الذي كان من أصحاب اليقين والمقامات والأسرار ولكن لم يستقم فانزلق وأخلد إلى الأرض، وهذه محنة وابتلاء كبير يواجهه أهل اليقين والتقوى وأهل الإخلاص وهم على خطر عظيم.

عدم حجية المكاشفات لدى غير المعصوم:

وهذا يُفسِّر لنا أحد أسباب عدم حجية ما يراه البعض من مكاشفات ورؤى ونحوها، فإنَّ قناة غير المعصوم غير مصونة عن تسرُّب الشيطان وتصرُّفه فيها أو تكوّن تلك المكاشفات من أحاديث نفسه، فللشيطان بثّ أثيري إبليسي وعفريتي ما وراء بثّ الإشعات والرادارات من خلال يكتسب القدرة للسماع إلى الملأ الأعلى ﴿ لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ * دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ * إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾ [الصافات: ٨ - ١٠] فلهم خطفات لمحاولة السماع وموجات أثيرية ولطائف عجيبة، وليسوا

(١) راجع الكشّي، ح٥٤٥ بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال: «تراءى والله إبليس لأبي الخطّاب على سور المدينة أو المسجد فكأنّي أنظر إليه وهو يقول إيهاً نظفر الآن نظفر الآن»؛ وراجع أيضاً الكشّي، ح٥٣٧، وح٥٤٧، وح٤٠٣ وغيرها.

من الجنّ العادي بل من العفاريت من نمط كبير، كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ [النمل: ٣٩].

فللشياطين قدرة على اختراق قنوات تلقّي غير المعصومين والتشويش عليهك كما دلّت عليه من عدّة الآيات والروايات.

ولكن قناة الوحي أعظم من ذلك ولا تُقاس بقناة تلقي غير المعصوم أبداً.

فالشياطين قد يحاولون أن يسمعوا أو ينصتوا ويركّزوا ولكن لا يستطيعون أن يقتربوا من تلك القناة، فضلاً عن أن يسمعوا أو يخترقوها ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ * وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٠ ـ ٢١١]. وغيرها من الآيات دالّة على ذلك.

بل الاطلاع على الوحي ليس من شأن قدرة كُلّ الملائكة وليس كُلّ الملائكة أُمناءً للوحي كجبرائيل وميكائيل، بل في بعض الأخبار أنَّ عزرائيل ومالكاً ورضوان وإسماعيل مالك السماء الدُّنيا لا يدخلون على خط الوحي، فهم مع كونهم من الملائكة العظام، ولكنَّهم لا يسمعون بعض أنواع الوحي، ناهيك عن الشياطين والأبالسة[1].

(١) قواعد في العصمة، ص١٩.

الكرامات

السؤال: ما الموقف تجاه الكرامات المحكية المنقولة والمسموعة، هل يحكم عليها بالتخريف ويُستخفّ بها أم يُصدّق بها؟

الجواب: وقوع الكرامات سُنَّة إلهية كما تُحدثنا سورة «الأنفال» عن واقعة «بدر» جانب مرئي مشاهد وجانب غيبي غير مرئي من نزول الملائكة، وكذلك تحدثنا سورة «آل عمران» عن واقعة «أُحُد» تعكس جانبين، مشهد الشهادة المرئي، وجانب الغيب غير المرئي، ويشكّلان الوسط بين عالم الشهادة الذي يغري بالتفويض وعالم الغيب الذي يغري بالجبر، بل أمر بين أمرين، وسيرة أهل البيت عليهم السلام طوال الغيبة الكبرى وقبلها كذلك، لإقامة التنبيه والحجَّة على البشر ولو تركوهم لرعاية الأحياء لأخرجوهم من الدِّين، ولا يصح الاستخفاف بالكرامات واستصغارها مع أنَّها تشكل جزءاً من أنشطة الدولة الإلهية كما هو الحال في أنشطة الملائكة، نعم الاقتصار على جانب الغيب والإغراق فيه إن كان على حساب المسؤولية في عالم الشهادة تواكل وجبرية، وإن كان الغيب لا تناهي له، كما أنَّ الاقتصار على جانب الشهادة تحت ذريعة القيام بالمسؤولية هو تفويض، والتوازن الوسطي لا بُدَّ منه لئلَّا يكون تفويضاً، فأمر بين أمرين.

[وهذه الوسطية ضرورية بين صنمية المادية الحسية وبين التواكل على بعد الرُّوحانيَّة الباطنة].

وهذا أحد معاني تفسير النهي عن الاتكال على العمل دون محبتهم وولايتهم عليهم السلام، والنهي عن الاتكال على ولايتهم ومحبتهم دون العمل(١).

إصابة العين:

السؤال:

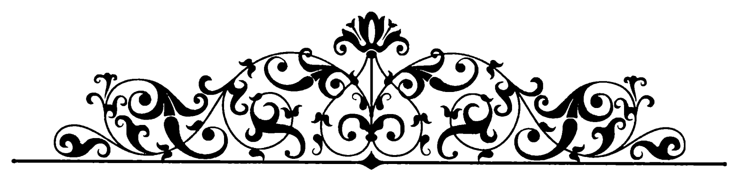
ورد في الخبر من صفوان الجمال، عن أبي عبد الله عليه السلام أنَّه قال: «لو نبش لكم من القبور لرأيتم أنَّ أكثر موتاكم بالعين، لأنَّ العين حق».

ما المقصود بقوله عليه السلام العين حق؟

الجواب: المقصود أنَّ تأثيرها حقيقة في حاق التكوين، وليست خيالاً يخيل، ولا ترائياً يصور في الحسّ.

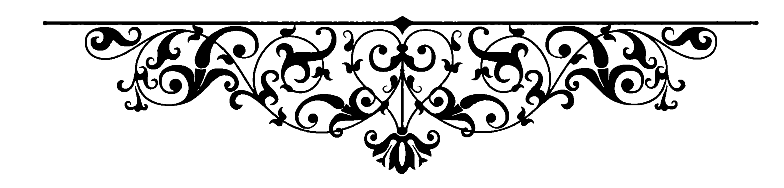
---

(١) التشريع والتكليف.



الفصل الخامس

حوارات، مشاكل وحلول



حوار مع سماحة المرجع الشيخ السند[1]

س: من القضايا المهمَّة التي يكثُر الحديث عنها فيما يرتبط بحركة السلوك إلى الله تبارك وتعالى، قضية الالتزام بالشريعة، فما هي آثار ذلك، خصوصاً في حفظ حركة السالك على الصراط المستقيم؟

ج: إنَّ العروج والتسامي هما في الحقيقة سيرٌ في منازل غيبيَّة وعوامل عظيمة لا يعرف طريقها وسُننها وأوديتها إلَّا من كان محيطاً بالملكوت، وما هؤلاء إلَّا الأنبياء والرُّسل وأوصياؤهم عليهم السلام، لأنَّ الله عزَّ وجلَّ، قد أودعهم هذا العلم المحيط بكيفية الوصول والسير والسلوك والعروج إلى تلك المقامات، ومهما بلغ من شأن العارف أو الزاهد أو المتّقي أو الحكيم أو أيّ صاحب مقام من هذه المقامات المعنوية الكبيرة، فإنَّ معرفته أو إحاطته لن تصل يوماً ما إلى إحاطة الأنبياء، لا سيَّما سيِّد الأنبياء والأوصياء صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وعترته عليهم السلام.

أمَّا السالك، أو العارف، أو الزاهد، أو المتّقي، أو الحكيم، أو صاحب اليقين إنَّما يتلفَّت إلى درب من الدروب، وتغيب عنه بحورٌ ومحيطات كثيرة،

---

(١) نقلًا عن مجلة «شعائر».

ربما لو لم يتّبع منهاج النُّبوَّة وهَدي الإمامة وملَّة الأنبياء لأهوت به تلك المنازل وتلك الرياضات أو تلك السلوكيات إلى حافة الهاوية من حيث لا يشعر، لأنَّ المؤمن يأخذ دينه من ربّه لا من رأيه، والدِّين في الحقيقة يرتبط بالوصول إلى زُلف القربى والحظوة بالقربى الإلهيَّة، ولذلك ورد إلينا في الحديث النبوي: «العلم ثلاثةٌ وما سوى ذلك فهو فضلٌ: آيةٌ محكمةٌ ـ وهي العقائد والمعارف ـ وسُنَّةٌ قائمةٌ، وفريضةٌ عادلةٌ».

وفي الحقيقة توصية الأكابر ـ وهي توصية نبويَّة، وتوصية المعصومين عليهم السلام ـ هي أنَّ من لا ينظر في فقه المعارف من الكتاب والسُّنَّة، أو في فقه الفروع، أو في فقه السُّنن والآداب ـ وهو الفقه الأوسط ـ فسوف ينتابه زَلَلٌ وانحراف وضلال وابتداع وإحداث في الدِّين ما ليس فيه، وكم من شواهد ذلك كثيراً على مرِّ التجارب.

الصلاة.. الذِّكر الأكبر:

س: ورد في الأحاديث الشريفة أنَّ الصلاة معراج المؤمن، هل في ذلك إشارةٌ إلى أثر الصلاة في السير والسلوك إلى الله تبارك وتعالى؟

ج: إنَّ البيان النبويّ بيانٌ للغايات والثمار التي تُنتجها الصلاة، وفي الحقيقة أنَّه في الصلاة يتمّ عروجٌ روحيّ عظيم وكبير وشامخ، وربما لا يستشعره المُصلِّي، فالشُّحنة الرُّوحيَّة، والجرعات المعنوية التي تتفتَّق له في أنحاء من المعارف وفي الانضباط السلوكي، وفي الإرادة، هي كُلّها من غنائم العروج الرُّوحي الذي يتمّ في الصلاة.

أحد مشايخنا العظام، رحمة الله عليه، وهو الميرزا هاشم الأريجاني الآملي يقول: «إنَّ هناك عدَّة من كبار أهل المعنى والتَّقوى والقُرب الإلهي قد

وصلوا إلى مقامات عبر برنامج الصلاة». هذه الصلاة، على المكلَّف والمؤمن أن يتّخذها برنامجاً وهندسةَ رُقيّ، ويراقب النتائج المستثمَرة من هذه الصلاة بلحاظ كُلّ يوم وكُلّ شهر.. كما ورد التأكيد أنَّ آخر صِلة بين الله تعالى وعبده هذا الحبل خشيَ منه الشَّيطان وجنود إبليس؛ والواقع إنَّه هذه الخشية نتيجة لما يستثمره المُصلِّي من هيئات نورية رادعة عن خروقات الشياطين ووسوستهم وميولاتهم.. هناك هيئة نفسانية تحدث لدى الإنسان تكون بمنزلة القوَّة التي تشدِّد على إرادة الإنسان في قدرته، وعلى مناعته عن المعاصي والمنكرات... ففوائد الصلاة أمور جمَّة، يقول أحد أهل المعنى: «متى غنِمنا من غنائم الصلاة كي نبحث عن غنائم أو مشاهدات أو مكاشفات أخرى؟».

فالصلاة أمر عظيم، وشأن كبير، وفيها يتمّ الذِّكرُ الأكبر، ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾[العنكبوت: ٤٥]، وفَّقنا الله وجميع المؤمنين للتعالي إلى معارج أكثر فأكثر بتوسُّط الصلاة وبرنامج الصلاة.

الاستفادة من القرآن الكريم:

س: هل للأُنس بالقرآن الكريم، وتلاوته وتدبُّره، من آثار في القُرب من الله تبارك وتعالى، وفي السير والسلوك إليه عزَّ وجلَّ؟

ج: ورد في الحديث أنَّ القرآن مأدبة الله تعالى، والجالس على تلك المأدبة ينتهل من ألوان الأطعمة النُّورانيَّة والإلهيَّة، وكُلَّما طال جلوسه زاد في الحقيقة نهلاً وانتفاعاً من تلك المأدبة، وفي الحقيقة أنَّ قراءة القرآن بالآداب التي أوصى بها أئمَّة أهل البيت عليهم السلام وهي: «أن يعظ القارئ نفسه ويزجرها عندما يصل إلى موعظة قرآنية، ويُردِّدها مرَّة بعد أخرى لتنفذ تلك المعاني إلى أعماق قلبه ويحصل على الرقَّة وانكسار القلب، أو عندما يصل إلى آيات

مبشّرات أيضاً، كذلك يتدبَّرها ويقرأها مليّاً» هذه كُلّها أمور توجب صقلاً تربوياً نورانياً في النفس، كذلك عندما يصل إلى حُكمها يتدبَّر، فبالتالي سيشاهد ألواناً من الأطعمة النُّوريَّة والمعارف الكثيرة، وتلقائياً سيتربَّى عُلوياً وخُلُقياً بنظام القرآن وتوصياته، فكُلَّما ازداد قراءةً وتَدبُّراً وإمعاناً كُلَّما انصبغ بأنوار القرآن أكثر فأكثر، وكان سابحاً في هداية القرآن تلقائياً لا شعورياً، فيعبَّأ العقل الباطن والذَّاكرة لدى الإنسان بمعادلات وبرامج ونُظم قرآنية، ثم يجعل القرآن محاسباً مراقباً له، وبالتالي يحاسب نفسه: إنَّ هذه هي الوصية القرآنية كيف لا أعمل بها.. وبالتالي سيكون هناك نوع من محاكمة الضمير للإنسان اتجاه المسؤوليات التي يُوصي وينادي بها القرآن الكريم في مقام العمل.

التمسُّك بأهل البيت عليهم السلام ومعرفتهم:

س: أهل البيت عليهم السلام، هم الثّقل الآخر الذي يعصم من الضلال، كما في الحديث المتواتر عن النبي صلى الله عليه وآله، كيف يُسهم التمسُّك بأهل البيت وولايتهم في سير وسلوك أهل المعرفة إلى الله عزَّ وجلَّ؟

ج: في الحقيقة هناك إشاراتٌ قرآنية كبيرة وعظيمة إلى أنَّ التسليم والعبودية ـ وهما من الصفات والمنازل العظيمة التي يرمي إليها السالك ـ لا يحصلان إلَّا بالتسليم لولاية الله عزَّ وجلَّ، المتجلّية في ولاية الرسول صلى الله عليه وآله، وفي ولاية الأوصياء عليهم السلام من بعده، فها هو القرآن الكريم يُبيِّن لنا مثال إبليس الذي أخفق في هذا المنزل العظيم، وهو منزل العبودية ومنزل التسليم، ومنزل الانقياد واللانصياع للباري تعالى، فهو رغم دعواه التسليم بتوحيد ذات الله عزَّ وجلَّ وبالمعاد، فإنَّه أخفق في مقام آخر من مقامات التوحيد والعبودية والتسليم لأمر الله عزَّ وجلَّ في ولاية الخليفة الذي نصَّبه الله عزَّ وجلَّ خليفةً له في الأرض، فمن ثم إنَّ من أكبر المقامات وأكبر العقبات التي تواجه السائر

في تهذيب النفس والسالك في تنوير الرُّوح هو طواعيته للأوامر الإلهيَّة وللحاكمية الإلهيَّة المتجلّية والمتمثلة في ولاية وليّ الله، فهذه الولاية في الحقيقة هي نوع من التجلّي والظهور لولاية الله عزَّ وجلَّ وولاية نبيّه ﷺ، فالإخفاق في هذه الولاية يُمثّل إخفاقاً في مقام عظيم من مقامات التوحيد.

توصيات للأذكار:

س: ما هو الفارق والمميَّز بين الأذكار الشرعية والأذكار غير الشرعية، باعتبار أنَّ توصيات الشريعة وأهل المعرفة تؤكّد الالتزام بالأذكار التي وردت في الشريعة المقدَّسة؟

ج: طبعاً، عموم ذكر الله تعالى مشروعٌ كما ورد في الأدعية: «يا مَن ذِكرُه حُلو»، فعموم ذكر الله عزَّ وجلَّ أمر مشروع، وراجح، وزهيّ، وزاهٍ، ومُبهج، وبالنسبة إلى خصوصيات الأذكار الواردة بأنماط وقوالب وأُطر خاصة في الشريعة - في القرآن الكريم، أو من قِبل النَّبي الكريم ﷺ، أو من أهل بيته عليهم السلام - لا ريب أنَّ لها خصوصياتٍ وتأثيرات خاصة تختلف سواء من حيث المجيء بها في وقت معيَّن، بشاكلة معيَّنة، وبألفاظ معيَّنة، وبشرائط مذكورة معيَّنة.

مثلاً: لدينا روايات تحثُّ على الإتيان بتسبيحات فاطمة الزهراء سلام الله عليها عقيب الصلاة، بأن لا يتكلَّم المُصلّي بعد تسليمه وفراغه من الصلاة (صلاة الفريضة أو بقية الصلوات). إذا أتى بتسبيحة الزهراء عليها السلام بأنَّ لها بالغُ التأثير الخفي الذي لايعلم كنوزَه إلَّا الله عزَّ وجلَّ، ولكن شريطة أن يأتي به من دون أن يتحدث مع أحد، وقبل أن يتلفَّت يمنةً ويُسرة بعد تسليمه من الصلاة.

طبعاً، قد تتخذ الأذكار قوالب أخرى، يعني نفس العبادات هي أذكار، إذا

أخذت قوالب أخرى كقالب الصلاة، والاعتكاف، والحجّ، والعمرة، إذا أخذت الأذكارُ قوالب أخرى، تلك القوالب قد يكون فيها أُطر وضوابط وتحديدات شرعية تختلف عن بقية قوالب الأذكار، فلا بُدَّ أن يؤتى بها حسب المقرَّرات الشرعية.

الكلام بالنسبة إلى عموم الذِّكر اللِّساني، أو الذِّكر القلبي، أو التوجُّه القلبي، ذاك بابه مفتوح لا يقتصر على نمط دون نمط، كُلّ هذه الأنماط مشروعة، مشروعة بعمومات الحثّ على ذكر الله تعالى، وشاملة لها حسب التوصية الشرعية.

وإذا أردنا الخواص الخاصّة لكُلِّ تأثير، فإنَّ الواقفين على بيانات الشرع العديدة والروايات المتواترة المستفيضة المختلفة نوعاً وأنماطاً، يعلمون أنَّ لكُلِّ مقام ومنزل أو خاصية يريد الإنسان أن يصل إليها، هناك ذكر كالمفتاح الأكبر لذلك الغرض، وقد التقينا بجملة من أهل المعنى ممَّن مضَوا رحمهم الله، كانوا قد وُفِّقوا وشدَّدوا إلى كيفيَّة التفطُّن إلى تلك الأذكار، وقفوا عليها من خلال الروايات والبيانات الشرعية الواردة في الكتاب والسُّنَّة بلطف خفي.

العلم الموروث: كسب وإلهام:

س: ما هو العلم الموروث الذي يهتم به كثيراً أهل السير والسلوك، وهو الذي يُشير إليه المروي عن أئمَّة الهدى عليهم السلام ومضمونه: «مَن عملَ بما علِم أورثَه الله علمَ ما لم (لا) يعلم»؟

ج: في الحقيقة هناك جدلية معروفة بين نظريَتَين؛ نظريّة ربما تحسَب أنَّ العلم ليس إلَّا من الباطن، باطن الرُّوح، باطن الملكوت، يُفاض على القلب، وأنَّه ليس للعلم الكسبي أيّ شأن ولا دور، وإنَّما الشأن والمقام كُلّه نابعٌ،

ومنبعه بالتالي الرُّوح والقلب، وما يُفاض على الرُّوح والقلب من إلهامات وتسديدات وما شابه ذلك، أو مكاشفات.

في قبال هذا القول هناك قول آخر يخالف القول الأوّل، مفادُه أنَّ العلمَ دارُه الكسب، ولا بُدَّ منه، وإلَّا لدخلنا في فوضى من الخَبط والتخليط والهلوسة وما شابه ذلك.

ولكنَّ الصحيح أنَّ هناك قولاً ثالثاً جامعاً بين إيجابية كلا القولين، ويتفادى المؤاخذة على كُلٍّ من القولين، القول الثالث هو أنَّ للكسب دوراً ومجالاً، وللإلهامات دوراً ومجالاً، ولا يمكن الاستغناء بأحدهما عن الآخر في التكامل.

مثلاً: في القرآن الكريم قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]. الكتاب هو القرآن الكريم، وهو بيان وهدى ونور للناس أجمعين، لماذا؟

لأنَّ المعاني النُّورانيَّة للقرآن لا تُفاض أو لا يُلتفت إليها إلَّا بعد شرط طهارة الرُّوح الإنسانية، توسُّط التقوى، المتقي يحاول أن يحافظ ويوقي روحه عن التلوُّث بظلمات المعاصي، فإذاً توقية المتقي روحه عن التلوُّث بظلمات المعاصي يؤمِّي للرُّوح التلألؤ، وبالتالي قوَّة بصيرة لدرك معاني الكتاب، فالكتاب مع أنَّه كتاب يُقرأ ومصحف يُتلى، فلا بُدَّ من التدبُّر في تلك المعاني ولا بُدَّ فيها من موضع، وهذا جمع للجَنبتين، الجَنبة الكسبية: القراءة المحسوسة، وجَنبة ضرورة طهارة الرُّوح لفيض الإلهامات من المعاني، فإذاً، هذا منهاج جامع ليس فيه هلوسة ادّعاءات الإلهام، أو ادّعاءات النُّبؤات، ولا هو سجن للمعرفة فقط مجرَّد القراءة ولقلقة اللِّسان، بل هو جامع بين موازين محسوسة من بيانات القرآن الكريم الذي هو من أُمَّهات وأُسس ومنابع

المعرفة، أو الحديث النبوي وحديث المعصومين عليهم السلام، ولكن بضميمة هذا أيضاً ضميمة الطهارة والتقوى لكي تكون الرُّوح مؤهَّلة لأن تلتفت إلى معانٍ نورانية وحقائق نورانية للآيات القرآنية وللأحاديث الشريفة[١].

(١) نقلًا عن مجلة «شعائر».

حوارات مع سماحة المرجع الشيخ محمد السند[1]

معنى المراقبة:

المحاور: بسم الله الرحمن الرحيم، السلام عليكم أحبائنا، وها نحن نلتقيكم ونلتقي عبر خط الهاتف خبير البرنامج سماحة الشيخ محمد السند، سماحة الشيخ وصف السيِّد ابن طاووس رضوان الله عليه بوصف سيِّد أهل المراقبة، سؤالنا في هذه الحلقة أولاً عن معنى المراقبة ثم عن معنى وصفه رحمه الله بهذا الوصف؟

الشيخ محمد السند: بسم الله الرحمن الرحيم، الصلاة والسلام على أفضل الأنبياء والمرسلين محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين.

في الحقيقة المراقبة فيها من القواعد السلوكية والأخلاقية لتهذيب ومعرفة النفس والتحكم في النفس الشيء العظيم والكثير جداً، ولدينا في التوصيات الشرعية أنَّ محاسبة النفس أمر مهم، وفي الحقيقة هذه المحاسبة عبارة عن مراقبة، وهذه المراقبة تتضمن شيء عظيم بيَّنه القرآن الكريم

(١) نقلًا عن كتاب «من عرفاء مدرسة الثقلين».

والمعارف الإلهية من معرفة وتجريد النفس، بمعنى أنَّه يجرد الإنسان حقيقته وحقيقة ذاته عن قواه النفسية وغرائزه، فيقول مثلاً الشهوة تضاف للإنسان، يقول شَهوتي أو عقله يقول عقلي، نفسه يقول نفسي، فهو يرى نفسه شيء وراء هذه الأمور، وهذه الحقائق تشرفه على برج مراقبة وهيمنة في التحكم، وفي رصد أفاعيل وانجذابات وميول النفس وكل سكناتها وكل إثاراتها وثوراتها وكيفية إخمادها، وبالتالي يفتح الإنسان باب واسع من تجريد حقيقة ذاته عمَّا هي قوى خادمة له.

المحاور: هل يمكن أن يفهم أنَّ المراقبة هي نوع من حفظ للنفس عمَّا لا يرتضيه الله تبارك وتعالى؟

الشيخ محمد السند: هي أحد غاياتها المهمة.

المحاور: يعني إطارها أوسع من هذا المعنى؟

الشيخ محمد السند: طبعاً لأنَّها في الحقيقة تعبد طريق الإنسان إلى جانب أن يتمكن من التعالي على طبقات عديدة في ذاته يحسبها سابقاً أنَّها هي ذاته، وهي خوادم وليست عين ذاته، ومن ثم الإنسان ربما يوبقه ويرديه في المهلكات بحسبان أنَّها هي ذاته، وهي خوادم فيطغي الخادم على المخدوم، ومن ثم هذا باب وسيع وعظيم جداً، المراقبة باب يميِّز الإنسان عن النفس الأمَّارة، أنَّ ذاته غير النفس الأمَّارة التي تدعوه إلى الشر.

المحاور: يعني الجانب الآخر من معنى المراقبة يمكن أن يفهم فيها حفظ للنفس من جهة، ومن جهة أخرى هي تعبيد النفس لله تبارك وتعالى؟

الشيخ محمد السند: تعبيد النفس لله تعالى وتأمير للعقل وتعبيد للهوى بدل أن يكون العقل أسير والهوى أمير، لكن هذا يتم عندما الإنسان يقفز

ويصعد إلى برج المراقبة، ومتى يصعد إلى برج المراقبة؟ عندما يلتفت إلى أنَّ هناك غرائز واتجاهات عديدة وهناك قوى عديدة في ذاته يحسبها أنَّها هي ذاته وهي خوادم.

وبالتالي فهناك مراقِب وهناك مُراقَب، فإذا استطاع الإنسان أن يُجرّد ذاته، وهذا ما أشير إليه في الآيات والروايات ووقع فيه العرفاء والفلاسفة وهم في حيرة في معنى هذا المطلب الموجود في الآيات والروايات، الإنسان من عرف نفسه عرف ربّه، فكيف إذا الإنسان غير غضبه وشهوته وعقله، إذا استطاع الإنسان حين أذن أن يجرد ذاته عن تلك الأمور، بالتالي سوف يصل إذن إلى المقامات، سوف يهيمن ويتحكم لأنَّه سوف يعرف أنَّ ذاته غير تلك الأمور، ونزعات تلك الأمور غير تلك الأمور، نزعات تلك الأمور ليست نزعات نفسه، ليس فيها متطلبات وحوائج وحاجيات نفسه، إنَّما هي حاجيات نفسها ذواتها، تلك الخوادم وتلك القوى الخادمة له، فكيف ينصاع ويطيع ويصهر نفسه لمطالب وحاجيات من تكون قوى خادمة له، بينما هو المفروض أن يكون مخدوم، فمن ثم يوجد الإنسان نوع من الموازنة وهي العدالة، والعدالة نوع من الموازنة بين القوى، يعطي كل قوى حاجته، ولا يفرط ولا يغالي ولا يغرق فيها، يعطي الشهوة حجمها، والغضب حجمه، والغرائز حجمها، والخيال حجمه واللذة من درجات مختلفة، ويعطي التفكُّر حجمه، فمن ثم إذن تتعادل القوى في أداء أدوارها الخدمية لما هو حقيقة ذات الإنسان.

السير والسلوك إلى الله تعالى:

المحاور: سماحة الشيخ سؤال هذه الحلقة من برنامج من عرفاء مدرسة

الثقلين، عن قضية التقرُّب إلى الله تبارك وتعالى، ما المقصود منها، وما المُراد من السير والسلوك إلى الله تبارك وتعالى والقرب منه عزَّ وجلَّ؟

الشيخ محمد السند: بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين.

طبعاً القرب هنا، إن كان السؤال عن القرب، أو السؤال هدف عن السير والسلوك، كلا صورتي السؤال متقاربة هنا، المُراد ليس سير النفسي أو السير المقداري، وإن عُبِّر أنَّ النفس لها منازل وعقبات، كما يعبّر الإمام الرضا ويقول (سلام الله عليه) في الآية: «إنَّ منكم إلَّا ورد على النار» قال: «جزناها وهي خامدة».

يعني يُبيِّن أنَّ النفس تمرُّ بهذه العقبات التي سيشاهدها يوم القيامة وهو الآن يتعايش، وللنفس سير تكويني وعوالمي ومنازل في هذه العوالم بحسب أعمالها ﴿ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ * وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ﴾ [البلد: ١١ ـ ١٢].

هذه عقبات في تكامل النفس وسيرها ﴿ فَكُّ رَقَبَةٍ * أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ * يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ * أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ * ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ﴾ [البلد: ١٣ ـ ١٧]. إلى آخر السورة.

إذن هناك ما يعتلج ويعرج في نفس الإنسان من عقبات أو رياضات أو تمردات، أو أحوال، هذه كاشفة وتنم عن حالة تكامل وسير تكاملي وتعالي، أو لا سمح الله تسافل وهوي ودركات للنفس، إمَّا تتعالى وإمَّا تتسافل وتهوي إلى الدركات، فهذا التعالي وهذا التدارك سير، ولكن ليس سير جغرافي كما مر بنا، وإن كان هذا السير قد يكون منازل برزخية، وقد يكون جغرافياً برزخية، أو سير أخروي وسير محشري ومعادي، وفيه جغرافيا المعاد وليس جغرافيا

الدُّنيا، مواقع ومنازل فيها، هذا طبعاً بالتأكيد موجود، ولكن لا يقتصر أيضاً على السير المقداري بلحاظ مقادير عالم البرزخ، أو مقادير عالم القيامة أو عالم الجنَّة، لأنَّ كلها أجسام لطيفة وشفافة ذات طاقات وذات بهاء وذات نوع أرقى جداً.

أقول: لا يقتصر السير النفساني للإنسان بحسب الأبدان على تلك فقط، بل هو سير مقداري وبالتالي هو موجود، بل هو أيضاً سير معنوي، ولا أقصد من السير المعنوي ما يقابل المادة الفيزيائية الدنيوية فقط، ولكن حتى بلحاظ العقل وبلحاظ الرُّوح، التي ليس فيها جنبة مقادير.

المحاور: عفواً سماحة الشيخ، هل يمكن تقريب الذي تفضلتم به استناداً إلى ما ورد في الأمر النبوي: «تخلقوا بأخلاق الله» يعني هناك تكون ثمرة السير وإزالة العقبات التي تشير إليها الآيات الكريمة، إزالة لما يحجب الإنسان عن ربّه من أخلاق تنافي أو تضاد أخلاق الرَّبّ تبارك وتعالى؟

الشيخ محمد السند: كما ذكرت السير على نمطين، وهذا السير سير معنوي محض، يعني ليس فيه جنبة مقادير، وبعض صفات النفس من هذا القبيل وليس الصفات فقط والأخلاق، لأنَّ كل خلق في الواقع وليد المعرفة،والسير في المعرفة أيضاً سير في بعده المعنوي البحت، يعني ليست فيه جنبة مقادير وهو فوق السير الأخلاقي.

المحاور: السير الأخلاقي يمكن أن يكون جزءاً منه؟

الشيخ محمد السند: نعم يتوازى معه ويواكبه ويكون وليد ومعلول له أوموطئ ومعد له، كما أنَّ العمل يكون مقدمة لإيمان أكثر، والإيمان يكون أيضاً مقدمة لعمل بنحو تناوبي، ونحو مراتب تتلو وتتعاقب تلو بعضها البعض،

ولا تنافي ولا تدافع في ذلك، فعلى أي تقدير القرب منه تعالى، لأنَّ الباري تعالى ليس له بقعة جغرافية أو مكانية، القرب منه تعالى بالتكامل، كُلَّما كمل الإنسان أكثر اقترب من الباري معرفة، اقترب من الباري إيماناً، لأنَّ حتى الجغرافيا حينما نقول شيء قريب من شيء لأجل المعرفة والعلم والإحاطة أو الارتباط، أو ما شابه ذلك بمعنى الاغتنام أو الاسترفاد طبعاً بالنسبة للعبد مع الخالق، كُلَّما اقترب أكثر استرفد من الكمالات أكثر، كمل أكثر، يعني نهل من الذات الأزلية كمالات أكثر، ونعم أكثر وبهاء أكبر وعلوّ أكثر لذلك قرب الله كما أنَّ قرب الله من المخلوقات قرب سيطرة لثقل جغرافي كما يقول المجسمة، وإنَّما المقصود منه هو قرب هيمنة وعلم، نعم إذن كمال القرب من جهة العلم والسيطرة، طبعاً الباري تعالى قريب من جميع خلقه، لكن خلقه كصفة للخلق ليسوا قريبين ولكن مقربين، هناك اصحاب اليمين وأصحاب الشمال ومبعدين كإبليس، فكيف يقترب الإنسان من ربّه بأن أقرب الناس، أحسنكم خلقاً في التعبير، يعني حسن الخلق ومكارم الأخلاق تنمّ عن كمالات ومكارم، كمالات سواء معرفية تولدت له كأخلاق، فالقرب منه تعالى بالتالي هو تكامل.

البُعد العرفاني في نهج البلاغة:

المحاور: سماحة الشيخ حبذا لو تعطوننا في هذه الفقرة والأخوة والأخوات لمحة عن قضية البعد العرفاني في نهج البلاغة، الذي كان له عمق التأثير على عارف هذه الحلقة الشيخ ميثم البحراني (رضوان الله عليه).

الشيخ محمد السند: بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أفضل الأنبياء والمرسلين محمَّد وآل بيته الطيبين الطاهرين.

في الحقيقة يحتل ويشغل جانب ترويض النفس ومعالم السلوك في

خطب نهج البلاغة وحكم نهج البلاغة مساحة جداً ضخمة وكبيرة، وبالأحرى بيان حتى معالم المعرفة النظرية ما يُسمَّى بالعرفان النظري، أو معالم المعرفة العملية السلوكية، أو ما يعرف بالعرفان النظري، مثلاً خطبة الوسيلة، أو خطب أخرى كثيرة معروفة ومعهودة تشتمل على حكم جمة وقواعد في السلوكيات اليومية، وتورث مراعاتها بالغ الحكمة في مقامات ومنازل الإنسان.

فلا غرو في ذلك أنَّ الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام هو أمير فرسان المجاهدات النفسية، وهو إمام المتقين، وهم أصحاب المناهج والمسارات ذات الشأن النُّوراني الكبير في رياضات النفس، منها خطبة المتقين وخطب كثيرة، إن تمَّ للإنسان مراعاة مجموعة تلك القواعد فسيصل إلى مقامات ومنازل كثيرة.

ومن طريف الشروح على نهج البلاغة شرح «ابن ميثم»، حيث إنَّه تناول هذه الجنبة وهذا البعد والمنحى في شرح خطب نهج البلاغة، قراءة وشرح بديع، حاول أن يستنبط الكثير من قواعد السلوك في العرفان العملي من خطب نهج البلاغة وبيان المنازل، وحري بعلماء الشيعة وحري بالدراسات العرفانية أن تنكب دراساتها كمحور على خطب نهج البلاغة.

وشروح ابن ميثم لا سيَّما أنَّ ابن ميثم من الواصلين الكبار إلى مقامات كثيرة، ويظهر ذلك من نفحات والدرر التي يبثّها بين الفينة والأخرى ممَّا استفاد من نهج البلاغة، وممَّا وصل وتحقَّق هو من تلك المنازل والمقامات.

في الحقيقة لذلك أخذ جملة من العلماء الأعلام، أنَّه قضى وقته في شرح ديوان مثنوي أو مولوي، ظاهراً من الأمر، بينما لو انكب على دراسة نهج البلاغة كما صنع ابن ميثم، لأورث باب هذا العلم الكثير من الدرر والجواهر التي يهتم بها الباحثون.

ففي الحقيقة هناك عدَّة مناهج وصياغات سلوكية بيَّنها أمير المؤمنين في جملة من الخطب، سواء بتلوينات مختلفة أو بأنواع مختلفة، ولم يقتصر على منهج واحد، منهج الحب، منهج الملامة للنفس، المناهج العديدة التي تُسمع عند الصوفية وعند العرفاء، من ثم هم نسبوا أنفسهم إلى كل هذه السلاسل العرفانية والمدارس، نسبت نفسها إلى علي بن أبي طالب وتتشرف بالنسبة إليه لما في خطب أمير المؤمنين ومناهجه من بيان مدارس، ومناهج، وطرق، ومنظومات، وقواعد عديدة مختلفة المسارات، إلى أن تصل إلى الغاية الواحدة المنشودة من تعالي وتكامل النفس، ولو شاهد الإنسان من باب المثال الفوارق المذكورة في القواعد السلوكية في خطبة المتقين المعروفة، التي خطبها لهمَّام فصعق همَّام، وبين خطبة الوسيلة، فهي على درجات يعني تلك القواعد التي بيَّنها عليه السلام.

بالتالي لو تقام تلك الدراسات السلوكية على ضوء بحث تام لمجموع الخطب، وتجميع القواعد المذكورة فيها، وذكر الفواصل والمميزات بينها، لوقفنا على تراث ضخم ودرر ثرة في هذا المجال، عسى الله أن يقيض الكثير من الباحثين المحققين لشرح تلك المنهاهج التي بيَّنها أمير المتقين، أمير المؤمنين، إمام الموقنين وسيِّد الوصيين.

ما المُراد بالعلم الموروث؟

المحاور: سماحة الشيخ سؤالنا في هذه الحلقة عن المُراد بالعلم الموروث، في هذا الحديث الشريف الذي يهتم به كثيراً أهل السير والسلوك، وهو المروي عن أئمَّة الهدى مضمونه: «من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم أو ما لا يعلم» ما المقصود بهذا العلم؟

الشيخ محمد السند: بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على أفضل الأنبياء والمرسلين محمَّد وآل بيته الطيبين الطاهرين.

في الحقيقة هناك جدلية معروفة بين نظريتين:

نظرية ربما تحسب إنَّ العلم ليس إلَّا من الباطن، باطن الرُّوح، باطن الملكوت، يفاض على القلب، وليس للعلم الكسبي أي شأن ولا دور، وإنَّما الشأن والمقام كله نابع ومنبعه بالتالي الرُّوح والقلب، وبالتالي ما يفاض على الرُّوح والقلب من إلهامات وتسديدات وما شابه ذلك أو مكاشفات.

في قبال هذا القول، هناك قول آخر يتنازل القول الأول قول ثاني، العلم داره الكسب ولا بُدَّ منه، وإلَّا لدخلنا في فوضى من الخبط والتخليط والهلوسة وما شابه ذلك.

ولكن الصحيح أنَّ هناك قول ثالث، جامع بين إيجابية كلا القولين، ويتفادى المؤاخذة على كل من القولين.

القول الثالث هو أنَّ للكسب دور ومجال، وللإلهامات دور ومجال، ولا يمكن الاستغناء بأحدهما عن الآخر في التكامل، بل لا بُدَّ منهما في التكامل، وبيان ذلك مثلاً، ننظر في القرآن الكريم في قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ٢] إذن معنى الكتاب هو القرآن الكريم، بيان وهدى ونور للناس أجمعين، إلَّا أنَّه سبحانه وتعالى خصَّه في سورة البقرة للمتقين، لماذا؟

لأنَّ المعاني النُّورانيَّة للقرآن لا تفاض على أو لا يلتفت إليها، لا تفتح مسامع القلب وعيون القلب والرُّوح بالالتفات إلى تلك المعاني إلَّا بعد شرط وهو ماذا؟ وهو طهارة الرُّوح الإنسانية توسط التقوى، المتقي يحاول أن

يحافظ ويوقي روحه عن التلوث بظلمات المعاصي، فإذن توقية المتقي روحه عن التلوث بظلمات المعاصي، يؤمن الروح التلألأ، وبالتالي قوة بصر لدرك معاني الكتاب، فالكتاب مع أنَّه كتاب يقرأ ومصحف يُتلى، لكن التدبُّر في تلك المعاني لا بُدَّ فيها من موضع، وهذا جمع للجنبتين، الجنبة الكسبية القراءة المحسوسة، وجنبة ضرورة طهارة الرُّوح لفيض الإلهامات من المعاني، فإذن هذا منهاج جامع ليس فيه هلوسة ادّعاءات الإلهام أو ادّعاءات النبوات، أو من يهلوس ويدّعي مقامات عديدة من دون ضابطة، ولا هو سجن للمعرفة فقط مجرد القراءة لقلقة اللِّسان، بل هي جامعة بين موازين محسوسة من بيانات القرآن الكريم، الذي هو من أُمَّهات وأُسس ومنابع المعرفة أو الحديث النبوي وحديث المعصومين عليهم السلام، ولكن بضميمة هذا أيضاً ضميمة الطهارة والتقوى لكي تكون الرُّوح مؤهّلة لأن تلتفت إلى معاني نورانية وحقائق نورانية للآيات القرآنية وللأحاديث الشريفة.

المحاور: لنا وقفة قصيرة عند هذه الرسالة القيِّمة، ولكن بعد تتمَّة حديث خبير البرنامج سماحة الشيخ محمد السند عن العلم الخاصّ الذي يورثه الإخلاص في العمل:

الشيخ محمد السند: الإلهام أو ادّعاءات النبوات، أو الكثير ممَّن يهلوس ويدّعي مقامات عديدة من دون ميزان وضابطة، ولا هو سجن للمعرفة فقط مجرد القراءة ولقلقة اللِّسان بل هي جامعة بين موازين محسوسة من بيانات القرآن الكريم، الذي هو من أُمَّهات وأُسس منابع المعرفة، أو الحديث النبوي وحديث المعصومين عليهم السلام، ولكن بضميمة ماذا أيضاً؟ بضميمة الطهارة والتقوى، لكي تكون الروح مؤهلة لأن تلتفت إلى معاني نورانية وحقائق نورانية للآيات القرآنية وللأحاديث الشريفة، لذلك نلاحظ في قوله تعالى في

سورة الواقعة: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ * فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ * لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٧ ـ ٧٩].

طبعاً هذه الآية وإن كانت خاصة بآيات التطهير وبالمعصومين الخمسة أصحاب الكساء وذرّيتهم التسعة المعصومين ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٣٣] المطهرون لا المتطهرون بالتوبة أو بالوضوء والغسل، المُطهّرون الذين طهّرهم الله، ولكن في الآية إشعار الطهارة في غير المعصومين، بقدر ما يتأتى للإنسان من تطهير وطهارة، يستطيع أن يرتقي وأن ينال منالاً من منازل القرآن، فإنَّ للقرآن حقائق ومنازل لا يصل إليها بشكل كامل إلّا المعصومين، ولكن الدرجات المتوسطة أو الدرجات التي هي أيضاً غائبة، تحتاج إلى طهارة، تحتاج إلى تقوى، ففي الحقيقة ليس فقط في سورة البقرة وسورة الواقعة، لكن في سور عديدة يدلل القرآن الكريم أنَّ الانتهال والاغتراف من حقائق القرآن وبياناته وأنواره وهداياته بجانب القراءة والتلاوة، ومعرفة التفسير والدراسة والعلوم الكسبية، لا بُدَّ من الطهارة التي تحصل بالتقوى وتحصل بالمجاهدة ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾ [الأنفال: ٢٩].

التقوى توجب أهلية النفس لأن تدرك المعاني، وتفرّق وتميز بين المعاني وبين الحق والباطل وما شابه ذلك، وإن كان بضميمة جناح العلوم الكسبية، فهما جناحان يطير بهما الإنسان، لا جناح واحد، بجناح واحد لا يطير، لا بجناح العلوم القلبية فقط، ولا بجناح العلوم الكسبية، بل بكليهما يكون التوازن، يكون هناك الميزان، يكون هناك انضباط، يكون هناك قواعد مرعية، وليس هلوسات خبطية، نعم فالجميع هو الجمع في الكمال، والكمال يتم فيمن يراعي كلا الجنبتين، ومن ثم لا يستطيع العارف أن يستغني عن القرآن، لأنَّ القرآن هو وحي النُّبوَّة، ولو كابد ما كابد عارف أو صوفي أوما

شابه ذلك، أو أي سالك لم يصل إلى ما وصل إليه سيِّد الأنبياء من الوحي، ومن حقائق الغيب المودعة في القرآن الكريم، أو المودعة في حديث النبي وعترته الطيبين، القرآن والعترة هما الثقلين.

إذن القرآن والعترة هي حصيلة الوحي النبوي، فكيف يمكن أن يتوهم عارف أنَّه يصل إلى ما وصل إليه النبي، فمن ثم لا يستغني عن الكسب، كسب هذه العلوم النقلية للوحي النبوي، فالجمع هو طريق الكمال، وكم شاهدنا على أية حال من العرفاء من انزوى عن العلم الكسبي، واقتصر على مجاهداته النفسية، شط به المسار إلى شذوذات، وإلى انزلاقات، وإلى انحرافات غير موزونة، ومن لم يشط بهم الحال بقوا على مسافات أو مستويات متدنية، كذلك من جمع بين المجاهدات الرُّوحيَّة وتحصيل العلوم الدِّينيَّة، التي هي علوم الوحي، نعم وصل إلى شأن كبير من المقامات، نعم كذلك من يقتصر على العلوم الكسبية ولا يهذب نفسه ولا يراعي ترويض النفس، ولا طهارة النفس، ولا التقوى، ولا المجاهدات النفسية، يبقى إدراكه لألفاظ الوحي وعلوم الدِّين والنقل والتراث الديني، يبقى فهمه متديني، سطحي، حشوي.

أما من يراعي الجنبتان، تفتح له الآفاق على قدم وساق، فيكون قد ربي وروض نفسه إعداد تمهيدي لأن يفاض عليه بتوسط العلوم النقلية علوم القرآن وعلوم أحاديث النبي وآل بيته، الثقلين نعم يفاض عليه الالتفات على المعاني العالية الرشيقة النفسية.

الإخلاص من الأركان الأساسية للتقرب إلى الله تبارك وتعالى:

المحاور: سماحة الشيخ فيما يرتبط بالإخلاص الذي يعدّه أهل السلوك من الأركان الأساسية للتقرب إلى الله تبارك وتعالى، ما هو المقصود منه وما هي سبل التحلي به؟

الشيخ محمد السند: بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على أفضل الأنبياء والمرسلين محمّد وآل بيته الطيبين الطاهرين.

في الحقيقة الإخلاص ربما يتبادر عند عموم الناس أنَّه التخلص من الرياء، ولكن هذا معنى من معاني الإخلاص، ودرجة من درجات الإخلاص، وإيضاً الإخلاص هو الخلوص من كُلِّ نزعات النفس والذات والميول، وربما يُعرّف بتعريف أوسع وأعم من ذلك، بأن يُقال: الإخلاص هو التخلّص من كل ميول، ليست تتجه به إلى الله عزَّ وجلَّ حيث إنَّه ذو درجات، التخلّص من كل الميول تكون بنقاء وخلوص وإخلاص، ومادة الخلاص والإخلاص والخلوص هي مادة واحدة

وفي الحقيقة تتقارب هذه المعاني من بعضها البعض، ومن ثم الخلوص والخلاص والإخلاص معاني تعد لبعضها البعض، وترتبط ببعضها البعض، وبالتالي نزعات النفس ورغبات النفس تختلف متعددة ومتكثرة، والرياء نوع من أنواع أو نمط من أنماط، مع أنَّه في نفس الرياء، قد ورد في الحديث الشريف النبوي: «إنَّ الرياء في الناس أو في الأُمَّة بعضه خفي كدبيب النمل الأسود في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء السوداء فكيف يحسّ به؟!».

هكذا يعني دقته، فبالتالي هو يرجع إلى نزعات النفس، وأنَّ نزعات النفس ورغبات النفس والانطلاق في الأفعال أمر شديد جداً وذو درجات عديدة وكثيرة، ولكن على أية حال مراقبة النفس كفيلة في حركة الإنسان ومعالجتها التدريجية، وبناءً لمثل هذه الصفة النبيلة العظيمة، التي هي تعتبر صفة في درجاتها العالية، أعظم من صفة اليقين فضلاً عن صفة التقوى، وفضلاً عن صفة الصلاح.

المحاور: يعني سماحة الشيخ سبل التحلي بالإخلاص تتمحور حول

مجاهدة النفس حول مراقبة النفس، أن تكون حركاتها وسكناتها في الطريق الموصل إلى الله تبارك وتعالى، وإلى ابتغاء وجهه تبارك وتعالى؟

الشيخ محمد السند: نعم يعني بحيث يكون السبيل إلى الله تعالى هو منطلق الحركة إلى الباري تعالى، نلاحظ درساً عظيماً سطَّره أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام مثلاً في قتل عمرو بن عبد ودّ العامري، حيث بصق ذلك اللعين في وجه الأمير عليه السلام فأتأد في قتله حين المبارزة لكي يذهب شعلة الغضب من نفسه الشريفة، فيكون قتله خالصاً لوجه الله تعالى، وإن كان قتله يصب في سبيل الله، ولكن لكي يكون المنطلق أيضاً هو سبيل الله ووجه الله عزَّ وجلَّ، فمن ثم كانت ضربة علي يوم الخندق أعظم من عبادة الثقلين، فبالتالي هذه موازين ودرجات كثيرة.

ما هي حقيقة الزهد الذي يشكل أحد المعايير لحركة السير والسلوك:

المحاور: سماحة الشيخ سؤالنا في هذه الحلقة من برنامج من عرفاء مدرسة الثقلين عن قضية الزهد، ما هي حقيقة الزهد الذي يشكل أحد المعايير الأساسية والأركان الأساسية لحركة السير والسلوك إلى الله تبارك وتعالى؟

الشيخ محمد السند: بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين.

الزهد على أنواع، منها ما هو مذموم، ومنها ما هو ممدوح، والممدوح على درجات وكمالات، والمذموم منه ما كان زهداً في الدُّنيا لأجل الدُّنيا، ربما يتزهد الإنسان لأجل الشهرة والسمعة، أو لاجل أن يرتقي إلى موقعية في نفوس الناس، أو موقعية في القدرة، أو موقعية معيَّنة ممَّا هي في دار الدُّنيا،

فهذا ما يُسمَّى الزهد لأجل الدُّنيا، وليس الزهد لأجل الزهد، وإنَّما الزهد لأجل الطمع، فهذا مذموم.

نعم هناك زهد عن الدنيا لأجل الآخرة ممدوح ولكنَّه ذو درجات، تارة الزهد عن الدنيا ومطامع الدنيا لأجل الرغبة في الآخرة والرغبة في الجنَّة، والرغبة في ملاذ الجنَّة، هذا درجة من الكمال وليس مذمومة في نفسها كما يصور بعض العرفاء، أو أهل المعنى بل يكون حطيطاً في هذه الدرجة إذا لم تقترن هذه الرغبة إلى الله عزَّ وجلَّ.

طبعاً هناك زهد أرفع من ذلك أيضاً، وهو الزهد في الدنيا وفي الشهوات والرغبات، لأجل أبصار مساوئ الدنيا وسموم الدنيا ومصائب الدنيا، وبالتالي يكون هذا عن بصيرة، أو الزهد عن مساوئ الدنيا وعن ملاذ الدنيا، ليس فقط لأبصار مساوئها ومضارها وسمومها، بل لأجل حجبها عن ذكر الله، والتوجُّه إلى الحضرة الإلهية، ودوام ذكر الله والأُنس وصفاء المحبة مع الله تعالى.

هذا طبعاً درجة أعظم من جهة الدواعي، يُقسّم الزهد إلى دواعي، وله احكامه.

من ناحية أدوات الزهد أيضاً قد ينقسم إلى أنواع وأقسام، فليس الزهد كيان مفصلي وملحمي موجود في القرآن الكريم.

وفي بيانات السُّنَّة وأهل البيت عليهم السلام، ليس الزهد أن لا تملك شيئاً، وإنَّما الزهد أن لا يملكك أي شيء، وربما من لا يملك شيء وهو ليس بزاهد، وربما يملك كل شيء وهو زاهد، فمن حيث أدوات الزهد تختلف كما أنَّه قد ذمّ في القرآن الكريم، وفي الحديث الشريف عن أدوات الزهد التي فيها طلاق الدنيا بالمرة، كأن يعيش الإنسان في صومعات أو في كهوف الجبال، كالرهبانية

المسيحية أو ما شابه ذلك، أو يسيح في الأرض بحيث لا يكون له قرار ومقر، فهذه أدوات من الزهد قد يمارسها الصوفية والمرتاضين.

هذه ليست ممدوحة إنَّما أدوات الزهد هي نفس برنامج السُّنَّة النبوية ومنهاج أهل البيت عليهم السلام، تلك طريقة فيها تحمل المسؤولية والمكابدة، في حين عدم فتح المجال لغلبة النفس وغرائز النفس، وهذا هو أصعب مكابدة من ذاك الذي يذبح النفس، ويتخلص من المجاهدة معها، بأن يبتعد بالمرة عن طريق الامتحان، لذلك كانت شريعة سيِّد الأنبياء أصعب وأكمل من سُنن الأنبياء من قبله لربما في تلك السُّنن كانت أسهل في امتحان النفس، ولن تكن مكابدة شديدة مع النفس، ولكن هذه الطريقة النبوية، وهذه السُّنَّة النبوية فيها مكابدة أكثر، في حين أن لا تبتعد عن تدبير الدنيا وعمارة الدنيا، في حين أن لا يخرج الإنسان إليها ولا ينشد إليها ولا ينحبس بها، فيظل دائماً في حالة مكابدة وفي حالة امتحان، فمن ثم كانت هي أعظم وأكرم السُّنن فمن حيث الأدوات هذه أمور أخرى.

المحاور: سماحة الشيخ فيما يرتبط بأعلى مراتب الزهد عدة مراتب متعددة، يقابلها بالتالي نتائج متناسبة معها، يعني عندما نلاحظ مثلاً مراتب الجنان أو رضوان من الله أكبرُ تكون لزاهدين في مراتب أعلى من الزهد؟

الشيخ محمد السند: في الحقيقة الرغبة في ملاذ الآخرة، هناك نظرتان، نظرة معروفة أنَّ تلك عبادة التجار، ونظرة ربما نجدها في مجموع روايات أهل البيت، ونشاهدها في سيرة المعصومين أنَّ الرغبة في ملاذ الآخرة ليس هو منزلة من الكمال نازلة بنحو مطلق، إنَّما متى ستكون نازلة؟ إذا اقتصر عليها الإنسان، لأنَّ الإنسان هو نفسه ذو درجات إذا كان الإنسان يرغب نفسه النازلة

في ملاذ قلبه وروحه العالية فيما معارف الباري تعالى في الصفات الجمالية لله تعالى، في المعارف العظيمة التوحيدية تلك أعطى لكُلٍّ درجة حقها.

وليس معنى عبادة الأحرار أن لا يرغب الإنسان نفسه في ملاذ الآخرة أو حور العين أو الأكل، فالشاهد في ليلة من الليالي في الرواية رؤية للإمام زين العابدين عليه السلام وهو لابس أجمل ثيابه في السحر وكأنَّه ذاهب إلى الزفاف وكأنَّه ذاهب إلى بهجة ومجلس أُنس، فسئل: إلى أين يا ابن رسول الله؟ قال: إلى مسجد جدي لأخطب الحور العين.

يعني يقول عليه السلام: إنَّ التهجد في الليل وما شابه ذلك ثمرة من ثمار خطبة حور العين.

وهذه الرغبة ليست عبادة التجار، متى تكون الطمع في الجنَّة عبادة التجار، وليس عبادة الأحرار إذا اقتصر الإنسان عليها.

أما إذا رغب الإنسان نفسه في درجاته النازلة لما تستهويه النفس في نزولها، ورغب النفس أو الرُّوح الإنسانية في معاليها بما تستهويه من المعالي، قد أعطى حينئذٍ كل شيء حقه.

من الخطأ الشائع ربما في بحوث الأخلاق، أو في بحوث السير والسلوك، إنَّ مجرد الطمع في ملاذ الآخرة هذا ليس من العبادة الكاملة، إنَّما هي في الدرجات النازلة أو الحطيطة، إنَّما يكون من العبادات الحطيطة، فيما إذا لم يقترن الرغبة في المعالي، وبعبارة أخرى يشبه الملَّا صدرا، وقد التفت إلى هذه الرواية في أنَّ أهل البيت عليهم السلام: «إنَّ النفس كالدابة يهمها علفها»، لا بُدَّ أن ترغب في علفها، وأما الملك في الإنسان فهو قلبه وروحه وعقله، فذلك يرغب في المعارف، يرغب في العقائد الحقة العلوم وما شابه ذلك، فإذن

يعطي كل شيء حقه، تلك حينئذٍ تكون عبادة الأحرار، لا ما أشاع من تعريف عبادة الأحرار أنَّها في مضادة تامة مع الطمع في الجنَّة أو الخوف من النار.

ولذلك نجد في سيرة أئمَّة أهل البيت عليهم السلام كثير الترهب، هذا ليس يعني أنَّه عبادة العبيد، إنَّما يكون عبادة العبيد إذا اقتصر على هذا الداعي، وأما إذا رافقه أيضاً رغبة في العلوم في المعارف وما شابه ذلك، تلك تكون العبادة الجامعة، وتوفية لكل درجة من النفس حقها، وهذا على أية حال، ربما خفي على كثير من هذه الكتب الموضوعة في هذه الأبحاث، كما في الحقيقة: «النكاح سُنتي فمن رغب عن سُنتي ليس منِّي»، يظن أنَّ سير الكمال ينقطع عن النكاح ينقطع عن الأزواج، بينما سُنَّة النبي أن يعطي الإنسان لكل درجة من النفس حقها، ليس منَّا من ترك دنياه لآخرته أو ترك آخرته لدنياه، وأنَّ من سعى بدنياه لآخرته، هذا الجمع صعب مستصعب لكنَّه هو الأكمل في السُّنَّة النبوية.

مقام الرضا بقضاء الله تعالى:

المحاور: سماحة الشيخ سؤالنا في هذه الحلقة عن المراد بمقام الرضا بقضاء الله، مع الطمأنينة بحسن اختياره تبارك وتعالى للعبد، هذا المقام يُعدّ من المقامات المهمة لأهل السلوك، ما المراد منه بصورة مجملة؟

الشيخ محمد السند: هذا المقام والمنزل في الوقع، منزل عظيم وليس من المنازل المتوسطة، وإنَّما هو من غايات المنازل الكبيرة، أو ربما تعدّ النهائية ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ * ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ﴾ [الفجر: ٢٧ ـ ٢٨].

فمقام الرضا فوق مقام الصبر.

ومقام الرضا فوق مقام الاستقامة.

ومقام الرضا بالتالي فوق مقام التوكل، لأنَّ فيه نوع من الارتياح والرغبة، والشوق لما يحكم به الله عزَّ وجلَّ من قضاءه وقدره.

وهذا لا يصل إليه الإنسان معرفياً إلَّا بعد أن تتضح له وجوه الحكمة في قضاء الله وقدره، ويصبح على حالة إيقان، والإيقان لا يستحصله الإنسان، إلَّا بعد أن تتوسع لديه رصيد المعرفة، وتتروض لديه قواه النفسانية، منصاعة ومنقادة ومطيعة لقواه المعرفية، بحيث يطلعها ويروِّضها على ما تشاهد من بصائر، فبالتالي مقام الرضا، ينمُّ عن جملة من الكمالات العملية الوليدة لجانبين مضافاً يعني إلى الجانب السلوكي، وليدة للجانب المعرفي والرصيد البالغ، فيعلم أنَّ الله عزَّ وجلَّ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦ﴾[الطلاق: ٣] و«وحكمة بالغة» في أفعال الله وأحكامه وقضاءه وقدره.

وإنَّ تلك الحكمة والغاية في كل ما يتنزل من قدر ويبرم من قضاء، يرمو ويصبو ويقود إلى غايات هي في سعادة الإنسان وكماله، ومن ثم لا يتمرَّد، ولا يجحد، ولا يستعصي على فعل، أو حكم أو قضاء إلهي، كالذي حصل من الجانب السلبي من إبليس، مع قضاء الله بعدم جعله خليفة مثلاً، مع أنَّه لو طوّع نفسه لحكم الله وقضاءه لعلم كماله، وبالتالي ما يرمو إليه سوف يصيبه ويدركه أفضل ممَّا قاده تمرُّده وجحوده.

فبالتالي مقام الرضا مقام حفظ هذا المقام على طوال المسيرة، لا ريب أنَّه يتطلب من الإنسان رصيد كبير من المعرفة، ذو وجوه حكمة للأفعال الإلهية، ويتضمن ولا ريب في ذلك أن يتثبت ويتأد الإنسان في التسليم والفحص عن المعرفة في حكمة الله، وإن لم يصب تلك الحكمة وهي دين يدينها العبد فيما بينه وبين ربّه بها، فبالتالي يسلّم إجمالاً، لا سيَّما وأنَّ دين الله لا يُصاب بالعقول، يعني ممَّا يدلل على أنَّ سُنن الله وأفعال الله ليست ممَّا

تُصاب في العقل البشري بمجرد الوهلة الأولى، ولكن هذا التسليم الإجمالي مع الفحص، وتوطين النفس على الفهم، والمعرفة والتذكُّر والذِّكر، يفتح للإنسان الوجوه الغامضة من حكم الله ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩] يفرق له المبهمات والملتبسات إلى المحكمات، ويزيح سحائب الشُّبهات.

تأثير تلاوة القرآن في طيِّ مدارج العرفان:

المحاور: سماحة الشيخ سؤالنا في هذه الحلقة عن آثار الالتصاق بالقرآن الكريم وتلاوته في التقريب من الله تبارك وتعالى وفي السير والسلوك إليه عزَّ وجلَّ.

الشيخ محمد السند: بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

كما ورد الحديث: «إنَّ القرآن مأدبة الله» والجالس على تلك المأدبة ينتهل من ألوان الأطعمة النُّورانيَّة والإلهيَّة، وكُلَّما زاد جلوساً زاد في الحقيقة نهلاً وانتفاعاً من تلك المأدبة.

وفي الحقيقة أنَّ قراءة القرآن كما أوصى بتلك الآداب أئمَّة أهل البيت عليهم السلام، أن يعظ نفسه ويزجرها، فعندما يصل إلى موعظة قرآنية يقرأها بإيقاع صوتي مؤثِّر في نفسه، ويُردِّدها مرة بعد أخرى، لتنفذ تلك المعاني إلى أعماق قلبه، ويحصل على الرقَّة وانكسار القلب، أو عندما يصل إلى مُبشّرات أيضاً في الحالة، كذلك عندما يتدبرها ويقرأها ملياً.

هذه كلها أمور، توجب صقل تربوي نوراني في النفس، كذلك عندما يصل إلى حكمها يتدبَّر، فبالتالي سيشاهد ألوان من الأطعمة النُّوريَّة والمعارف الكثيرة، وتلقائياً سيتربَّى عُلوياً وخُلُقياً بنظام القرآن وتوصياته، فكُلَّما ازداد

قراءةً وتدبُّراً وإمعاناً كُلَّما انصبغ بأنوار القرآن أكثر فأكثر، وكان سابحاً في هداية القرآن تلقائياً لا شعورياً، فيعبَّأ العقل الباطن والذّاكرة لدى الإنسان بمعادلات وبرامج ونُظم قرآنية، سواء شعر بها أو لم يشعر.

ومن ثم أكَّد على تلاوة القرآن الكريم بتدبُّر، طبعاً هذا أمعن في التأثير عموماً التلاوة والتدبُّر والإصغاء إلى القرآن والاستماع إليه، هذه أمور كلها تُسبِّب ملأ وتعبئة النفسية الماورائية في ذات الإنسان بنظام القرآن ووصايا القرآن، ومن ثم ربما يحصل للإنسان جعل القرآن محاسباً مراقباً له وبالتالي يحاسب نفسه، إنَّ هذه هي الوصية القرآنية.

طبعاً هذه تأتي في الدرجة الثانية في المحاسبة العملية والمراقبة العملية في العمل بوصايا القرآن، وبالتالي سيكون هناك نوع من محاكمة الضمير للإنسان، اتجاه المسؤوليات في مقام العمل، التي يوصي وينادي بها القرآن الكريم، وهذه خطوة ثانية وخطوات كثيرة للقرآن، منها التدبُّر في الآيات الواردة عن العترة النبوية في معارف ومعاني القرآن الكريم، فتفتح له بالتالي نوافذ وكنوز ومفاتيح القرآن الكريم طبعاً لغات عديدة للقرآن الكريم الألفاظ الموجودة فيه، هذه في المراحل الأولية، لا بُدَّ للإنسان أن يتجاوز تلك العقبة فيها كي يتجه إلى حقائق ومعاني القرآن.

أهمية ولاية أهل البيت عليهم السلام في السير والسلوك:

المحاور: سماحة الشيخ في الحلقة السابقة بينتم أهمية الالتصاق بالقرآن الكريم في سير وسلوك العرفاء، سؤالنا في هذه الحلقة عن أهمية ولاية أهل البيت عليهم السلام والالتصاق بهم في سير وسلوك أهل المعرفة؟

الشيخ محمد السند: بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين.

في الحقيقة هناك إشارات قرآنية كبيرة وعظيمة، إنَّ التسليم والعبودية التي هي من الصفات والمنازل العظيمة، التي يرمي إليها السالك في مراتب ومنازل نفس هذه العبودية، وهذا التسليم لا يحصل إلَّا إلَّا بالتسليم لولاية الله عزَّ وجلَّ، المتجلّية في ولاية الرسول صلى الله عليه وآله، وفي ولاية الأوصياء عليهم السلام من بعده، فها هو القرآن الكريم يُبيِّن لنا هذا المثال، مثال إبليس الذي أخفق في هذا المنزل العظيم، وهو منزل العبودية ومنزل التسليم، ومنزل الانقياد والانصياع للباري تعالى.

فهو رغم دعوات التسليم بتوحيد ذات الله عزَّ وجلَّ وبالمعاد، ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الحجر: ٣٦]، وبجملة من الأمور الأخرى لأنَّه أخفق في مقام آخر من مقامات التوحيد والعبودية والتسليم لأمر الله عزَّ وجلَّ في ولاية الخليفة، الذي نصَّبه الله عزَّ وجلَّ خليفةً له في الأرض يخلف المقام الإلهي، أي تتجلَّى فيه الولاية الإلهيَّة، تتجلَّى فيه المقامات الإلهيَّة في الطاعة والتسليم والانقياد.

فمن ثم في الحقيقة أنَّ من أكبر المقامات وأكبر العقبات التي تواجه السائر في تهذيب النفس، والسالك في تنوير الرُّوح، هو تطويع للأوامر الإلهيَّة وللحاكمية الإلهيَّة، وهي المتجلّية والمتمثلة في ولاية وليّ الله.

فهذه الولاية في الحقيقة ولاية ولي الله وولاية الأوصياء، وولاية أهل البيت عليهم السلام، التي هي منبثقة من ولاية النبي وولاية الله عزَّ وجلَّ، هي نوع من التجلي والظهور لولاية الله عزَّ وجلَّ وولاية نبيه.

فالإخفاق في هذه الولاية يمثل إخفاق في مقام عظيم من مقامات التوحيد وعدم الوصول إلى هذه الدرجة من العبودية.

من ثم سمي القرآن الكريم هذا التمرُّد من إبليس الذي هو في الصورة الظاهرة، تمرُّد على آدم سمَّاه القرآن تمرُّد على الله، وتمرُّد على الإيمان بالله، بالتالي أسماه كفر مقابل الإيمان، فلذلك خاطبه الله عزَّ وجلَّ في جملة من الآيات، في أنَّه لماذا لم يسجد لما أمره، فالانقياد والانصياع لآدم باعتباره هو انقياد لآمر الله، وهو من الأوامر العظيمة، من ثم قرن الله عزَّ وجلَّ طاعته بطاعة الرسول وأولي الأمر.

وهذا الاقتران في الحقيقة يُبيِّن أنَّ ولاية الله عزَّ وجلَّ وهو مقام الولاية، لا يمكن أن يناله، وهو مقام الولاية طبعاً ولاية الله، يكون الإنسان ولي من أولياء الباري تعالى.

هذا مقام عظيم لا يناله إلَّا بالعبودية والتسليم والانقياد هذا المقام لا يناله ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥]، تتمثل وتتجلَّى ولاية وطاعة الله والعبودية لله والانقياد لله، تتجلَّى في الانقياد والطاعة للرسول ولأهل البيت.

فهذا الذي يخفق فيه كثير من السالكين أو السائرين في منازل ترويض النفس يخفق بهم الحال، وإلَّا إبليس كما ذكر في الروايات سجد سجدة ستة آلاف، لا يُعلم مداها ومقدارها، أهي من سنين الدنيا أم من سنين الآخرة، أو من سنين السماء، إلَّا أنَّه قد أخفق فيما هو أعظم في عقبات النفس، أخذته الكبرياء بالنفس وأخذته العزة بالنفس.

بالتالي لم يستطع أن يروِّض ويعبد بالتالي يطوع نفسه لولاية الله متمثلة

في ولاية ولي الله، من ثم كانت هذه القصة التي يستعرضها القرآن الكريم في سبع سور، هي من الملاحم الكبيرة العظيمة في منازل تهذيب النفس، وهو الانقياد والانصياع لولاية ولي الله.

زيارة مراقد المعصومين عليهم السلام:

المحاور: سماحة الشيخ محمد السند، سماحة الشيخ نجد في سيرة عرفاء مدرسة الثقلين، اهتماماً بالغاً بزيارة مشاهد أئمَّة أهل البيت عليهم السلام جميعاً، ومجاورة هذه المشاهد والمراقد والتعهُّد لها باستمرار، ماهي الأهمية التي تكمن في هذا السلوك؟

الشيخ محمد السند: بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين.

طبعاً أريد أن أدقق في السؤال حول زيارة مراقد أئمَّة أهل البيت عليهم السلام، بالنسبة إلى عموم الأولياء الموالين للعترة الطاهرة الطيِّبة من أهل البيت عليهم السلام، فقد وردت روايات من الأئمَّة عليهم السلام: «إن من لم يستطع ان يزورنا فليزر موالينا» ولا سيما مواليهم من العلماء ومن ذوي الدرجات والصلاح والتقى، فإنَّ زياراتهم تعدّ بمثابة وثواب زيارة الأئمَّة عليهم السلام.

وعموماً على أية حال زيارة المؤمنين وسيما ذوي الدرجات العالية من الصلاح والتقوى، هو نوع من الأداء الولائي لأهل البيت عليهم السلام، وبالتالي الأداء الولائي للنبي صلى الله عليه وآله وإلى زيارة الله، فإنَّ في زيارة المؤمن، زيارة كما ورد في بعض الروايات أيضاً زيارة الله، باعتبار ما بالمؤمن من إيمان بالله ورسوله واهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله، فيصب في ولاء الله عزَّ وجلَّ.

عموماً بالإضافة إلى ما ورد من الحث من تعظيم العلم والعلماء، وفي

زيارة قبور أهل الصلاح والتقى تعظيم للصلاح والتقى، في الواقع تعظيم وتقديس للقيم النبيلة وإلى هذه المكارم والفضائل العليا، فمن ثم هو نوع من التكريس التربوي لنفوس الزائرين ونفوس غير السائرين، عندما يشاهدوا مثل هذه الإشادة من الأحياء لمثل هذه أصحاب الفضائل من الأموات.

ومن ثم ورد عن النبي في سيرته ﷺ، أنَّه كان يزور الموتى من المؤمنين من بقيع الفرقد، وكانت فاطمة عليها السلام تزور عمها الحمزة سيِّد الشُّهداء، وتزور شهداء أُحُد، تطوي هذه المسافة كل أسبوع في المدينة المنورة.

فهذه السيرة واضح فيها، إنَّها نوع من الجانب التربوي الكبير للأحياء من المؤمنين، ونوع من إحياء هذه القيم وهذه الفضائل، وهذه المكارم بإكرام أصحابها، والارتباط بالشدائد بأصحابها ففيه من الآثار العظيمة.

وقد ذكر عن كثير من الأكابر، أنَّ زيارة العلماء أو الأولياء وأهل الصلاح، نوع من التسبّب أو نوع من الأعداد لنزول البركات والرحمات على الزائر عند قبر المزور، من الحضرة الإلهية، هذا مجرب ومشاهد كثيرة.

التأسي بالمعصومين عليهم السلام وآثاره في التقرب إلى الله تعالى:

المحاور: سماحة الشيخ سؤالنا في هذه الحلقة عن معنى التأسي بالمعصومين عليهم السلام، ما المراد بهذا التأسي، وما هي آثاره في التقرب من الله تبارك وتعالى؟

الشيخ محمد السند: بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على محمد وعلى آله الطاهرين.

التأسي في الحقيقة نوع من اتخاذ الإمام قدوة وأسوة، وبالتالي فيها انقياد، وفيها مشاكلة، وفيها مماثلة، وفيها مشايعة.

فالتأسي هو معنىً آخر من معاني التشيُّع، أو المشايعة والمتابعة والانقياد.

والتاثير له درجات بقدر درجات المعرفة والانقياد والولاية، فإذن للتأسي أبعاداً وسيعة من الجانب النظري والمعرفي، ومن الجانب العملي بقدر وسع الإيمان، بالتالي وبقدر وسع التشيُّع والمشايعة والانقياد، وبقدر وسع الائتمام، وبقدر وسع الطاعة والتسليم.

فإذن التأسي هو لون من ألوان نفس التسليم، والإسلام، والإيمان، والائتمام، والمشايعة والانقياد.

ومن ثم هذا لا بُدَّ أن نلتفت إليه أنَّ الذي يروّج من أنَّ التأسي بالنبي وبأهل بيته، إنَّما هو في الجوانب الدِّينيَّة والشرعية، وأما العاديات فتلك الجهات في النبي وأهل بيته بشرية وليست هي دينية شرعية وما شابه ذلك، هكذا زُعم وقيل، ولذا بعضهم قال: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١]، المراد بها في الأمور الشرعية.

وأما الأمور العاديات في حياة النبي ﷺ، فلا معنى للتأسي به ﷺ في ذلك، ولكن هذه المقالة وإن راجت عند الكثير من الكُتَّاب والمحققين، وربما علماء العلوم الإسلامية.

على أية حال لكن هذه المقالة في نظرنا مفندة ومدحوضة، وبأنَّ النبي ﷺ جعله الله قولباً وأهل بيته قولباً، وقالباً متكاملاً في كُلِّ أبعاده وشؤونه، فمن ثم لا معنى لوجود العاديات في حياته، لا نقول: إنَّه لا يمارس حياته البشرية، يمارسها ولكن النموذج الأوفق الأكمل، والمثال المحتذى الذي يريده الله عزَّ وجلَّ منَّا، في أكلنا وشربنا، حتى في أمورنا البسيطة، هناك نموذج

أمثل، يضربه الله عزَّ وجلَّ ألا وهو سيِّد الأنبياء، ومن ثم عبَّر الباري تعالى عن تمام شؤون النبي بماذا ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

يعني كل سيرة وفعل النبي وسجيته وسجاياه وما شابه ذلك، كلها أمثولة تحتذى وأسوى تقتدى.

ومن ثم آية أخرى أيضاً، أشار إلى ذلك القرآن الكريم بقوله: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ [النجم: ٢ - ٣]، إن هو «الضمير كثير بما المفسرين أعادوه إلى نطق النبي».

ولكن الصحيح الضمير يعود للنبي ﷺ نفسه ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٤] يعني النبي، كأنَّما مجسمة وكتلة وحي في كل شؤونه وفي حلّه وترحاله، وفي قيامه وقعوده، وفي شؤونه اليسيرة والعظيمة، كل ذلك كتلة من الوحي الوحيانية، إلَّا أنَّ شؤون الوحي تختلف، ولو أعدنا الضمير إلى نطق النبي، فالنطق بالتالي ليس النطق اللفظي، وإنَّما بمعنى القوَّة المدبرة لشؤون النبي، باعتبار أنَّ الإنسان الميزة فيه أنَّه ناطق يدرك، فالجهة العقلية في النبي بدل أن يكون الفصل مميز النطق العقلي النطق الوحياني، شبيه ما ورد في آيات أخرى، ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [الكهف: ١١٠]، الدرجة المتكاملة في النبي ليس كبقية البشر جهة نطق عقلي، وإنَّما هو نطق وحياني، فإذن كل شؤون النبي ﷺ وكذلك من بعده عترته الطاهرة، في الحقيقة هي شؤون قدوية وأمثولة منصوبة من قِبَل الباري تعالى لنا لنقتدي بها، ونستنبط منها السير الحسنة والمراجعة في كُلِّ شأن وفعل.

التمسُّك بآداب الشريعة:

المحاور: سماحة الشيخ من القضايا المهمة التي يكثر الحديث عنها،

فيما يرتبط بحركة السلوك إلى الله تبارك وتعالى، وقضية الالتزام بالشريعة، وتأكيدات العرفاء الأنقياء على ضرورة شمولية التمسُّك بآداب الشريعة، ما هي آثار ذلك فيما يرتبط بالخصوص في قضية حفظ حركة السالك على الصراط المستقيم؟

الشيخ محمد السند: بسم الله الرحمن الرحيم، وصلَّى الله على محمد وآله الطاهرين.

في الحقيقة أنَّ العروج والتعالي هو في الحقيقة سير في منازل غيبية وعوامل عظيمة، لا يعرف طريقها وسُننها وأوديتها، إلَّا من كان محيطاً بالملكوت، وهو ليس إلَّا الأنبياء والرُّسل وأوصياؤهم عليهم السلام، لأنَّ الله عزَّ وجلَّ، قد أودعهم هذا العلم المحيط بكيفيَّة الوصول والسير والسلوك والعروج إلى تلك المقامات.

ومهما بلغ من شأن العارف، أو الزاهد، أو المتّقي، أو الحكيم، أو أيِّ مقام من هذه المقامات المعنوية الكبيرة، فإنَّ معرفته أو إحاطته لن تصل يوماً ما إلى إحاطة الأنبياء، لا سيَّما سيِّد الأنبياء والأوصياء وعترته عليهم السلام فإنَّ أولئك قد وكلوا من قِبَل الله عزَّ وجلَّ للإحاطة بكُلِّ ذلك.

أمَّا السالك، أو العارف، أو الزاهد، أو المتّقي، أو الحكيم، أو أهل اليقين، إنَّما يتلفَّت إلى درب من الدروب، وتغيب عنه بحورٌ ومحيطات كثيرة، ربما لو لم يتّبع منهاج النُّبوَّة وهَدي الإمامة وملَّة الأنبياء، لهوت به تلك المنازل وتلك الرياضات، أو تلك السلوكيات إلى حافة الهاوية من حيث لا يشعر.

فمن ثم ورد في وصايا لأمير المؤمنين عليه السلام لكميل: «يا كميل لو كان في الأرض مؤمن متقي ولم يأخذ دينه من نبي أو من أنبياء الله لهلك ذلك المؤمن،

لأنَّ الدِّين من الله»، المؤمن يأخذ دينه من ربّه لا من رأيه، والدِّين في الحقيقة يرتبط بالوصول إلى زُلف القربى والحظوة بالقربى الإلهيَّة، إذن بقدر ما للحقيقة وللواقعية سعة الدِّين، وهذه لا بُدَّ أن تؤخذ من الله عزَّ وجلَّ عبر أنبيائه ورسله، ومن ثم وردت لدينا في الحديث النبوي: «العلم كله فضله إلَّا ثلاث: آية محكمة، وهي العقائد والمعارف، وسُنَّة قائمة، وهي تهديم الأخلاق للسير والسلوك وسُنن الأنبياء، وفريضة عادلة.

وفي الحقيقة توصية الأكابر وهي توصية نبوية توصية المعصومين عليهم السلام.

إنَّ من لا يتطلع في فقه المعارف من الكتاب والسُّنَّة، أو في فقه الفروع، أو في فقه السُّنن والآداب وهو الفقه الأوسط، لا محالة ذلك سوف ينتابه زلل وانحراف، وضلال وابتداع، وإحداث في الدِّين ما ليس فيه، وكم شوهد ذلك على مرِّ التجارب كثيراً.

أهمية الدقة في التزام أحكام الشريعة وفي السير والسلوك إلى الله تعالى:

المحاور: كنَّا قد عرضنا عليه في الحلقة السابقة سؤال عن أهمية الدقة في التزام أحكام الشريعة وفي السير والسلوك إلى الله عزَّ وجلَّ، فبيَّن جانباً من ذلك ونستمع الآن للتمة حديثه؟

الشيخ محمد السند:

بسم الله الرحمن الرحيم.

الحاجة إلى الوحي الإلهي والهداية الإلهية أمر ضروري، وليس بفعل الإنسان من نفسه أن يصل إلى كل زوايا الغيب والطرق المؤدِّية إلى القرب الإلهي، كما يمكن للإنسان أن يطلع على ذلك متوسط الوحي الإلهي، فإذن الوحي الإلهي أمر ضرورة العقل المحدود، أو الأجهزة المحدودة لدى عامة

الناس في الحقيقة تلك، لا تؤهلهم لمعرفة كل دروب وطرق الوصول إلى الزلفى الإلهية.

ومن ثم كُلَّما شوهد أنَّ عارف متقي، أو زاهد، أو عابد، أو ناسك، أو أهل يقين كُلَّما كان ضعيفاً ضحلاً في المعرفة الدِّينيَّة في جانب الفروع، ترى عنده شطحات عجيبة غريبة من حيث لا يشعر، وكم شاهدنا حتى برؤية العين من هذه الموارد الكثير، وسمعنا بما هو أكثر أيضاً.

وفي الحقيقة ليس إلَّا لأن لو كان العارف أو السائر أو السالك يكتفي بما يجريه هو بنفسه، أو بما يقوى عقله بالإحاطة به يكتفي بذلك عن الوحي الإلهي، لكان بالأحرى أن يكون هناك إذن نماذج كثيرة عن سيِّد الأنبياء وعن سيِّد الأوصياء وعن الأنبياء والمرسلين، فهذا واضح أنَّ الإنسان مهما كان مهذباً مربياً مروضاً، سائراً في طريق التعالي، لا يمكنه الاستغناء عن معادلات هدى إليها الوحي الإلهي، ألا يعلم من خلق الباري تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]، ﴿اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾[آل عمران: ٤٧] ويختار ما كان لهم الخيرة من أمرهم.

في الحقيقة كما نقول: إنَّ الإمامة، الإمام يعني الهادي إلى القرب الإلهي، الإمام يعني الهادي ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧]، ﴿اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾[آل عمران: ٤٧] ويختار ما كان لهم الخيرة من أمرهم.

إذن نحن نحتاج إلى هادي يسير بنا قدماً إماماً إلى المنازل، فلا بُدَّ حينئذٍ من كونه منصوباً ومؤهلاً من قِبَل الله تعالى، كي يستطيع أن يهدي العباد.

بالتالي حتى في عالم المعنى وفي عالم الجذبات الرُّوحية، وفي عالم الإرشاد الرُّوحي واللطائف الرُّوحيَّة، يهديها إلى المنازل وينبهها ويفطنها

ويناجيها في أسرارها، وفي أرواحها يناجيها بما يرشدها، كي تصل بالتالي إلى جادة الصواب والاتقان، كما يتأهل الإنسان أن يسمع الكلام القلبي من إرشادات وهدايات المعصوم.

وتعلم هذا الكلام المكتوب في الكتب المسطورة من الأحاديث والمصحف الشريف من القرآن الكريم، كي يتأهل بالتالي حينئذٍ لفهم تلك الإشارات القلبية، والهواتف اللطيفة الرُّوحيَّة، لتناسب وانسجام تلك المعاني مع بعضها البعض، حينئذٍ يكون مُؤهّلاً مستعداً لفهم تلك المعاني، ورد لدينا أحد تعاريف الإمام: «إنَّ نور الإمام أضوأ من الشمس في قلوب المؤمنين»، فبالتالي لا بُدَّ حينئذٍ من الوحي الإلهي، والوحي سواء على صعيد نظرية، أو على صعيد التطبيق، كما نحتاج إلى إمام ناطق، وكتاب ناطق، وقرآن ناطق نهتدي إلى طريق ومنهاج الزلفى الإلهية، وهذا أمر يقرّه العقل، وتقره التجربة الرُّوحيَّة، ويقره الكثير من الأدلة القائمة المستدل بها على ضرورة النُّبوَّة، وضرورة الإمامة، وليست هي خاصة بالفقه الاجتماعي والفقه السياسي، بل أيضاً ترتبط بعالم الفقه الرُّوحي.

حقيقة العزلة:

المحاور: سؤالنا في هذه الحلقة عن حقيقة العزلة التي ورد التأكيد عليها في النصوص الشريفة، وفي أقوال العرفاء كأحد ضرورات السير والسلوك إلى الله تبارك وتعالى، ما المقصود بهذه العزلة وما هي آثارها؟

الشيخ محمد السند: بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين.

في الحقيقة العزلة التي ورد التوصية بها في الروايات أو الآيات، تختلف

عن الإطار والقالب الذي رسمه جملة من أهل السير والسلوك، وهذه تحتاج إلى تحقيق فقهي وأخلاقي أعمق من الذي ذكره جملة من أهل المعنى وجملة من الصوفية، أو العرفاء.

لربما هناك نوع من الالتباس وقع لدى بعض العرفاء في معنى العزلة، فالمستفاد من الآيات والروايات، ليس العزلة كما نسميها العزلة الجسمانية أو الفيزيائية أو البيئية، إنَّما المُراد منها العزلة عن المسار الخاطئ إلى الثبات على المسار الصحيح، عن مسار المنكر المعروف، عن مسار الباطل إلى مسار الحق «كن في الناس، ولا تكن معهم»، بهذا المعنى، كن في الناس يعني الإنسان لا ينقطع عن التفاعل مع البيئة الاجتماعية التي تحيط به من الأسرة والأصدقاء أو ما شابه ذلك، ولكن إنَّما ينقطع عن الأعراف والمسارات والمتبنيات الفاسدة وعن المواقف الخاطئة والآراء المنحرفة.

نعم ينقطع الإنسان عن الاصطفاف مع مثل هذه البيئات الخاطئة والرذيلة، طبعاً هناك عزلة بيئية أوصي بها في الروايات، مثلاً رفقاء السوء، المجلس الذي يتعاطى فيه المنكر أو المعاصي.

نعم هذه عزلة يجب على الإنسان أن لا يتواجد حتى فيها، مثلاً الهجرة إلى بلاد الكفر، إذا لم يأمن الإنسان على مساره الاعتقادي، أو ممارسات سلوكه في الأعمال وفي الاجتماع، فإذا هاجر إلى الغربة وخشي على نفسه الذوبان بالانحرافات، نعم لا يسوغ له ذلك عندنا، نعم عزلة بيئية عن البيئة الاجتماعية الموبوءة الفاسدة في صور وموارد معيَّنة، ولكن ليس ذلك دعوى للانقطاع عن البيئة الاجتماعية، بقول مطلق كما ربما يمارسها أو يزاوله بعض الرهبان في المسيحية، أو ربما يتابعهم أو يوافقهم بعض العرفاء، أو بعض أهل السير والسلوك، «لا رهبانية في الإسلام»، الرهبانية في أُمَّتي المكث في

المساجد من الصلاة إلى الصلاة مثلاً، أو رهبانية أُمَّتي كما ورد فيها جملة من الروايات.

على أية حال، الترهّب بمعنى الانقطاع عن الماديات وعن البيئة الفاسدة، ليس الانقطاع عن البيئة الاجتماعية، دين الإسلام دين اجتماعي، ودين الإصلاح الاجتماعي، ودين البناء الاجتماعي، ودين بناء الأُسرة، من ثم يوكِّد النبي ﷺ، ليس هناك حصورية في الدِّين، هي مثال ونموذج من نماذج الاعتزال والعزلة.

هذه العزلة بآلياتها التي كانت ربما في الشرائع السابقة، نعم لها نسخت ولا يستسيغها الشريعة الكاملة المحمدية، وهي شريعة نبينا ﷺ، فيجب الالتفاف إلى المقاسات الخاصة، التي بيَّنتها الشريعة الخاتمة النبوية وتوصيات القرآن.

نعم يجب على الإنسان أن يعتزل حتى في قلبه، وليس يعتزل أهل زمانه إذا كانوا في مسار خاطئ، بل يعتزل البشرية في القرون السابقة، إذا كانت قد ارتكبت فعلاً منكراً، ومن ثم نحن نتبرأ من قتلة الحسين، ونتبرا من ظالمي سيِّد الشُّهداء والعترة الطاهرة ومن قابيل ومن فرعون، القرآن يربينا على العزلة، بمعنى إنكار المنكر قلباً والتبري من المنكر قلباً، فإنَّ «من أحب عمل قوم حُشر معهم».

في الحقيقة الموقف القلبي والعزلة لا تقتصر على البيئة الاجتماعية أو البيئة الزمانية المعاصرة للإنسان، بل هي تمتد آفاقها من أول تاريخ البشرية إلى نهاية البشرية، عندما يطّلع عليها الإنسان يعيش في قرون وأجيال ماضية ولاحقة، لأنَّ الإنسان سعته في الإدراك والشعور، سعة تتجاوز الزمن البدني الذي يعيش فيه بدنه وجسمه.

فالعزلة على أية حال لها درجات قلبية، وفكرية، وبدنية، وسلوكية، وأخلاقية، وذات منازل ومقامات كثيرة في الحقيقة، في التولي والتبري، في الحقيقة تولي الصالحين، والتبري عن الطالحين، والمفسدين، والظالمين، درجة من درجات العزلة، ونمط من أنماط العزلة.

ففي الحقيقة يجب أن نلتفت إلى مثل هذه القوالب، وهذه الأُطر وهذه الموارد، والمنازل والمقامات، والمنازل عديدة من العزلة، وعدم الاقتصار فيها على الجانب ربما السلوك الأخلاقي، أو السلوك البيئي، البيئة الاجتماعية المؤقتة للحدود وزمان الإنسان.

حقيقة التقوى وآثارها في السير والسلوك إلى الله تعالى:

المحاور: سماحة الشيخ سؤالنا في هذه الحلقة من برنامج «عرفاء من مدرسة الثقلين» عن التقوى، ما هي حقيقتها وأهميتها في السير والسلوك إلى الله تبارك وتعالى؟

الشيخ محمد السند: بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين.

التقوى حيث أنَّها مأخوذة من الوقاية فهي من التجنّب والابتعاد عمَّا هو محرم، ولكن هي تأخذ طابع درجات متفاوت في جوانب أو مراحل، ربما تكون ظاهرة وواضحة إلى درجات ومراحل دقيقة ولطيفة، وربما تكون خفية جداً، وكلها تندرج في الوقاية من المحرمات.

نعم هناك درجة من التقوى في الوقاية من المكروهات، أو مساوئ الأخلاق وما شابه ذلك، وربما تأخذ التقوى وهي الوقاية درجات في المعارف أيضاً، تترقى إلى أنماط الإدراك والسير الإدراكي والإذعان

بجملة من المعلومات والمعتقدات وما شابه ذلك، التقوى هي ذات عرض عريض.

المحاور: سماحة الشيخ بالنسبة للمرتبة الأخيرة التي تفضلتم بها، يعني كيف يكون الإنسان متقي في الجانب العقائدي أو جوانب الأفكار أو المدركات؟

الشيخ محمد السند: من قبيل المثال سوء الظن بالله عزَّ وجلَّ، وإن كان قد يتخذ كسلوك أخلاقي، ولكنَّه يستبطن إدراك معرفي، مثلاً أنَّ إيمان المرء حيثما يظن بربّه، كما في بعض الروايات أنَّه سأل سائل كيف هو عند الله؟ «ربما سأل أحد المعصومين»، فالجواب أنَّه كيف الله عنده، فهذا النمط من الرؤية أو الوقار، أو جانب التعظيم، أو حسن المعرفة بالله عزَّ وجلَّ بحسن المعرفة بصفات الله، الاطمئنان بتلك الصفات والأسماء وبتلك العظمة، ليس مجرد إدراك رؤي محض، وإنَّما هو يأخذ جنبة عملانية سيرية في الرُّوح وفي متبنيات الرُّوح، وفي ميول الرُّوح وجذبات الرُّوح.

فبالتالي ذلك هو درجات في الإيمان، فربما الإنسان يكون مقيماً في سوء ظن بالله، والعياذ بالله أو صفة باطلة ينسبها إلى ربّنا، صفة نقص أو صفة سوء وما شابه ذلك، بينما لله الأسماء الحسنى، لا الأسماء السيئة «والعياذ بالله» يعني الصفات والكمالات.

وإن لم تكن تلك بقالب كما مرَّ بنا رؤي أو معرفي إدراكي، ولكنَّها تكون بقالب إدراكي عملاني من جانب العقل العملي، أو سير الرُّوح والقلب وانجذابات الرُّوح وميولها وأشواقها، أو لا سامح الله جانب النفور في النفس، أو الإدبار في الرُّوح والقلب وما شابه ذلك، هذه أمور ودرجات كثيرة وبحسب

ما لله دن صفات وأسماء، بالتالي تتنوع وتختلف المتبنيات الإدراكية العملانية لقلب الإنسان وعقله وروحه وسرّه.

المحاور: نرحب بخبير البرنامج سماحة الشيخ محمد السند، وهو يستكمل حديثه عن آثار التقوى الذي تقدَّم شطره في الحلقة السابقة؟

الشيخ محمد السند: إنَّ كل فعل هو صفة أو حال إنسان، حتى في الدرجات النازلة هي منحدرة، ومتشعبة ونازلة من صفة إدراكية إذعانية لدى الإنسان، اتجاه معتقداته ومعارفه.

إذن هي ذات درجات، التقوى والوقاية في الحقيقة ليس ذو درجة واحدة، يعني لا يمكننا أن نقتصر التقوى على ما عند العرفاء، أو أصحاب السير والسلوك من أنَّها التخلية، يعني نوع التهذيب ونوع من التنظيف والتطهير من الرذائل، لأنَّ هذه ربما في المراحل الأولى حسب لحاظ الأمور البيِّنة، فيما هو حرام أو فيما هو رذيلة، ولكن يبقى على طول المسار هذا المنزل، هو ذو منازل وذو مقامات يصطحب كل المقامات، حسب بيانات الآيات والروايات لن يقتصر على منزلة ومقام واحد، كما ربما نشاهده في الكثير من كتب أصحاب السير والسلوك، ولكن الأدلَّة أحق وأحرى أن تتبع.

ما نشاهده في الآيات والروايات، أنَّه ذو منازل ودرجات ومقامات كثيرة، حتى أنَّه فسرت هذه الآية: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١]، أنَّه يطهرهم من الالتفات إلى غيره تعالى.

يعني حينئذٍ يصبح لديهم تركيز ووحدة همّة في التوجُّه إليه تعالى، فهذه نوع من درجة الوقاية أيضاً، وربما سُمّيت في بعض الروايات عنهم عليهم السلام، درجة من الصوم والإمساك العليوي، هو الإمساك عن غير الله، والعكوف على باب الله وجه الله وجنب الله، فهذا على أية حال درجة من درجات أيضاً الوقاية.

ففي الحقيقة كل ما نشاهده لكُلِّ مقام ومنزلة تقوى ووقاية معيَّنة، يعني هناك درء الجانب التبري من الجانب السلبي، والعكوف على الجانب الإيجابي، أو التولي والولاية اللجانب الإيجابي في الحقيقة، التبري أو الاستنكار أو الجانب الجلالي هو يأخذ جانب الوقاية.

ففي الواقع التقوى والوقاية الصحيح والسليم فيها، أنَّها ذات درجات ومنازل عديدة، ويمكن في كل منزلة ومقام معنوي من الثاني نتصوَّر هناك جانب وجودي إيجابي ثبوتي، وجانب وقائي عن أمر سلبي، وابتعاد وتجنُّب من جانب سلبي، أو إزالة الجانب السلبي، الإزالة أيضاً في التقوى والوقاية ليس فقد الدفع، بل الرفع أيضاً إدراج لا بأس به، لأنَّه لا نقصر ولا نقتصر التقوى على الدفع، بل حتى على الرفض، وإن كان في أصل اللغة نحو دفع لا رفع، ولكن لا ضير في ذلك أن تشمل التقوى الوقاية جانب الرفع أيضاً، كما تشمل جانب الدفع، فمن ثم لكل منزل إيجاد مقام وجنبة وجودية وبنيوية، وفي جنبة إزالة أو وقاية عن أمور سلبية.

ذكر الله واثره في التقرب منه عزَّ وجلَّ:

المحاور: ما هو سر التأكيدات الواردة في النصوص الشريفة، وكذلك من قبل أهل المعرفة على الالتزام بالأذكار الشرعية، والأذكار الشريفة الواردة في القرآن، وفي أحاديث أهل بيت النُّبوَّة سلام الله عليهم؟

الشيخ محمد السند: بسم الله الرحمن الرحيم، طبعاً الذِّكر ربما يُبيِّن في جملة من البيانات الشرعية، أنَّه نحو من المعرفة بقالب السلوك، المعرفة قد يقتنصها الإنسان بإدراك جملة من المعاني أو الصور أو ما شابه ذلك، أو يذعن بجملة من الأمور، وقد يقتنص الإنسان المعرفة بنفس سلوكه، سلوكه الرُّوحي، سلوكه القلبي، سلوكه العبادي.

في الحقيقة السلوك القلبي أو الرُّوحي أو الذِّكري سينتهي به، ويضفي به إلى درجة من المعرفة، سواء تكون وجدانية، أو قلبية تلك المعرفة أو المقام.

طبعاً بذكر منازل ودرجات مذكورة، مثلاً الصلاة، هي نوع من الذِّكر، ولكن التوجُّه في الصلاة يُعتبر ذكر أعظم من الصلاة، نفس حالة التوجُّه الدائم إلى الحضرة الإلهيَّة والمحضر الإلهي، وبالتالي ممَّا يوجب نوع من رقابة الساحة الإلهيَّة على الإنسان نفسه، وعلى غرائزه ودرجات نفسه، وما شابه ذلك، ولذكر الله أكبر وأعظم وما شابه ذلك، من ثم أكبر وأعظم الذِّكر على مقام الصلاة باعتباره روح الصلاة.

أيضاً للذكر شرائط مثلاً كالسورة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٤ ـ ١٥]، وورد في رواية أهل البيت عليهم السلام أنَّ من تمامية أي ذكر من أذكار الباري تعالى أن يقرن بالصلاة على النبي صلى الله عليه وآله، حسب هذه الرواية الواردة، عن الإمام الرضا عليه السلام: «مفعول أي ذكر لا يؤثر إلَّا بالاقتران مع الصلاة على النبي وآله»، وكأنَّما هذا هو المراد من الآية الكريمة: ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٥]، حيث إنَّ السائل سئل الإمام الرضا عليه السلام: «هل المراد من الصلاة هنا كُلَّما ذكر ذاكر لله عزَّ وجلَّ قام فصلَّى ركعتين؟ قال: إذن كلف الناس شططاً».

المراد كُلَّما ذكر ذاكر الباري تعالى بلسانه بقلبه يُصلِّي على النبي وآله، لأنَّ أيّ عمل لا يقرن بالصلاة كما ورد في روايات الفريقين، لا يرتفع ذلك العمل ولا يكتب له فتح أبواب السماء، كما لا يرتقي الذِّكر بالإنسان إلى المقامات والمنازل العليا.

هذه توصية عامة من الإمام الرضا عليه السلام، ويدلل عليها أدلَّة عامة كثيرة، أنَّ الذِّكر لا بُدَّ أن يقرن بالصلاة على النبي وآله.

وأيضاً هناك توصيات أخرى في القرآن الكريم لشرائط وحوافز الذِّكر، أن تكون باللَّيل والنهار، أن يكون الذِّكر باللِّسان والقلب معاً، لأنَّ الذِّكر باللِّسان كما يذكرون، نوع رافد يمدد الذكر القلبي، وإن كان الذكر القلبي منزلته أعظم من الذكر اللساني، ولكن الذكر اللساني يعتبر كالمدد الذي يقوي قوة توجه الإنسان على صعيد قلبه، ولربما كان التوجه القلبي من دون الذكر اللساني ضعيفاً، أو ينشد الإنسان إلى توجهات أخرى من دون الذكر اللساني، فالذكر اللساني يكون بمثابة الرباط الحافظ المبقي للذكر القلبي.

آداب الذكر كثيرة ذكرت، أن يكون الإنسان على طهارة أو ما شابه ذلك.

ومن أعظم أنواع الذكر أيضاً ـ ذُكر في رواية أهل البيت عليهم السلام ـ أن يتذكر الإنسان ويخشى ربّه حين مشارفة اقتراف المعصية، والعياذ بالله أن يقع وينزلق الإنسان في المعصية عند المشارفة والمقاربة، يتذكَّر الإنسان ربّه ويخشى يصدع نفسه حينئذٍ، هذا من أعظم أنواع الذِّكر، وليس الذِّكر مقصوراً على الذِّكر اللِّساني، أو على لقلقة الأسماء الإلهيَّة أسماء الجلالة وأسماء الجمال، بل واقع معايشة معاني التوجُّه الإلهي أمر مهم وضروري.

المحاور: الفارق والمميز بين الأفكار الشرعية والأفكار غير الشرعية، باعتبار أنَّ توصيات الشريعة وأهل المعرفة، هي على الالتزام في الأذكار بما وردت الشريعة المقدَّسة؟

الشيخ محمد السند: بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين.

طبعاً عموم ذكر الله مشروع كما ورد في الأدعية: «يا من ذكره حلو»، أصلاً عموم ذكر الله عزَّ وجلَّ أمر مشروع، وراجح، وزهي، وزاهي، ومبهج.

نعم بالنسبة إلى خصوصيات الأذكار الواردة بأنماط وقوالب وأُطر خاصة في الشريعة من قبل القرآن الكريم، أو من قبل النبي الكريم ﷺ، أو من أهل بيته عليهم السلام.

لا ريب أنَّ لها خصوصيات وتأثيرات خاصة، تختلف سواء من حيث المجيء بها في وقت معيَّن بشاكلة معيَّنة بألفاظ معيَّنة، بشرائط مذكورة معيَّنة.

مثلاً لدينا روايات تحثُّ على الإتيان بتسبيحات فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) عقيب الصلاة، بأن لا يتكلَّم المُصلِّي بعد تسليمه وإفراغه من الصلاة، صلاة الفريضة أو بقية الصلوات، إذا أتى بتسبيحة الزهراء عليها السلام، بأنَّ لها بالغ التأثير الخفي الذي لا يعلم كنوزه إلَّا الله عزَّ وجلَّ، لكن شريكة أن يأتي به من دون أن يتحدث مع أحد وقبل أن يتلفت يمنى ويسرى بعد تسليمه من الصلاة.

هناك آداب خاصة للأذكار، طبعاً الأذكار قد تتخذ قوالب أخرى، يعني نفس العبادات هياكل وأبواب، العبادات هي أذكار، إذا أخذت قوالب أخرى كقالب الصلاة، والاعتكاف، والحج وقالب العمرة، إذا أخذت الأذكار قوالب أخرى تلك القوالب قد يكون فيها أُطر وضوابط، وتحديدات شرعية تختلف عن بقية قوالب الأذكار، فلا بُدَّ أن يؤتى بها حسب المقررات الشرعية، أو الصيام.

مثلاً هناك ديدن عند الانبياء أنَّهم كانوا إذا أرادوا أن يصلوا إلى حالة من الوحي أو حالة روحية خاصة مثلاً أو ما شابه ذلك، فإنَّهم يصومون صيام الوصال سبعة أيام، لكن هذا في شريعتنا غير مشروع باعتبار نُسخ في شريعة سيِّد الأنبياء صوم الوصال غير مشروع أن يصل صومه يوم بيوم أو يومين بيوم، إنَّما الصيام أمده إلى الغروب.

فهناك قوالب أخرى من الأذكار في ظلِّ العبادات، ضمن أُطر لها مقررات وحدود وضوابط شرعية، يجب أن لا يتجاوزها الإنسان، لأنَّ هذه عبادة مهمة يجب أن يتقيَّد الإنسان بحسب الحدود والضوابط الشرعية الواردة، نعم الكلام بالنسبة عموم الذِّكر اللِّساني أو الذِّكر القلبي، أو التوجُّه القلبي ذاك بابه مفتوح، لا يقتصر على نمط دون نمط، كل هذه الأنماط مشروعة، مشروعة بعمومات الحثّ على ذكر الله، شاملة لها حسب التوصية الشرعية.

وإذا أردنا الخواص الخاصة لكل تأثير، فإنَّ الواقفين على بيانات الشرع العديدة والروايات المتواترة المستفيضة المختلفة نوعاً، وأنماطاً لكل مقام ومنزل، أو خاصية يريد الإنسان أن يصل إليها، هناك ذكر كالمفتاح الأكبر لذلك الغرض إذا أراد الإنسان أن يصل إليه، وقد التقينا بجملة من المعنى ممَّن مضوا رحمهم الله، كانوا قد وقفوا وسددوا إلى كيفية التفطن إلى تلك الأذكار، علماً وقفوا عليها من خلال الروايات والبيانات، والتفتوا على هذه البيانات الشرعية الواردة في الكتاب والسُّنَّة بلطف خفي، التفتوا عليها بتوسط الآيات والروايات، فكانوا ذوي باع وفراسة فطنة ثاقبة جداً، فللأذكار خواص يجب أن يتلفت إليها الإنسان، نعم عموم الذِّكر اللِّساني والقلبي أم لا يحد بحد.

أثر الصلاة في السير والسلوك إلى الله تبارك وتعالى:

المحاور: سماحة الشيخ السؤال الذي اخترناه لهذه الحلقة من البرنامج عن الصلاة، معنى ما ورد في الأحاديث الشريفة أنَّ الصلاة معراج المؤمن، هل أنَّ في ذلك إشارة إلى أثر الصلاة في السير والسلوك إلى الله تبارك وتعالى؟

الشيخ محمد السند: بسم الله الرحمن الرحيم، بالطبع أنَّ البيان النبوي يقول: «إنَّ الصلاة معراج المؤمن» بيان لغايات وثمار التي تنتجها الصلاة.

وفي الحقيقة أنَّ في الصلاة يتم عروج روحي عظيم وكبير وشامخ، وربما لا يستشعره المُصلِّي، نفترض حلم يراه، أو أمور بصرية تمرُّ عليه، ولكن هذه الشحنة الرُّوحيَّة والجرعات المعنوية، هي تتفتق له في أنحاء من المعارف بأنحاء من الانضباط السلوكي في الإرادة.

في الحقيقة هذه كلها من غنائم العروج الرُّوحي الذي يتمّ في الصلاة، أحد مشايخنا العظام رحمة الله عليه، وهو الميرزا «هاشم الأريجاني الآملي» من الأساتذة الكبار الذين توفّوا رحمة الله عليه يقول: «إنَّ هناك عدَّة من كبار أهل المعنى والتقوى والقرب الإلهي قد وصلوا إلى مقامات عبر برنامج الصلاة»، الصلاة المفروض من المكلّف والمؤمن أن يتخذها برنامج وهندسة رقي، ويراقب النتائج المستثمرة من هذه الصلاة، بلحاظ كل يوم وكل شهر، أو فيما لو وردت بعض الأعداد من ختومات الصلاة مثلاً ليلة القدر مئة ركعة طبعاً هي من المستحبات، مثلاً النوافل اليومية، التي هي أربعة وثلاثون ركعة، تنظم إلى الفرائض اليومية السبعة عشر ركعة، فتكون واحد وخمسين ركعة، والتي هي من علامات المؤمن كما في حديث الإمام الحسن العسكري عليه السلام، «من علامات المؤمن خمس منها صلاة إحدى وخمسين» وهي مثلاً نوافل الظهر الثمانية قبل صلاة الظهر، تُسمَّى بصلاة الأوَّابين، وصلاة اللَّيل التي أكَّد عليها كثيراً.

في الحقيقة الصلاة برنامج عظيم ضخم، وهو أمان للمؤمن، وللمسلم، وللمكلَّف، وللسالك المُتَّقي عن الزلل، كما ورد التأكيد على ذلك على هذا المعنى، «إنَّ آخر صلة بين الله وعبده هي الصلاة فإذا قطعها انقطعت»، وإذا وصل هذا الحبل خشي منه الشيطان وجنود إبليس.

فالواقع الخشية لما يستثمره المُصلِّي من هيئات نوريَّة رادعة عن

خروقات الشياطين ووسوستهم وميولاتهم، وربما العياذ بالله يسيطرون بها على شهوة الإنسان، وهوى الإنسان، وأحاديث خادعة للإنسان تسقطه في الهاوية.

ففي الحقيقة الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، هناك هيئة نفسانية تحدث لدى الإنسان، هيئة نورانيَّة تكون بمثابة القوَّة التي تشدّد على إرادة الإنسان في قدرته، على مناعته عن المعاصي والمنكرات، ففوائد الصلاة أمور جمَّة كما يقول أحد أهل المعنى: «متى غنمنا من غنائم الصلاة كي نبحث عن غنائم أو مشاهدات أو مكاشفات أخرى».

ففي الحقيقة الصلاة أمر عظيم جداً، نفق ودهليز يطلّ بالمُصلِّي على عوالم غيبية وعلى فيوضات كثيرة قد لا يتحسَّسها في بداية الطريق، ولكنَّه إذا أدمن في شأن نتائجها، وكفى بقول الإمام الحسن العسكري عليه السلام: «إنَّ الطريق إلى الله بعيد أو طويل وخير مطية له صلاة الليل»، أكَّد على ذلك الإمام عليه السلام في مضمون الحديث، فالصلاة أمر عظيم على أية حال، «ما خُدم الله بشيء في الأرض بمثل الصلاة»، مع أنَّ الله مستغني عن عباده، ولكن المراد منه أنَّ هذا نوع من الزلفى المؤثرة جداً بالقرب الإلهي للصلاة.

فالصلاة أمر عظيم وشأن كبير وفيها يتم الذكر الأكبر، ولذكر الله أكبر، وفَّقنا الله وجميع المؤمنين للتعالي إلى معارج أكثر فأكثر بتوسط الصلاة وبرنامج الصلاة[1].

---

(١) من كتاب «من عرفاء مدرسة الثقلين».

مشاكل وحلول

الوقوع في المعصية:

المحاور: أنا شاب في الرابعة والعشرين من العمر وأعاني في كثير من الأوقات من لحظات الضعف وأحاول التغلب على تلك اللحظات ولكنِّي في بعض الأحوال أنجرّ لها وأكثر ما أخاف من أن يتلبّسني ذلك المرض الخبيث الغفلة فما هو الحل؟

الشيخ محمد السند: لا عجب في طروّ الضعف على الإنسان، فقد خُلق الإنسان من الضعف كما في الكتاب المجيد وكذلك الهلع والجزع ونحوها، إلَّا أنَّ اللازم على المؤمن التحلي والتمسُّك بالصبر والاستقامة بقدر الاستطاعة، وأن يعاجل نفسه بالتوبة والإنابة كُلّما حصل له الزلل أو الخطيئة، ويجب أن لا يقنط من رحمة الله تعالى فإنَّه لا ييأس من رحمة الله إلَّا القوم الكافرون، كما يجب أن لا يغترّ بحلم الله وإمهاله فيتمادى في المعصية والطغيان، فإنَّ حالة الخوف من الزلل والرجاء للعفو والمغفرة هي صراط التكامل للطبيعة الإنسانية، ومن أكبر الغفلات والزلّات هو اليأس من رحمة الباري ومغفرته وتصوير الشيطان أنَّ التوبة لا جدوى فيها وأنَّها مع تكرار الخطيئة بمثابة اللعب والاستهزاء بمقام الباري تعالى، والحال أنَّ معاودة

الخطيئة هي اللعب والاستهزاء، لا الرجوع والتوبة إلى الباري تعالى مهما بلغت كرَّات الخطيئة، فاللازم عدم سدّ باب التوبة والإنابة فإنَّه من أبلغ صفات الأنبياء أنَّهم «توَّابون أوَّابون» وإن لم يكن ذلك منهم عن ارتكاب معصية.

ثم إنَّه لا بُدَّ من الالتفات إلى أنَّ تكامل المؤمن لا يحصل دفعة بل بالتدريج كما في وصية النبي ﷺ: «يا علي إنَّ الدِّين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغّض إلى نفسك عبادة ربّك، إنَّ المنبت ـ يعني المفرط ـ لا ظهراً أبقى ولا أرضاً قطع، فاعمل عمل من يرجو أن يموت هرماً واحذر حذر من يتخوف أن يموت غداً»[1]. أي أنَّ طريق التكامل طويل والمسرّع بحدَّة لا يبقى دابة البدن وقواه ولا يطوى ذلك الطريق، فالرفق في تربية الإنسان لنفسه أمر ضروري لبلوغ الغايات.

علاج الوسوسة:

المحاور: كيف يمكن معالجة الوسواس (حديث النفس)، علماً أنِّي من عشَّاق الكمال، وقد أتعبني كثيراً رغم محاولتي في بعض الأحيان التخلص منه ولكن دون جدوى تذكر حتى أنَّه في بعض الأحيان أبتسم وأضحك نتيجة حديث النفس؟

الشيخ محمد السند: ممَّا يفيد في معالجة الوسواس عدَّة أمور:

منها: الطهارة البدنية من الحدث، كالدوام على الوضوء والنظافة التامة من إزالة شعر الإبطين والعانة والأوساخ وكذا نظافة المكان.

ومنها: كثرة قراءة المعوذتين.

(١) الكافي للكليني، ج٢، ص٨٧، ح٦.

ومنها: الدوام على النوافل اليومية بما فيها صلاة اللَّيل ونوافل الظهرين.

ومنها: تقوية تمركز الخاطر، ويفيد في ذلك الاشتغال ببعض العلوم كالرياضيات والهندسة، والمنطق.

ومنها: تقوية الجانب الجدلي لدى القوَّة العاقلة، ويفيد في ذلك علم المنطق وعلم الكلام ولو بنحو الاطلاع الثقافي.

ومنها: تهذيب النفس، ويفيد في ذلك كثرة قراءة كتب الأخلاق.

ومنها: ترفيع مستوى المعرفة، ويفيد في ذلك كثرة التدبُّر والتلاوة للقرآن الكريم وقراءة روايات المعصومين عليهم السلام في باب المعارف، ككتاب أُصول الكافي وتوحيد الصدوق.

ويذكر في معالجته أيضاً كثرة التسبيح والحمد والتكبير والحوقلة (لا حول ولا قوَّة إلَّا بالله العليّ العظيم).

وأيضاً كتابة سورة الناس على إناء في ليلة الرابع عشر من الشهر القمري ثم ضع فيه ماءً واشرب منه وتوضأ به.

الوسوسة في العقائد:

المحاور: يوسوس لي إبليس اللعين بكيفية الحياة الخالدة بعد الموت فكيف أوقف التفكير في ذلك وما هي الإجابة؟

الشيخ محمد السند: الوسوسة في المعارف والاعتقادات يمكن جعلها إيجابية ويمكن جعلها سلبية، فالنمط الإيجابي أن تكون سبباً للبحث والتتبّع أكثر فأكثر في الأدلَّة والبحوث العقائدية والمعرفة الدِّينيَّة، فإنَّ ذلك سوف يعمّق المعرفة ويوسّع دائرتها، وأمَّا النمط السلبي منها فهو المكوث والتوقف

في جوِّ الشك وعدم الفحص وترك التتبّع في الأدلّة والكتب، وبالتالي المشي على مسلك الشكّ والبناء على التشكيك، ومن ثم الانتقال إلى مرحلة الرفض والإنكار، واتخاذ عقائد ضالّة منحرفة أخرى.

علاج الخجل:

المحاور: أنا من طلّاب العلوم الدِّينيَّة وقد التحقت بهذا المجال بعدما انتهيت من الدراسة الجامعية وأصبحت مدرسة مع كوني مدرسة وأمتلك الجرأة الكافية لطرح موضوع أو أيِّ شيءٍ آخر إلّا أنّني بعدما التحقت بهذه الدروس أحسّ بأنّي قد افتقدت الجرأة، وحتى سؤال للأستاذ لا أستطيع ولا أعرف السبب، هل بأنَّ سؤالي لا يكون في وجه المولى فاختار الصمت وإذا حاولت التغلب على هذا الأمر ينتابني نوع من الهزَّة في الصوت والنفضة! أتمنى لو تفيدوننا في هذه المشكلة؟

الشيخ محمد السند: ورد في الروايات أنَّ الحياء حجاب عن العلم أو سدٌّ مانع عنه لأنَّه يصدّ عن السؤال، والسؤال طريق العلم لأنَّ (العلوم خزائن مفتاحها السؤال)، وممَّا يورث الجرأة والسؤال الجدية في الدراسة وتقوية الحصيلة العلمية فهي كفيلة بذلك ولو عبر التحضير وتكرار قراءة الكتاب والمصادر ونحو ذلك.

علاج الإحباط واليأس:

المحاور: على الإنسان المسلم أن يستعد لـ: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ [الشعراء: ٨٨]، وأن يستفيد من كُلِّ لحظة من حياته بعمل خير أو عبادي قبل موته وذلك في سبيل الفوز بالدرجات العلى في الآخرة وعليه أن يبتعد عن كل معصية ستكون سبباً لعذاب أليم... والسؤال: أي حياة وأي طموح واي سعادة

وبناء لمستقبل يمكن أن يعيشه الإنسان وهاجس الموت بين عينيه.. وصورة العذاب والصراط والميزان تقفز إلى مخيلته عند كل فعل يأتيه حسناً كان أو سيئاً؟. وكيف له الإحساس بالطمأنينة والخوف من ذنوبه وأعماله السيئة التي اقترفها على امتداد حياته يلاحقه.. حتى وإن تاب.. فمن ذا الذي يمكنه التوبة من كُلِّ الذُّنوب؟ ناهيك وجوب القضاء لكُلِّ العبادات المفروضة منذ سنّ التكليف وردّ المظالم وغيره عند التوبة أليس الشعور بحتمية التغيُّر والتوبة، والقضاء قبل فوات الأوان وعدم ارتكاب أي ذنب لضمان الآخرة يؤدِّي للشعور بالعجز والشلل؟؟ ليس يأساً من رحمة الله ولكن الطريق فعلاً شاق بصورة يصعب البدء معها... وإذا كان الإسلام دين عبادة وحياة، فكيف يمكن أن يحيا الإنسان بصورة طبيعية إذا تملَّكه هاجس الموت وضرورة الإسراع قبل فوات الأوان؟ كيف يمكن حلّ تلك المعادلة مع ملاحظة أنَّ شخصاً كهذا قد يقع فعلياً عرضة للأمراض نفسية كالقلق المرضي أو الكآبة؟

الشيخ محمد السند: لا بُدَّ من الالتفات إلى النقاط التالية:

الأولى: أنَّه: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[البقرة: ٢٨٦].

الثانية: قضاء كل العبادات السابقة إنَّما هو في صورة عدم إتيانها أو بطلان ما أتى به، وفي هذا الحال يقضى بالتدريج.

الثالثة: الخوف والرجاء عاملان مربّيان وسببان لتكامل الإنسان، واللازم فيهما الموازاة، فقد ورد عنهم عليهم السلام: «إنَّ الخوف والرجاء لو وُزنا في قلب المؤمن لكانا متساويين، لا يزيد أحدهما عن الآخر»، وأنَّ الحكمة في الدعوة والهداية إلى الله تعالى بتساوي الترهيب من النار مع الترغيب في الجنَّة وتعادل الإنذار مع البشارة، فالحالة الصحية في الإنسان هو أن لا يزيد خوفه على طمعه وأمله، ولا يزيد طمعه وأمله على خوفه، لأنَّ طغيان الأول يوجب

اليأس، وطغيان الثاني يوجب التسويف وترك العمل والدلال والبطر ونحوها من الرذائل.

الرابعة: تكرر الإنابة إليه والتوبة أمر محبوب عنده تعالى، فها هو تعالى يصف المتقين في قوله: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ * وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ﴾ [آل عمران: ١٣٣ ـ ١٣٦]، فظاهر سياق الآية وصف المتقين أنَّهم إذا فعلوا فاحشة سارعوا في التوبة والرجوع إلى الله تعالى والندامة، وتركوا الإصرار، وتركوا البقاء على المعصية والذنب، فمتاركة الذُّنوب بعد اقترافها، ومعاودة الاستقامة على الطاعة خُلق ممدوح عنده تعالى، وهو نهج من مناهج التقوى.

الخامسة: اللازم على الإنسان مطالعة وقراءة كل من آيات الإنذار وآيات المغفرة والبشارة، وكذلك قراءة روايات الوعيد بالعقاب والوعد بالثواب كي يحفظ الموازنة وعدم الاستغراق في إحداها على حساب الأخرى، فإنَّه تعالى كما هو سريع العقاب وسريع الحساب وشديد العقاب، هو غفور رحيم حنَّان منَّان واسع المغفرة أرحم الراحمين عطوف كريم.

السادسة: عن النبي صلى الله عليه وآله أنَّه قال: «يا علي إنَّ الدِّين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغّض إلى نفسك عبادة ربّك إنَّ المُنبّت ـ يعني المفرط ـ لا ظهراً أبقى ولا أرضاً قطع، فاعمل عمل من يرجو أن يموت هرماً واحذر حذر من يتخوف أن يموت غداً»[1].

---

(١) الكافي للكليني، ج٢، ص٨٧، باب الصبر، ح٦.

طرق إبطال السحر:

المحاور: تسوء يوم بعد يوم الزوج والزوجة، وزوجته طلباً منّي العون والمساعدة إذا كان سحراً فهل من سبيل لإبطال ذلك السحر وفكّه.

هل من برنامج مرتَّب أو عمل معيَّن أو ذِكر معيَّن لذلك أو أورادٍ خاصة يلتزموا بها؟

الشيخ محمد السند: إبطال السحر عبر المختصين جائز ولكنَّه يفيد بشكل مؤقت كمُسكِّن.

أما البرنامج الفقهي العقائدي الذي سنذكره فهو يعالج جذرياً وإن كان بطيئاً.

فاللازم معالجته من فعل الشياطين من السحر أو العين:

١. بتشغيل جهاز صوت القرآن دائماً في المنزل، والأدعية.

٢. وتقوية روحيته بقراءة الثقافة العقائدية بنحو مركَّز.

٣. واستعمال أسباب النشرة المذكورة في الروايات من النظافة.

٤. والسياحة والسفر.

٥. والاختلاط مع المؤمنين كثيراً في الأجواء الجماعية.

٦. والنظر إلى الماء الجاري والخضرة والبساتين وجمال الطبيعة.

٧. استعمال العطور الفاخرة و.. و..

٨. وزيادة التوكل على الله تعالى.

٩. وعدم الاستجابة لخواطر السوء.

١٠. والمصارعة مع التلبُّس الرُّوحي لمصارعة روحية بشجاعة أي يعتبرها كالمصارعة البدنية في حلبة الرياضة.

١١. عدم الإصغاء لوسوسة الجنّ.

١٢. تشغيل صوت الأذان بدرجة عالية أوقات الصلاة.

النساء والأعمال العبادية:

المحاور: إذا كانت المرأة تعمل ختم وورد أربعين كزيارة عاشوراء ثم رأت دم الحيض فهل تتوقف عن العمل؟

الشيخ محمد السند: ما دام ورداً وذكراً فلا مانع، والأرجح مواصلتها مع مراعاتها للنظافة وطهارة الثياب كما هو مقرر لها بذلك في أوقات الصلاة بأن تجلس في مصلَّاها مراعية لذلك وتذكر الله تعالى بقدر صلاتها.

مجربات لدفع البلاء:

المحاور: هل هناك أعمال مجربة لدفع البلاء والمحن؟

الشيخ محمد السند: كثرة الاستغفار كثرة كاثرة، وكذلك الصلوات على النبي وآله، وكذلك قراءة سورة القدر.

الاعتماد على الرؤيا وتفسيرها:

المحاور: السلام على شيخنا السند دام ظلّه، ما تقولون بالاستشهاد بالرؤية في المنام وخصوصاً رؤية المعصوم فإنَّ بعض الحوادث التي تذكر مصدرها رؤية معيَّنة وتحكى في المجلس أو تكون شاهد حال على قضية معيَّنة وكأنَّها شيء حدث واقعاً.

الشيخ محمد السند:

١. الرؤية لأنَّها تختلط بين الصادقة وغيرها من أحاديث النفس أو تسويل الشياطين فلا يمكن التعويل عليها كحُجَّة ودليل شرعي.

٢. فهي في حين ليست بحجَّة لكنَّها قد تكون منبهاً وإرشاداً إلى ما هو حجَّة من الكتاب وسُنَّة المعصومين عليهم السلام وبديهيات العقل والفطرة.

٣. فالمدار ليس على الرؤية بل على مضمون الكتاب وسُنَّة العترة الطاهرة، واللازم التركيز على ذلك المضمون.

٤. علم تعبير الرؤيا المُسمَّى في القرآن بعلم تأويل الأحاديث هو علم من العلوم الإلهيَّة اللدنية وكان النبي يوسف عليه السلام قد أوتيه، فقام بتعبير رؤية الملك، لكن ليس للآخرين نصيبه التام.

فكم فرق بين تأويل اللمعصوم عليه السلام ومحاولة غير المعصوم للتأويل.

٥. فالرؤيا وإن كان لها علم لتأويلها إلَّا أنَّ غير المعصوم إنَّما استفادته منها فيما كان للرؤية إرشاد وإلفات إلى مضمون في الكتاب وسُنَّة المعصومين عليهم السلام.

٦. قد ذكر أحد أعلام الشيعة عن أساتذته أنَّ الرؤيا غير الصادقة كالتي من أحاديث النفس أو تسويل الشياطين أيضاً لها تأويل، من جهة عكسها للون صفات النفس وانطباع آثار الأعمال على النفس، أو من جهة درجة تأثير الشياطين وتسلُّطهم على نفس ذلك الشخص، لكن ذلك يقدر عليه المتمرس في علوم الرُّوح، وعلى أيِّ تقدير فليس ذلك من صدق الرؤيا بقدر ما هو من مشاهدة أحوال النفس.

إخبار الناس بما يرون في المنام:

السؤال: ماذا ترون حول نقل بعض القصص التي يراها الإنسان في عالم الرؤيا هل هنا إشكال في هذا النقل؟

الجواب: نقل الرؤيا ليس فيه أية إشكال في نفسه، وقد وردت التوصية بعدم التلفيق في نقلها بغير ما تحقق له من رؤيا، نعم رؤيا غير المعصومين لا حُجيَّة لها، وإنَّما فائدتها التنبيه والإرشاد إلى ما هو حجَّة ودليل، نعم أهل المهارة في تأويل التعبير والأحاديث يستنبط إرشاداً وتنبيهاً وتنبُّهاً أكثر من غيره.

التنبؤ بأحداث المستقبل

السؤال: في كُلِّ عام يظهر على شاشات التلفزيون من يتنبأ بأحداث السنة المقبلة فهل يجوز الاستماع إليهم وتصديقهم؟

الجواب: لا يصح التعويل عليهم، لكن مجرد الاستطلاع لا ضير فيه ما دام يوطّن الإنسان نفسه إنَّ المنجمين ونحوهم لا يحيطون بمجريات الأمور المستقبلية، فضلاً عن ما يبدو من غامض قضاء الله تعالى وقدره.

عروض السيرك

السؤال: هل يجوز حضور عروض الألعاب الخفية والسحر سواء بالحضور المباشر في مجالس السحر والشعبذة ونحوها؟

الجواب: من مجالس المعاصي، وأما مجرد النظر إليها عبر التلفزيون فلا يُعدّ من المشاركة والحضور.

كيف نواجه الابتلاء؟

«ما رأيت إلَّا جميلاً»:

البلاء والابتلاء كلام من الله عزَّ وجلَّ مع المخلوق، فهناك من يقرأ البلاء بعاطفته أنَّه شؤم، وهناك من يقرأ البلاء أنَّه خطاب من الله تعالى للعبد، ذِكر وتذكير بأنَّك أيُّها العبد ضعيف وأنَّك فقير، فتقول: نعم ربِّي إنِّي ضعيف، فتشعر أنَّ هذا البلاء يكون رخاء ونعيم، ولا ننكر هذه الحقيقة وهو أنِّي ضعيف، وأصلاً ليس المدد منِّي فسوف يهون عليك كُلّ بلاء، وأيُّ قدرة ليست هي من نفسك إنَّما هو إمداد ومدد من الله تعالى وهو يعطي ويحسب المدد، فإن كان هذا خطاب فنعم أنا أقرّ.

لذلك خطاب: «كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيتك؟» فيريد أن يجعل العداوة بين الله وبين زينب، وزينب هي بنت الطاهرين وبنت أصحاب الكساء وبنت معدن النُّبوَّة، وهي في قمَّة الأدب مع الله تعالى وقمَّة الخضوع في علاقتها فيما بينها وبين الله عزَّ وجلَّ.

فالإنسان عندما يُصاب بزلزال وبلاء شديد ترتبك العلاقة بينه وبين الله تعالى والعياذ بالله، أما عندما يقرأ هذا الخطاب خطاب مع الله مع الحسين عليه السلام، وخطاب من الله عزَّ وجلَّ مع زينب عليها السلام فهو خطاب وحديث وهذا ذوقه

ليس بالسهل، ولكنَّه خطاب من الله، أنَّه يا مخلوق أنت ضعيف أنت فقير، فهنا قمَّة المناجاة، واتفاقاً قمة المناجاة والقرب من العبد من الخالق عندما يستشعر المخلوق أنَّه ضعيف، وفي قمة الضعف فإنَّه سوف يستشعر العبودية ويستشعر الربوبية لله، لأنَّ كل مدد وإمداد منه تعالى فتكون قمة حالات الأُنس والقرب مع الله، فتلك الحالة حالة عظيمة إذا نظرنا نقرأها «كيف رأيت صنع الله...» فإذا أردنا أن نرى صنع الله، فيجب أن نفكّك بينه وبين فعل العبيد، ففعل الله «ما رايت إلَّا جميلاً» بل هو من قمة حالات الجمال من الله عزَّ وجلَّ.

ولكن دوماً الإنسان في نشوة الانتصار لا يعيش حالة الافتقار إلى الله، فالغنى يوجب عنده الذاتية والفرعونية والطغيان، أما الضعة والبلاء والابتلاء، وإلَّا لماذا نصف أهل البيت أنَّهم مظلومين ومظلومين، لأنَّ المظلوم ليس بطاغي، فالمظلوم هو متواضع، والمظلوم يعيش حالة العبودية، [وليس هذا تشريع لأن يظلم الإنسان فهذا منطق نرفضه وهذا منطق الجبرية وبني أُميَّة، لا أنَّه نريد نشرعن المظلومية، أي نسلك لأجل أن نظلم فهذا منطق خاطئ، بل نميِّز بين فعل الله وفعل البشر، لا جبر ولا تفويض إنَّما أمر بين أمرين، ولكن جهة قراءة ما يرتبط بفعل الله وسِّر أمير المؤمنين عليه السلام في ليلة ضربته لما أُوتي له بابن ملجم].

فلاحظ حالة العبودية عند أمير المؤمنين يوصي ابنه الإمام الحسن عليه السلام: «عليكم بالرفق به والرحمة» قال: يا أبتاه هذا فعل ما فعل وأنت أكرمته؟! فقال: نعم نحن أهل بيت لا نزداد على المسيء لنا إلَّا غفران وصفح وكرامة، فهذه عبودية، فردَّة الفعل أو الانتقام للذات ليست من شأن عباد الرحمن وأولياء الله وهم أهل بيت النُّبوَّة، لأنَّ حالة العبودية دوماً موجودة، وكأنَّما أمير المؤمنين عبد ذليل بين يدي الله يراقب الله حتى في أعتى البشرية وهو ابن ملجم، أي يخشى أنَّ الله يُسجِّل عليه أي لقطة فوران الأنانية أو الذاتية، دوماً حالة عبودية،

وهذا خطاب من الله، فإنّنا إن حلّلناه فقط كفعل لله وليس كفعل للبشر فيه فرق، فالجبرية تريد أن تمزج فعل الله بفعل قباحة وسوء فعل البشر العصاة وتريد أن تسنده إلى فعل الله وهذا باطل، ولكن كفعل الله.

«ما رأيت إلّا جميلاً» أو «ما رأيت مكثوراً قطُّ أربط جأشاً وأمضى جناناً منه كان كُلَّما اشتدَّ البلاء تهلَّل وجهه» وهذا ليس أمر هيِّن، فالإنسان كُلَّما اشتدّ بلائه ينكمش، والإنسان على شفرات الموت وأصيب ما أصيب بأصحابه وذويه تراه يتهلَّل وجهه، أما إذا نظر إلى فعل البشر يستاء وينقبض، ففرق بين الفعلين، ففعل الله هو كلام وهذا أمر عظيم وباب ينفتح منه أبحاث عديدة جداً، فقضاء الله وقدره هو أيضاً خلق الله، وأيضاً هذا حديث وكلام من الله مع البشر.

لذلك الأنبياء ما يجري عليهم من قضاء وقدر يترجمونه بترجمان بينهم وبين الله كشفرات مرسلة من الله لهم، فهو كلام ولكن كلام يقرأه العقل وليس يقرأه البدن، وليس يقرأه خيال الشاعر، إنَّما هو ذكر يقرأه القلب ويقرأه الوجدان ويقرأه العقل فكله حديث.

توجيهات تربوية

نصائح لطلبة العلم:

هل من نصيحة لطالب العلم أيام التعطيل الدراسي:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ الخلائق أجمعين والصلاة على أشرف الكائنات وعلى آله السفراء المهديين.

وبعد

فأذكر عدَّة توصيات لأخوتي طلّاب العلم وهم على بوابة العطلة الصيفية:

١. اللازم على الأخوة ملء أوقاتهم ليل نهار باستماع الأقراص للدروس تكراراً لما طووه من كتب دراسية أو لما سيأتيهم من كتب مقررة في العام القادم.

وهذا التكرار فيه بناء عظيم للملكة العلمية بنحو كبير، ويحضرني كلام السيِّد المرعشي أنَّه قال: سألت يوماً السيِّد شرف الدِّين صاحب «المراجعات»

عن سرّ توفيقه في كتبه حول إمامة الأئمَّة عليهم السلام وتأثّر علماء العامة بها بل وتشيُّع عدَّة منهم وأنَّ السيِّد كشف القناع عن دلائل في الآيات والحديث النبوي لم يبلورها قبله من الأعلام.

فأجاب السيِّد شرف الدِّين: «إنِّي درست كتاب المطوّل في علم البلاغة ثمانية عشرة مرّة، فصارت البلاغة في يدي كالطين طيّعة أعملها بفائق دقائقها».

وهذا مثل وعبرة لفوائد التكرار: ويحكى عن الشيخ حسين الحلي: إنَّه كان يُسمَّى لسان النائيني أستاذه وذلك لأنَّه كرَّر دراسة كتاب الكفاية في الأُصول ستّ مرَّات قبل أن يحضر درسه.

كما يحكى أنَّ الشيخ جعفر كاشف الغطاء كان سبب تسلُّطه على حفظ الفقه بأقواله المختلفة بنحو عديم النظير في عصره أنَّه كرَّر تدريس كتاب الشرائع عشرات المرَّات كرَّات كثيرة جداً.

فالتكرار ظاهره وصورته تكرار لكن واقعه غور إلى أعماق جديدة وفحص في مساحات جديدة ذات أبعاد شاسعة مع حصول ذلك بيسر لكون وسيلته صورية التكرار السلس.

٢. التزام المباحثة بقدر الوسع فإنَّ المباحثة توجب قوَّة في البنيان العلمي بالغ التأثير جداً، وكُلَّما استمرت وكثرت المباحثة كُلَّما قويت الذهنية والعارضة العلمية بنحو كبير.

٣. تنظيم الوقت لأكبر قدر من الاشتغال العلمي، فقد نُقِلَ عن المرحوم السيِّد محمود الشهرودي قدس سره تلميذ النائيني: أنَّه قال: «إنَّ أكثر تحصيلنا في التعطيل، لا في أيام التحصيل».

٤. قراءة روايات أُصول الكافي، وعيون أخبار الرضا عليه السلام، والاحتجاج،

وتوحيد الصدوق، وغيبة الطوسي، وغيبة النعماني، وبصائر الدرجات، فإنَّها نافعة جداً كتلاوة القرآن.

٥. توثيق الارتباط بالأئمَّة عليهم السلام عبر الزيارات والتوسُّل بهم، والتوجُّه إليهم بالقلب، والتودُّد القلبي والرُّوحي معهم، فعن الإمام الرضا عليه السلام ما مضمونه «من أقبل علينا أقبلنا عليه، ومن أدبر عنَّا أدبرنا عنه».

منهجية الدروس الناجحة

١. أن لا يقل عن خمسة دروس يومياً، بعرض واحد، أي مرحلة واحدة، ولو زاد أفضل، مثلاً في «اللمعة» درسين، وفي «أُصول الفقه» درسين، وكذا باقي المواد، وبتنظيم الوقت يكون الوقت يسع أزيد من هذا المقدار كما قال الأمير عليه السلام ما مضمونه: «نظم الوقت سعته».

٢. المباحثة، وتكون في المواد الصعبة، وهذا يُقلِّل من ضياع الوقت، أي يكون الدرس الذي مدته ساعة تتم مراجعته بنصف أو أقل من نصف ساعة.

٣. التكرار، أي تكرار دراسة الكتب وذلك بسماع أقراص الدروس مع الحضور للدرس، لا بديلاً عن الحضور بل معاً، فممكن في أوقات الراحة وأوقات السفر والعطل الأسبوعية والشهرية والفصلية أن يشغل جهاز التسجيل ويستمع للدروس، والتكرار يعطي هيمنة على المواد ودقَّة وعمق كما كان يفعل بعض الأكابر.

وقد سأل السيِّد شهاب الدِّين المرعشي النجفي السيِّد عبد الحسين شرف الدِّين عن سرّ ابتكاراته وتفوُّقه لبيان فضائل وأحقية أمير المؤمنين وتأثر الآخرين بطرحه أزيد من باقي العلماء قبله؟ فأجاب: إنِّي كرَّرت تدريس المطوّل ثمانية عشرة مرَّة فأصبحت البلاغة بيدي استخدمها كيف أشاء.

وكذلك الشيخ حسين الحلي كرَّر الكفاية ستّة مرَّات، فلمَّا دخل بحث النائيني سُمِّي بأنَّه لسان النائيني لقوته في الأُصول.

والشيخ كاشف الغطاء كـرَّر الشرائع مـرَّات عديدة كما ذكر تلميذه التنكابني: إنَّه سئل ما هو السبب في وصولك لهذه المرحلة من الفقاهة؟ فأجاب: إنِّي كرَّرت الشرائع مرَّات عديدة، مع أنَّ كتاب الشرائع يُعدّ من دروس المقدمات ولكن لو كرّر يكون سطحاً عالياً، وبعده خارج، وبعده اجتهاداً، وبعده الأعلم في الفقاهة.

وغيره كثير ممَّن كرَّر بعض المواد فأصبح يُشار إليه بالبنان وكل ذلك بسبب التكرار.

وزيادة على ذلك فإنه يورث حدّة الذهن والعقل في كل العلوم.

٤. قراءة روايـات أهل البيت وبالأخص روايـات العقائد، مثل كتاب أُصول الكافي وعيون أخبار الرضا وبصائر الدرجات وتفسير القمي وتفسير العياشي وغيرها من متون الروايات.

وكذلك دراسة العقائد باستمرار بجنب الفقه والأُصول والعربية طيلة حياته العلمية في مختلف المراحل.

وكان القدماء يقرأون القرآن الكريم، كما جاء في كتاب النجاشي مثلاً جاء في ترجمة محمد بن يعقوب الكليني رقم (١٠٢٦).

قال النجاشي: كنت أتـردَّد على مسجد اللؤلؤي وهو مسجد نفطوية النحوي، أقرأ القرآن على صاحب المسجد، وجماعة من أصحابنا يقرأون كتاب الكافي على أبي الحسين أحمد بن أحمد الكوفي الكاتب حدثكم محمد بن يعقوب الكليني.

٥. قراءة روايات سيرة المعصومين سلام الله عليهم.

وكذلك قراءة حياة العلماء، وخصوصاً الكبار منهم، وكيفية دراستهم وبناء شخصيتهم، وكيف بلغوا القمَّة، وكيف خدموا مذهب أهل البيت عليهم السلام، وكيف تفاوتت خدماتهم وسطع نجمهم.

٦. تقوية العلاقة القلبية بينك وبين الأئمَّة وملاحظة قوَّة وضعف العلاقة بينك وبين الإمام المعصوم سلام الله عليه.

٧. البرمجة الذكية، وتحصل من مراجعة حياة العلماء القدماء من مدة ألف سنة.

٨. الهمة العالية وعدم الاكتفاء بالقليل، بل الطموح بالوصول لأعلى المراتب والمقامات، كالاجتهاد والفقاهة، وقد جاء في الماثور: إنَّ قدر الرجال بقدر هممهم، وغيرها.

٩. قراءة روايات الأخلاق.

١٠. من أراد أن يدرس الفلسفة ومعرفة الصحيح من الخطأ منها، لا بُدَّ أن يقرأ الروايات أولاً، وقد سألنا ما يقارب خمسة من كبار العلماء وجهابذة الحوزة فكانت إجابتهم متقاربة حيث قالوا: إذا لم تدرس روايات آل البيت عليهم السلام وفقههم تنحرف لا محال.

١. في المقدمات:

دراسة الفقه والمنطق والنحو والصرف.

الفقه، إمَّا الشرائع أو الرسالة العملية، ويمكن أن يدرس الشرائع ويطالع رسالة عملية هذا كافي وجيد لدرس المقدمات. درسين ثلاثة في الشرائع لا مانع منه.

وفي النحو قطر الندى، وبعده الألفية، وبعده مغني اللبيب الباب الأوَّل والرابع. والألفية لابن عقيل أو ابن الناظم أو السيوطي.. أنا شخصياً أرى أنَّ الناظم بحث في المنطقي والمفروض درس القضايا النحوية، وشرح السيوطي عدَّة مرَّات، مدارسة بيني وبين نفسي درسته، حتى قطر الندى درسين في الجزء الأول والثاني لا مانع.. كذلك الألفية في الجزء الأول والثاني لا مانع ولا يعتبر خلاف الترتيب، ويمكن دارسة ثلاث ألفيات.

وفي المنطق، إمَّا الحاشية، أو منطق المظفّر، والأفضل منطق المظفّر الجزء الأول والثاني.. الجزء الثالث في مستوى السطوح أو برزخي بل برزخي بين السطوح والسطوح العالية وهو عميق بمستوى بداية الخارج إذا دُرس بعمق. أنا خمس مرات بتركيز وعمق درسته فهو أمر جيد.

الشمسية من السطوح لا من المقدمات فضلاً عن شرح المطالع، إمَّا الدرس أو التباحث ويصلح أن يكون برزخي بين السطوح والسطوح العالية مفيد ومتوسع.

وفي الصرف شذا العرف، والجزء الثاني من الألفية، وشرح النظام جداً ممتاز، ولا مانع بدل أن يكون في المقدمات أن يكون في السطوح، بل عمق المقدمات يكون في السطوح.

بالنسبة إلى البلاغة، البلاغة الواضحة أو جواهر البلاغة من المقدمات، إمَّا المختصر أو المطوّل ضروري، ويستطيع أن يجعله بالمقدمات أو من السطوح، ويستطيع أن يجزئ المختصر قسم منه من المقدمات وقسم في السطوح.

أو من السطوح حتى شرح الكافية والوافية كنَّا نتباحثه في السطوح،

ويمكن مع درس النحو أن تطالعها فلا بأس به، حتى شرح ملّا جامي يدرس وهو شرح على الكافية، قديماً كان تواصل دروس النحو والصرف والمنطق في السطوح بدرجة أعمق.

٢ . أما السطوح:

الدرجة الأولى اللمعة، ومعالم الأُصول، أو أُصول الاستنباط للسيِّد علي تقي الحيدري وهو جزل ومتين، الحلقة الأولى.

الدرجة الثانية وبعد ذلك أُصول الفقه أو القوانين، أنا درستها كلها.

ففي تعدُّد الخيارات أحدها لازم والبقية مستحبة ولا أقل في (السي دي)، بعد ذلك أُصول فقه في نفس السطوح، حلقة ثانية، قوانين وأنا درستها ثلاثتها لأنَّها تقوي الإنسان وكلما قوى تفيد.

اللمعة اثنتين ثلاث دروس أربع..

وفي العقائد درجتين، في السطوح الباب الحادي عشر والتجريد وبداية الحكمة. وبعد ذلك برزخ بين السطوح والعالية هناك من يدرس الرياض.

في السطوح العالية الكفايتين سابقاً تدرس الجزء الأول والجزء الثاني في الكفاية لكن الجزء الثاني يدرس بعد الرسائل، فيدرسون الجزء الأول مع الرسائل ثم الجزء الثاني ويمكن إكثار الدروس في الرسائل أول القطع يدرسوه وبعضهم أول البراءة وبعضهم أول استصحاب الكفاية كذلك الجزء الأول والثاني الأُصول الحلقة الثالثة.

المكاسب يمكن دراسته في خمسة دروس محرمة/ بيع/ خيارات، يمكن دراسة المكاسب المحرمة/ بيع ج١ / بيع ج٢/ خيارات ج١/ ج٢ أما القول في الشروط.

هناك يدرسون المنظومة المنطق في السطوح العالية/ شرح التجريد يواصله/ كتب أخرى في العقائد/ نهاية الحكمة بعد ذلك لكن لا يشغل نفسه بها.

السيد أحمد الخوانساري كان يقول: دراسة الشمسية في السطوح ضروري جداً.

طبعاً خميس وجمعة كنَّا ندرس خلاصة الحساب، والطب القديم، دروس تشريح الأفلاك وبعدها هيئة شغميني.

والعروض، أتذكر في القديم من عنده نواقص وتتمات يمكن أن يستفيدها في الخميس والجمعة، ستة أوقات فيها.

وضروري قراءة الروايات مستحبة ليشبع مفاهيم الحديث. في الوسائل العشرة وآداب المائدة، ولو تجمع الكتب في الوسائل وتطبع مهمة.

أذكر حياة الأئمَّة في البحار إلى صاحب الزمان كلها قرأتها في السطوح، والسطوح العالية، تعطيك أخلاق وتربية وعقيدة فيها فوائد كثيرة تعطيك وضوح في المسار. وربما هو أعظم من كثير من كتب الأخلاق.

أيضاً قراءة سير العلماء والفقهاء مهمة وتؤثر..وتعطيك خلاصات تجارب حتى كتاب منية المريد جداً وهي عصارة حياته فيها أسرار الفقاهة والعلم والدور لرجل الدِّين في المجتمع. كتاب آداب المتعلمين مفيد ومؤثر ولطيف وكان يُدرّس خمس وجمعة، قراءة الروايات التي في الأخلاق مؤثرة، حكم الآملي وآخر نهج البلاغة يقرأها بتدبُّر وتأمُّل هي جداً مهمة.

كلما تشبع ذهنك بالمعلومات يؤثّر كثير مثال الشيخ حسين الحلّي زميل السيد محسن الحكيم انتهيا من السطوح في فترة واحدة فحضر السيد الحكيم

درس النائيني والشيخ حسين الحلي درس الكفاية ستّ مرَّات وبعد ذلك أصبح الشيخ حسين الحلي لسان الميرزا النائيني.

لذا والسيد حضر مع الشيخ عبد الرسول جد الشيخ حسن الجواهري عند الشيخ علي الجواهري وأنقل القصة عن تلميذه أدركته الشيخ حسين لم يكن يشاركهم فتميَّز السيد في الفقه والشيخ حسين في الأُصول.

حتى في الحوزة كان تفسير وأسباب النزول أوليات فكان يحضر درس التفسير.

ومن المفروض الأُنس في التفسير.. فيشتغل في تعقيبات صلاة الصبح مع خمسين آية.. ومع كل ختمة يقرأ فيها القرآن فلا تمرُّ لفظة حين القراءة إلَّا يعرف معناها، وهذه مرحلة ضرورية، مرة مرتين ثلاث..

أول مرحلة وهي ضرورية جداً، وبعدها إعراب القرآن وأسباب النزول سواء في مدرسة أهل البيت أو السُّنَّة.

٣ - المباحثات:

ضروري فيها لاختصار الوقت تكون فقط في الأماكن المعقدة في الدرس إلى الأقل تعقيداً لأنَّ كلما فككتم المعقد تنفض.. وتختزنون ذاكرة البسيط.. يترسب البسيط.. وأهم شيء الأماكن المعقدة وبالتالي التباحث في ساعة ونصف أربع دروس. وبعد الدروس الباقي تراجع شروح معقدة.

صحيح على الإنسان أن لا يضيع وقته في الشروح كثيراً، إذا أدَّى إلى أبطأ أما إذا تعمق وتوسع في السرعة التي يتابعها فلا بأس، ومنذ القديم معروف أنَّ سرعة بلا دقة مضر ودقة بلا سرعة مضرة، لأنَّ البطؤ تجعلك لا تصل إلى مقطع إلَّا وقد نسيت المقاطع السابقة بسبب الفاصلة الزمنية الكبيرة. والبطوء

يسبب تأخير وهبوط وفي الحيوية.. سرعة متوسطة تسبب سرعة فائقة مع دقة فائقة.

السيد محمد الروحاني رحمه الله التقى في النجف أحد الطلبة يشتكي بأنَّه يدرس درسين ويلاقي صعوبة فيهما نصحه بخمسة ستة دروس استغرب الشخص من نصيحة السيد وأنكرها، وبعد أن جرب ذلك بعد فترة رآه السيد سأله رآه شخص آخر بمثابرته وجديته.

فالبرمجة للوقت بلحاظ الساعات اليومية...

من الأمور الصحيحة أنَّ التحصيل في التعطيل تعطي قوة في الدراسة لما تقدم وما تأخر سيرى نفسه في المواسم للتحصيل أقوى من البقية مثل الماكنة التي لا تتعطل بعض آليات المكائن إذا تعطلها وتشغليها من جديد يحتاج إلى مدة كثيرة.. فينشط ويعطي للذهن حافظة قوية وهيمنة قوية فالاستمرارية في البرمجة من أسرار النجاح وهي مهمة جداً..

لذا قد يستخف الإنسان في التعطيل بالعكس هو سرّ النجاح والبرمجة لأيِّ مرحلة.

فالبرمجة تكون يومية، أسبوعية، شهرية، سنوية، ولحقبة سنوات..

من الآن في مرحلة المقدمات أفكر في أيِّ وقت أطويها، ثم في السنة الواحدة كم أطوي؟ ثم في الشهر في الأسبوع، كما يوصي أمير المؤمنين بتوسعة الوقت وتنظيمه، وبعدم تنظيم الوقت تصير الفوضى والانفلات وتتداخل الأوقات مع بعضها بعض فتضيق سواء بلحاظ نظم الساعات اليومية أو الأسبوع والشهر والسنة والحقب..

وقراءة حياة العلماء مؤثرة تعطيك تجارب والبرمجة سرّ النجاح

والتوفيق.. حتى المراجع قدماء ومعاصرين تميّز في شيء بسبب برمجة حياتهم..

أيضاً من الأمور المؤثرة مثلاً حينما يدور أمر بأنِ أدرس كتاب مع مدرّس متوسط في التدريس، وبين أن يتأخر إلى بعد سنة، وبعد ستة أشهر الدراسة عند متوسط أفضل من التأخير، إذا من الاقتصار فقط مع القوي.. ويمكن أن يعوض بالمباحثة ومتابعة الحواشي أو مع نفس المدرس يتابع الأسئلة فيثير المدرس فسيتابع الأمور فيأتي بالمطالب.. لأنَّ الدروس منظومة إذا أخرت هذا الدرس ستأخر الثاني والثالث..إلخ.. فدقة مع تأخير ضررها مع شرر سرعة مع دقة.

فتوجد تعويضات تتفادى الضعف وتحافظ على السرعة.

أو افترض الجزء الأول من الكتاب غير موجود إنَّما نصفه موجود فابدأ به وثق بأنَّه لا يسبب إرباك أو تعقيد..

افرض وجود درس ودرس آخر بعده فيدور أن أتركه والتحق في نصفه لا أتركه.

فنجاح البرامج بوجود مرونة تتماشى مع الظروف.

من الآليات المؤثرة الكثير من الطلبة يشتكون عدم الحصول على المجرس وهو قاعد في مكانه بدون البحث كنَّا أيام زماننا نبحث على بقاع الحوزة فيجدول الإنسان نفسه فعملية الاطلاع بالغة التأثير.

مطالعة سعة من الليل بدل المجالس يطالع حاشية شرح هذا التوسع يعطيه دفعات تؤثر ارتباطياً بمسائل أخرى تعطي الإنسان قوة غير متوقعة.

شروح اللمعة القديمة يا ليت تطبع طبعة جديدة.. في السرعة التي

أعطيتها لنفسك حينما تتعمق أكبر لا مانع الضير أن يكون الظرف للدقة على حساب السرعة.

والتكرار أمر مثير سيما اللمعة تسمعوها مرة مرتين ثلاث فالإحاطة بها مؤثر وكل مرة تبنيها بدقة تزيل العراقيل بشكل تلقائي...

نظام المباحثة لطلبة البحث الخارج:

هذه الدورة الأولى من المباحثات المعمقة، لطلبة الحوزة العلمية، في بداية حضورهم لمرحلة البحث الخارج، أعدت بحسب توصيات الأساتذة المختصين في هذا المجال، وكما يلي:

أولاً: عدد المباحثات:

١. مباحثة في الأُصول، من أول الألفاظ، على متن الكفاية، وأجود التقريرات للميرزا محمد حسين النائيني قدِّس سرُّه (تقرير السيد الخوئي قدِّس سرُّه)، ونهاية الأفكار للشيخ أغا ضياء الدِّين العراقي (تقرير الشيخ محمد تقي البروجردي).

٢. مباحثة في الأُصول من أول الحجج على متن الرسائل، ومتن الكفاية، وفوائد الأُصول للميرزا محمد حسين النائيني (تقرير الشيخ محمد علي الكاظمي)، ونهاية الأفكار للشيخ أغا ضياء الدِّين العراقي.

٣. مباحثة في المعاملات، على متن المكاسب وحاشية الشيخ محمد كاظم الآخوند الخراساني، وحاشية السيد محمد كاظم

الطباطبائي اليزدي، وحاشية الميرزا محمد حسين النائيني، وحاشية الميرزا علي الأيرواني، ورسالة في اللباس المشكوك.

٤. مباحثة في كتاب التنقيح للسيد الخوئي قدِّس سرُّه وهو يشرح كلام أستاذه الميرزا النائيني قدس سره.

ثانياً: طريقة المباحثة:

٥. عدد الطلّاب بين (٣ ـ ٥) والأفضل أن يكون العدد أربعة فعند تغيب بعض الطلبة تستمر المباحثة مع الطلبة الباقين.

٦. مدة كل مباحثة (٢٠) دقيقة فيكون المجموع ساعة واحدة يومياً في أيام الدراسة الحوزوية، وأما في أيام التعطيل، فتكون مدة كل مباحثة ساعة واحدة، فيكون المجموع ثلاث ساعات يومياً.

٧. تستمر المباحثة طيلة أيام السنة، بدون أدنى توقف.

٨. يتهيأ جميع المباحثين لإلقاء البحث يومياً، ويتم اختيار أحدهم عن طريق القرعة.

٩. تغلق الكتب أثناء المباحثة، ويقوم الطالب الذي وقعت عليه القرعة بإلقاء البحث عن ظهر قلب، ولا يتم فتح الكتاب إلَّا عند حدوث اختلاف في فهم المباحثين لمطلب معيَّن.

١٠. السقف الزمني لطيٍّ هذه المباحثات، ثلاث سنوات.

١١. إلى جانب هذه المباحث، يجب حضور درس بحث الخارج، وعدم الانقطاع عنه.

الفهرس

تصدير ٥
المقدمة ٧

الفصل الأول
الرياضات الرُّوحيَّة والطاقة

الرياضات الروحية ١١
تحمّل الرياضات الشاقة: ١٢
الرفق في الرياضات الرُّوحيَّة: ١٤
الرياضات والطاقة الروحية ١٨
حوارات في السير والسلوك ٣١
عبادة الأحرار: ٣١
الرياضات الشرعية: ٣٣
التفقه في الدِّين اعتصام من الضلال: ٣٤
الكمال الإنساني ٤٤
درجات الناس: ٤٦

التكامل في عالم البرزخ ٤٨
تكامل المرأة: ٥٠
علم الأخلاق ٥٢
أشرف العلوم: ٥٣
الاختلاف في حالات الآداب: ٥٦
أدب النيَّة والكلمات: ٥٩
التشدُّد والترهُّب والرياضات غير المأثورة ٦١
الابتداع والسُّنن الحسنة: ٨٠
ملاحظات على الفلسفة والعرفان ٨٦

الفصل الثاني
الطريق إلى التكامل الرُّوحي

دور التوسل في التكامل ٩٧
دور المحبة في التكامل ١٠٩
المحبة في العلم الرُّوحي الحديث: ١١٢
المحبة والبغض والتولِّي والتبرِّي: ١١٣
الرُّوح هي المسؤولة عن الحب والبغض: ١١٤
جهاد النفس والنهضة الحسينية ١١٦
ضرورة المداومة على جهاد النفس: ١١٧
الولاء للحسين عليه السلام بجهاد النفس: ١١٨
جهاد النفس مواجهة دائمة: ١١٩

لا بُدَّ من إشباع الغرائز بالحلال: ١١٩
التسلُّح بالعلم والثقافة الدِّينيَّة: ١٢٠
وقفة حول التساهل والتسامح: ١٢١
زيارات المراقد المقدَّسة ١٢٢
زيارة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ١٢٤
أهمية الزيارات في العقيدة والفقه ١٢٧
كتب الزيارات: ١٢٨
سِّر استحباب قراءة القرآن: ١٣٠
دور زيارة الإمام الحسين عليه السلام في التكامل ١٣١
دور البكاء على الإمام الحسين في التكامل الرُّوحي ١٤٧
دور الذِّكر القرآني في التكامل الرُّوحي ١٥٤
ثانياً: الروايات: ١٥٦
الذِّكر صفة لمراتب وجودية متكثرة: ١٦٠
سرّ القرآن في إحداث التكامل: ١٦٤
ما معنى الذِّكر ١٦٦
شروط التذكّر: ١٦٧
العلم والعمل: ١٦٨
التقوى والورع: ١٦٩
العدالة: ١٧٠
ارتباط العلم والعمل ١٧١
البكاء على سيد الشهداء عليه السلام: ١٧٣
أهم مميزات قاعدة الذكر ١٧٥

الربط بين الذكر والترتيل والتلاوة: ١٧٥
أهم الشرائط المعتبرة في المفسِّر للقرآن الكريم ١٨٠
الصلاة على محمَّد وآل محمَّد ١٨٨
دور الصلاة في التكامل الرُّوحي ١٩٣
الأدعية والزيارات ١٩٦
سند الأدعية والزيارات: ١٩٦
علم العدد ٢٠٨
النيابة في الأعمال ٢٠٩
رؤية الميت ٢١١
الاسم الأعظم ٢١٣
حوار ٢١٤

الفصل الثالث
معرفة النفس

معرفة النفس ٢١٧
الفرق بين الروح والنفس: ٢١٨
أهمية العقائد في السلوك العملي: ٢١٩
الإخلاص والنيَّة ٢٢٠
محاسبة النفس وخطرات الشيطان: ٢٢٠
تأديب النفس ٢٢٣
ترويض النفس: ٢٢٤

المعصية والتوبة ٢٢٦
فوائد روحية وأخلاقية ٢٣١

الفصل الرابع
علم الروحانيات

علم الروحانيات ٢٣٥
تحضير الأرواح: ٢٣٨
عالم الجنّ: ٢٤١
عالم الشيطان: ٢٤٢
وساوس الشيطان: ٢٤٥
تصرفات الشياطين والتوقي منهم: ٢٤٧
صدور الخوارق من غير المؤمنين ٢٤٩
المكاشفات ٢٥١
عدم حجية المكاشفات لدى غير المعصوم: ٢٥٢
الكرامات ٢٥٤
إصابة العين: ٢٥٥

الفصل الخامس
حوارات، مشاكل وحلول

حوار مع سماحة المرجع الشيخ السند ٢٥٩
الصلاة.. الذِّكر الأكبر: ٢٦٠

الاستفادة من القرآن الكريم: ٢٦١
التمسُّك بأهل البيت عليهم السلام ومعرفتهم: ٢٦٢
توصيات للأذكار: ٢٦٣
العلم الموروث: كسب وإلهام: ٢٦٤
حوارات مع سماحة المرجع الشيخ محمد السند ٢٦٧
معنى المراقبة: ٢٦٧
السير والسلوك إلى الله تعالى: ٢٦٩
البُعد العرفاني في نهج البلاغة: ٢٧٢
ما المُراد بالعلم الموروث؟ ٢٧٤
الإخلاص من الأركان الأساسية للتقرب إلى الله تبارك وتعالى: ٢٧٨
ما هي حقيقة الزهد الذي يشكل أحد المعايير لحركة السير والسلوك: ٢٨٠
مقام الرضا بقضاء الله تعالى: ٢٨٤
تأثير تلاوة القرآن في طيِّ مدارج العرفان: ٢٨٦
أهمية ولاية أهل البيت عليهم السلام في السير والسلوك: ٢٨٧
زيارة مراقد المعصومين عليهم السلام: ٢٩٠
التأسي بالمعصومين عليهم السلام وآثاره في التقرب إلى الله تعالى: ٢٩١
التمسُّك بآداب الشريعة: ٢٩٣
أهمية الدقة في التزام أحكام الشريعة وفي السير والسلوك إلى الله تعالى: ٢٩٥
حقيقة العزلة: ٢٩٧
حقيقة التقوى وآثارها في السير والسلوك إلى الله تعالى: ٣٠٠
ذكر الله واثره في التقرب منه عزَّ وجلَّ: ٣٠٣
أثر الصلاة في السير والسلوك إلى الله تبارك وتعالى: ٣٠٧

مشاكل وحلول ٣١٠
الوقوع في المعصية: ٣١٠
علاج الوسوسة: ٣١١
الوسوسة في العقائد: ٣١٢
علاج الخجل: ٣١٣
علاج الإحباط واليأس: ٣١٣
طرق إبطال السحر: ٣١٦
النساء والأعمال العبادية: ٣١٧
مجربات لدفع البلاء: ٣١٧
الاعتماد على الرؤيا وتفسيرها: ٣١٧
إخبار الناس بما يرون في المنام: ٣١٩
التنبؤ بأحداث المستقبل ٣١٩
عروض السيرك ٣١٩
كيف نواجه الابتلاء؟ ٣٢٠
توجيهات تربوية ٣٢٣
نصائح لطلبة العلم: ٣٢٣
منهجية الدروس الناجحة ٣٢٦
١. في المقدمات: ٣٢٨
٢. أما السطوح: ٣٣٠
٣ ـ المباحثات: ٣٣٢
نظام المباحثة لطلبة البحث الخارج: ٣٣٥